آخر ما سطره قلم الشيخ حمد

كان الشيخ حمد - رحمه الله - يعاني منذ فترة طويلة ضيقًا في فقرات العنق من جراء جلوسه لفترة طويلة منكبًا على قراءة المخطوطات والمؤلفات والكتابة، مما تسبب في الضغط على الحبل الشوكي (مصدر الإحساس) .

وفي شهر المحرم١٤٢١هـ سقط علي ظهره مما أدى إلى مضاعفة ماكان يعانيه من آلام ، امتدت إلى ضعف في استخدام يديه وعدم القدرة على المشي.

ولقد أفاد الأطباء أن هذه الآلام ستزيد،وهذا الضعف سيزداد ، وقد يصل الأمر إلى التأثير على اعضاء أخرى في جسمه - طيب الله ثراه - وأن العلاج لذالك هو التدخل الجراحي لتخفيف الضغط على فقرات العنق.

وعندما عُرِضَ رأي الأطباء على الشيخ حمد ، كانت بجواره في المستشفى (خارج البلاد) ابنته الدكتورة (مي) ، فطلب منها ورقة وقلماً وكتب عليها(فإذا عزمت فتوكل على الله ، توكلت على الله) . فكان هذا آخر ما سطرته يمين الشيخ حمد - رحمه الله - وتبدو في كتابته آثار رعشة يديه ، وهذه صورة لها:

فإذا عزمت فتوكل على الله

توكلت على الله

رسالة إلى قراء «العرب»

حكم المنية في البرية جاري
ما هـذه الدنيا بدار قرار

شاءت إرادة الله أن يختار إلى جواره يوم الخميس ١٤٢١/٦/١٦هـ
(٢٠٠٠/٩/١٤م) علامة الجزيرة الوالد الشيخ حمد الجاسر – رحمه الله – بعد أن صحح هذا الجزء من مجلة «العرب»
(ج١ . ٢ س ٣٦ رجب وشعبان ١٤٢١هـ) وبعد أن انتهت طباعته ولم يبق إلا طباعة الغلاف.

وإنني إذ أقدم العزاء لقراء «العرب» وكتابها وأصدقاء الشيخ وتلاميذه ، أؤكد لهم أن مجلة «العرب» ستستمر في الصدور،على النهج الذي رسمه لها مؤسسها – طيب الله ثراه – وستكون بين أيديهم في مواعيدها إن شاء الله .

و«العرب» وهي تواصل الصدور ترجو من قرائها وكتابها مواصلتها بأبحاثهم ودراساتهم وآرائهم وتعليقاتهم ، كما كان العهد بهم إبان وجود مؤسسها ، وسيجدون من العناية بذالك ماكانوا يجدونه منه – رحمه الله – راجية للوالد الشيخ الفقيد الرحمة والغفران ومن قرائها وكتابها الدعاء له بأن يجزيه الله خير الجزاء على ماقدمه لأمته وبلاده إنا لله وإنا إليه راجعون،

معن بن حمد الجاسر

بسم الله الرحمن الرحيم

((وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة
قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون))

صدق الله العظيم

نعي

تنعي إدارة مجلة «العرب» إلى قرائها وكتابها صاحبها ورئيس تحريرها علامة الجزيرة

الشيخ حمد بن محمد الجاسر

الذي وافته المنية يوم الخميس السادس عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ١٤٢١هـ الموافق الرابع عشر من شهر أيلول(سبتمبر)سنة ٢٠٠٠م ، سائلين المولى - جل وعلا - أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته ويسكنه فسيح جنانه ويجزيه خير الجزاء على ماقدمه في خدمته أمته وبلاده.

٤٢٢ - ٤٢١

العرب

مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري

فهرس هذا الجزء

(ج ١، ٢ س ٣٦ رجب، شعبان سنة ١٤٢١هـ)

(أيلول، تشرين ١ (سبتمبر، أكتوبر) سنة ٢٠٠٠م)

عن : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض - المملكة العربية السعو

العنوان
حي الورود - شارع حمد الجاسر - هاتف وفاكس ٤٦٢١٢٢٣
ص.ب ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها : حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات : يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء : ١٧ ريالاً

ج ١، ٢ س ٣٦ - رجب، شعبان، سنة ١٤٢١هـ - أيلول، تشرين١، (سبتمبر، أكتوبر) سنة ٢٠٠٠م

التصحيف في أسماء المواضع
الواردة في الأخبار والأشعار
(٣٤)

مِذْعَر : (مِذْعَى)

قال ياقوت في «معجم البلدان» : (مذْعَر : بالكَسْر وفَتْح العَيْن، وهو من الذعر وهو الفزَع إلاَّ أن كَسر مِيْمه في المَكَان شَاذ لأنَّه من شُرُوْط الآلات : وَهُو اسْم مَاء لِبَنِي جَعْفَر بن كِلاَب . انتهى . وقال في رسم (النسار) : (وقيل هي الأنسر براق بيض في وضح الحمى بين العناقة والأودية والجشجاثة ومذعار والكور، وهي مياه لغني وكلاب، والأكثر أنه جبل) انتهى.

لا أشك أن هذا الماء في الموضعين (مِذْعَى) الذي قال عنه ياقوت في «معجم البلدان» : (مِذْعَى بالكسر ثم السكون والقصر قالوا : والمِذْعِ السيلان من العيون التي في شعفات الجبال : وهو ماء لِغَني بَيْنَه وبَيْنَ مَاء يقال لهم زقا قدر ضحوة، قال : إلاَّ أن مِذْعَى لبني جَعْفَر اشتروها من بعض بني غَنِي) انتهى .

أما تحديد هذا الماء فقد قال عنه الأستاذ سعد بن جنيدل في (قسم عالية نجد) من «المعجم الجغرافي» : أنه هو المعروف الآن باسم القَاعِية، وكان الاسم يطلق على قاع تجتمع فيه السيول وفيه أَحْسَاء كثيرة يقع شمالاً من جبل نَضَاد غرب مدينة الدَّوَادمي على بعد مئة كِيلٍ، وقديماً كانت من مياه غَنِي، وقد تأسست فيه قرية حديثة بعدما كان يمر به طريق السيارات بين الرياض والحجاز، وسكانها معظمهم من قبيلة الروقة من عُتَيْبَة، فيها دكاكين للبيع

والشراء وفيها مدرسة ابتدائيـة للبنين ومدرسة ابتدائية للبنات، وهي تابعة لإمارة الدوادمي. انتهى.

ويبدو لي أن ماء القاعية هو الماء المعروف قديمًا باسم مِذْعَى، لأن تحديد مِذْعَى في كتب المؤرخين ينطبق عليها، قال الهَجَرِي: ذو غُثَث: وادٍ يَصُب في التسرير يَصُب فيه وَادِي مِذْعَى، وقال أيضًا: وادِي مِذْعَى يصب في ذي غُثَث، وذو غُثَث من أكرم مياه الحمَى.

وفي كتاب «بلاد العرب» قال الأصفهاني: قال الشاعر:

ولن تَرِدي مذعا ولن تَرِدي زَقَا ... ولا النَّقْر إلا أن تُجِدِّي الأَمَانِيَا

ولن تسمعي صوت المُهِيبِ عَشِيَّةً ... بذي غُثَث يدعو القِلاَص التَّوَالِيَا

وَمِذْعَا وزَقَا: ماءان بينهما قدر ضَحْوَة، وهما لِغَنِي. انتهى.

قلت: هذه العبارات والشواهد تدل على قرب مذعى من ذي غُثَث، والواقع أن سيل القاعية يدفع من بَطْن ذي غُثَث، ويدعى في هذا العهد غثة، وهو قريب من القاعية.

ثم أورد قول ياقوت وغيره وخَلَص إلى أن قال: وبهذا يتضح لَنَا أن القاعية هي مِذْعَى، وذالك لوقوعها في بلاد غَنِي وقربها من الكَوْدِ وثَهْمَد ووادي ذي غُثَث، ووقوعها فِي وَضَح الحمَى.

(والقاعية هذه تقع بقرب خط الطول: ٣٠َ / ٤٣ْ وخط العرض: ١٨َ / ٢٤ْ).

المِضْيَاعة: (المِضْبَاعة)

قال ياقوت في «معجم البلدان»: (المضياعة: قال الأصمعي يذكر بلاد أبي بكر بن كلاب فقال: سواج جبل ثم المضياعة ما بين تلال حمر، قال: والمضياعة جبل يقال له المضياع، وهو لبني هوذة وهو من خير بلاد بني كلاب). أوردها في آخر الباب مما يدل على أنه يراها بالياء المثناة التحتية،

وكان المفروض أن يذكرها في أول الباب لأن مصدره هو كتاب «بلاد العرب» الذي ورد فيه الاسم في سياق طويل وهو مكرر بالباء الموحدة في جميع مخطوطات الكتاب، وأورده الزبيدي في مستدركه بالباء أيضًا رسم (ضبع) وكذا ورد في كتاب نصر بما نصه: والمضْبَاعة جبل يسمى مضْبَاعًا لبني هَوْذَة من بني البَكَّاء بن عامر، رهط العدَّاء بن خالد انتهى. ولعل المراد أن هذا الجبل كان مأوى للضباع، وهنا سُمِّيَ المِضْبَاعَة، وانظر لتحديد موضعه تعليقي على كتاب نصر، الذي ينتظر صدوره من مطبوعات (مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية).

مَكْرَان : (هَكْرَان)

قال ياقوت: مكران: بفتح أوله وسكون ثانيه وأخره نون، هكذا وجدته في شعر الجُميح منقذ بن طريف: وهو موضع في بلاد العرب، فقال:

كأنَّ راعِيَنا يَحْدُو بِهَا حُمُرًا | بين الأبارِقِ من مَكْرَان فاللُّوب

فإن تَقَرِّي بها عينًا وتختفضي | فينا وتنتظري كَرِّي وتغريبي

يبدو أن الجميح يصف حُمُرًا وحشية تعدو في الصحراء الواسعة، هي (سحراء ركبة) الواقعة بين (هَكْرَان) وبين (اللوب) جمع لابة، وهي الحرار التي أدناها الطرف الشرقي الجنوبي من حرة بني سليم، وفي شرقها حَرَّة كُشُب، إذ (هكران) موضع لا يزال معروفًا وقد كان في أوله منهل عرف باسم (مُوَيه هَكْرَان) تصغير ماء، ثم أصبح منزلة من منازل طريق الحج، والاسم يطلق على جبل أسود (طرف حرة) (ويقع بقرب خط الطول: ٣٠َ / ٤١ْ وخط العرض: ٤٧َ / ٢٢ْ) وقد أورد ياقوت الاسم صحيحًا في حرف الهاء فقال: (هَكْرَان بالفتح ثم السكون، وراء، وأخره نون، والهَكِرُ الناعسُ: وهو جبل بحذاء مَرَّان: عن عرَّام، وأنشد:

أعيان هَكْرَان الخُدَارِيَّات

وهو قليل النبات في أصله ماء يقال له الصِّنْوُ). انتهى و(أعيان) صوابها (أعيار) جمع عير، حمر الوحش.

وأصل هذا في «رسالة عرام» ونصه بعد أن ذكر (مَرَّانَ) قال: ومن خلفه قرية يقال لها (قُبَاء) وبحذائها جبل يقال له (هكران)، وجبل يقال له (عُنّ) قال الشاعر:

أعيان هَكْرَان الخُدَارِيَّات

وهو قليل النَّبات في أصله ماء يقال له (الصِّنو) وعُنٌّ هذا في جوفه مياه وأوشال، قال فيه الشاعر:

فقالوا هِلاَلِيُّون جِئْنَا مِنَ أَرْضِنا ... إلى حاجة جُبْنَا لَهَا اللَّيْلَ مِدْرَعا

وقالوا خَرَجْنا م الْقَفَا وجُنوبِه ... وعُنٌّ فَهَمَّ القلبُ أن يَتَصَدَّعَا

ونقل البكري هذا في كلامه على الستار، ووقع في بعض الأسماء تصحيف عنده.

ملح: (ملج)

قال البكري في رسم (القاعة) من «معجم ما استعجم»: (قَالَ الأَسْوَدُ بن يَعْفُرَ، وكان جَاوَرَهُمْ، فَأَغَار عَلَى إِبِلِه نَاسٌ من بَكْرِ بن وَائِل:

وَمَا كَانَت الأَجْوَافُ مِنِّي مُحَبَّةً ... وسَاكِنُهَا مِن غُدَّةٍ وأَفَاعِي

طَحُونٌ كمُلْقَى مِبْرَدِ الْقَيْنِ فَعْمَةٌ ... بِجَرْعَاء مِلْحٍ أو بِجَوٍّ نِطَاعِ

مِلْح ونِطَاع: مَوْضِعَان هُنَاك) انتهى.

صواب الاسم (مَلَج) بعد الميم لامٌ ساكنة ثم جيم - وهو يطلق الآن على قَرْيَةٍ ومَا حولها، وفي كتاب «بلاد العرب» -٣٤٦- في الكلام على وادي السِّتَار، وأن فيه أكثر من مئة قرية لأفناء سَعْد ولامْرِئ القيس فَذَكَر من تلك القرى قرية ثاج، وبها سوق، وعينا مُتَالِع منها، وقَرْيَة يُقَال لَهَا مِلَج، وقرية يقال

لها نَطَاع، قال العَجَّاجُ:

إنْ تَكُ دَهْنا ظَعَنَتْ عَنْ دَارِهَا   عَامِدَةً لِمَلْجَ أَوْ سِتَارِهَا. انتهى

وقد أوردت في (قسم المنطقة الشرقية) من «المعجم الجغرافي» أقوال المتقدمين عن مِلْج هذا، وأن ياقوتًا ضبطه بضم الميم، وقلت هناك ما خلاصته: (ومِلْجُ جِزْءٌ من أجزاءِ وادي الستار لا يزال معروفًا، ولكنَّ الاسم ينطقُ الآن بكسر الميم (مِلْج)، ومن الألحان اللعبونية المشهورة في شرق الجزيرة:

يَاذَا الحَمَامَ اللِّي عَلَى مِلْجِ ونْطَاعْ   باللهِ عَلَيْكَ انْحَرْ يَمِينَ المصَلِّي

تَلْقَى محَمَّدْ بأسْفَلَ السَّيْحْ زرَّاعْ   قَرْمٍ إذَا جَوْهَ النِّشَامَى يْهَلِّي

والشعر لمهلهل بن هذال، من شيوخ العَمَارَات من عنْزَة يمدح محمد بن فُهَيْد، صاحب الأَسْيَاح (النَّبَاج قديمًا) في شرق القَصِيمْ. ويقع مِلْجُ في منطقة النُّعَيْرِيَّة، فيما بينها وبين نَطَاع جنُوبًا منها، وهناك منخفض من الأرض، ممتدٌ من نَطَاعٍ شمالاً إلى النُّعَيْرِيَّة نحو ثلاثين كيلاً، يظهر أنه امتداد لوادي المياه (الستار قديمًا) أو جِزْءٌ منه، وهو أرضٌ سَبَخَةٌ، ماؤها قريب من ظهر الأرض، وتكثر القرى والمياه حوله، ففي جنوبه نَطَاع، وشرق هذه القرية بميل نحو الشمال مُنَيْصِفَةُ، قرية، وشمال نَطاع قرية مُلَيْجَة، وغربها سُدَيْرَةُ، ثم قَرْيَة مِلْج، بقرب مُلَيْجَة، جَنُوب جَبَلِ الفَوَّار، ثم قَرْيَةُ الكَهَفَة غرب مِلْج، شمال سُدَيْرَةَ - بينهما برقاء غرًا - وشماء غَرَاء الكَهَفَة قرية - ثم قرية النُّعَيْرِيَّة في الطرف الشمالي لذالك المنخفض، الواقع في مُسَمَّى وَادي المِيَاه (السِّتَار والقَاعَة - المعروفة حديثًا باسم النَّقْرَة، نَقرة بني خالد - يقع المنخفض المذكور (بقرب خط الطول: ٢٨/٤٨ْ وبين خطي العرض: ١٥/٢٧ و ٣٠/٢٧ْ). انتهى.

(للبحث صلة)

حمد الجاسر

هوامش حول كتاب

«رحلات حمد الجاسر للبحث عن التراث»

- ١ -

توطئة: قال الجاحظ في فضل الكتاب: (الكتابُ إن نَظَرْتَ فيه أطالَ إمتاعك، وشحذَ طباعك، وبسطَ لسانكَ، وجوَّدَ بيانك، وفخَّمَ ألفاظك، وبَجَحَ نفسك، وعمر صدرك، ومنحك تعظيم العوام وصداقة الملوك، وعرفت به في شهر ما لم تعرفه من أفواه الرجال في دهر، مع السلامة من الغرم وكدِّ التعب).

وكتاب «رحلات حمد الجاسر بحثًا عن التراث»، من الكتب التي يصحّ فيها ما قاله الجاحظ عن الكتاب، ولأنّ كتابه هذا قد امتعني أيّما إمتاع، ووقع في خاطري ونفسي موقعًا مُنْمازًا، وأثار في نفسي خواطر وذكريات فقد وجدتُ لمقولي فيها موضعًا، وفي ظني أنّ هذا الذي حَبَّرْتُ ستكون له فائدة في طبعة قابلة إن شاء الله.

(١)

افترع الشيخ الجليل كتابه بالحديث عن مخطوطات (المكتبة الوطنية في الجزائر) فذكر أنه وقف على فهرس صَنَعَهُ المستشرق الفرنسي **I. Agnun** باللغة الفرنسية ما عدا أسماء الكتب، منذ أكثر من سبعين عامًا، تضمن وصف ١٩٨٧ مخطوطًا فاكتفى به.

يقول هلال بن ناجي: صواب الاسم **E. Fagnan** (اميل فانيان) وهو أول فهرست للمخطوطات العربية والتركية والفارسية بمكتبة الجزائر، طبع بباريس سنة ١٨٩٣ وعدة صحائفه ٦٨٠ صحيفة.

وكان الأستاذ عبدالكريم الدجيلي - رحمه الله - قد نشر في مجلة «المورد» البغدادية مقالاً بعنوان «ملاحظات حول الخزائن المخطوطة في تونس والجزائر والمغرب»[١].

وفيما يخص الجزائر ورد في مقاله ما نصه: (وآخر اختلاس للمخطوطات الجزائرية هو نقلها جميعا - بما فيها مكتبة جامعة الجزائر - إلى فرنسا).

حتى قال: (وفي المكتبة الوطنية الآن في الجزائر بعض المخطوطات الثانوية، إلا أن فهرست هذه المكتبة ينطق عن كثرة المخطوطات التي كانت تحتويها. فالمستشرق (فانيان) كان قد أعدّ أول فهرست لها. وقد ذكر أسماء تلك المخطوطات وأرقامها.

وقال عنها بأنها ضاعت، غير أنه لم يذكر متى فقدت، ومن الذي ملكها، وذكر بين تلك المخطوطات أسماء مئتي كتاب من بينها سجلات لقرارات الدايات والعقود وبعض الرسائل).

وأقول: إن جميع المعلومات التي ذكرها الدجيلي غير صحيحة ولا دقيقة، فعقبت عليها بمقال عنوانه «مخطوطات الجزائر» نشر في العدد الثالث من المجلد الخامس من مجلة «المورد» - ١٩٧٦[٢].

ذكرت في المقال المذكور أن المكتبة الوطنية في الجزائر تضم نحو الثلاثة آلاف مخطوط وليس بعض المخطوطات الثانوية كما قال الدجيلي.

وأن بعض المخطوطات التي ذكرها (فانيان) هي مجاميع تضم عدداً من المخطوطات في المجلد الواحد. وكل ما فقد من هذه المخطوطات لا يتجاوز المئة عن طريق السلب والسرقة، وليس كما ذكر الدجيلي.

وخلال المدة بين طبع الفهرست المذكور وبين استقلال الجزائر عام ١٩٦٢، دخلت المكتبة الوطنية مخطوطات كثيرة، صنع لها السيد عبدالغني أحمد بيوض، (وهو محافظ في المكتبة الوطنية في عهد الاحتلال وبعد الاستقلال). فهرساً باللغة العربية بخط يده - محفوظ في المكتبة - عرّف فيه بـ(٣٤٣) مخطوطة، ضمنها ٦٥ مجموعًا، جعل فهرسه تكملة لفهرس فانيان من حيث الترقيم، فشمل الأرقام ١٩٨٨- ٢٣٣٢.

ثم أتم عمله صديقنا محمود بوعيّاد - مدير المكتبة الوطنية سابقًا -، فصنع

فهرساً طبع على الحاسوب، شمل التعريف بـ(٣١٨) مخطوطة حملة الأرقام من ٢٣٣٣- ٢٦٥١، ضمنها مجاميع يحتوي الواحد منها عدة مخطوطات.

ثم وضع رابح بونار وجلول بدوي قائمة مرقونة باللغة العربية اشتملت التعريف بـ(٧٢٠) مخطوطة انتهت بالرقم (٣٣٢٩). وهذا السجل غير مطبوع أو متداول خارج المكتبة الوطنية.

وثمة سجل دونت فيه مخطوطات الأمير عبدالقادر الجزائري ومخطوطات حسن بن رحال الموجودة بالمكتبة الوطنية وعدتها ٥٩ مخطوطة أعد أيام الأستاذ محمود بوعياد.

يضاف إلى ما تقدم فهرس مخطوطات (ابن حمودة) الذي أعدّه باحث نيجيري اسمه حسن غوارزو سنة ١٩٩٣ ويشمل التعريف بـ(٢٢٠) مخطوطة. وابن حمودة هذا عالم جزائري جليل كان يُدَرِّس اللغة العربية في مدينة تنبكتو. وقد أوصى بأن تهدى مجموعته إلى المكتبة الوطنية في وطنه الجزائر.

كان وقوفي على فهرس فانيان ربيع عام ١٩٧٥، وحين اعلمني الأستاذ محمود بو عياد بأن هذا الفهرس نادر للغاية وتوجد منه في الجزائر نسخة واحدة تملكها الدار الوطنية، وقد حاولت الجامعة العربية إعادة طبع الفهرست بطريقة التصوير فاعتذر الجزائريون، رغبة منهم في أن يُطبع فهرست كامل لمخطوطات دارهم بالعربية وليس بالفرنسية، تعبيراً عن اعتزازهم بشخصيتهم القومية.

ولأنّ انجاز الفهرست العربي الكامل لمخطوطات الجزائر قد يستغرق وقتًا طويلاً، ولأنّ فهرس فانيان الذي يعرّف بأكثر من نصف مخطوطات الجزائر المحفوظة في المكتبة الوطنية، هو من النوادر كما ذكرت. فقد رأيت خدمة للباحثين العرب أن أنشر في ذيل مقالتي (الموردية) ثبت الفهرست المذكور المتضمن أسماء المخطوطات باللغة العربية مع أرقامها، ليتيسر للباحثين معرفة أغلب محتويات الدار من جهة، ومعرفة أرقامها من جهة أخرى، وليسهل عليهم تصوير ما يحتاجونه.

وهكذا أعدت نشر «ثبت فهرست فانيان» في مجلة «المورد» عام ١٩٧٦، فانتفع به كثيرون.

على أن ما يجب التنبيه عليه هو أن مخطوطات الجزائر - كما اتضح لي فيما بعد - متناثرة وكثيرة وتحتاج وقتًا طويلاً ووعيًا عميقًا للتوصل إليها وفهرستها علميًّا واخصّ بالذكر هنا مخطوطات مكتبات وادي ميزاب الواقع على مسافة (٦٠٠) كيل جنوب العاصمة الجزائرية.

إن وادي ميزاب هذا هو منطقة (الاباضيين) وهم الخوارج وعاصمته (غرداية). وقد نبغ منهم نوابغ كثيرون في شتى علوم الدين والأدب. وكان شاعر الثورة الجزائرية (مفدي بن زكريا) منهم. وكان تراثهم الفكري المخطوط خفيًّا وغير مسجل، حتى ظهرت جمعية التراث بالقرارة التي عُنيت بجمع هذا التراث المخطوط وتسجيله وتصويره بواسطة الوسائل العلمية الحديثة. وقد بدأ العمل عام ١٩٩٢ وتجاوزت بطاقاته عدة آلاف.

وأملنا وطيد في أن ينجز إخواننا الجزائريون - وبينهم الآن مفهرسون نوابغ - فهرسهم الشامل ثم يطبعونه، فيعرِف إخوانهم في المشرق والمغرب بما في الجزائر من كنوز مخطوطة.

(٢)

وذكر العلامة الجاسر أنه وقف في المكتبة الجزائرية على مخطوطة رسالة للفيروزآبادي عنوانُها «تحبير الموشين في الفرق بين السين والشين» كان اطلع على مخطوطة منها في مكتبة الأزهر فاستظرف موضوعها غير أنه لم يتمكن من نسخها أو تصويرها. فطلب صورة من المخطوطة الجزائرية. وما كان يعلم بأنها مطبوعة حتى مرّ بالقاهرة عائدًا فأطلعه العلامة محمود شاكر على مطبوعتها البيروتية.

يقول الشيخ حمد الجاسر: فلم آسف، فقد ظهر لي أن في هذه الصورة ما ليس في المطبوعة ولا في نسخة مكتبة الأزهر. من ذالك ما أورده، وأَوْرَدَ نص

طويلاً يكشف ويشفّ عن جانب من صلة الفيروز آبادي بملوك عصره[٣].

يقول هلال بن ناجي: إن الطبعة البيروتية من كتاب الفيروز آبادي طبعة ناقصة وغير علمية، فالطبعة العلمية هي طبعة العالم الجزائري الجليل محمد ابن أبي شنب الصادرة في الجزائر سنة ١٣٢٧هـ. وقد اعتمد محققها على مخطوطتين إحداهما هي الملحقة بذيل كتابه «القاموس» المحفوظة في مكتبة الجزائر. وأخرى مغربية الخط لم يذكر ابن أبي شنب في نشرته مظنة وجودها.

المهم في الأمر ان طبعة ابن أبي شنب قد اعتمدت المخطوطة الجزائرية التي وقف عليها شيخنا الجاسر (بعد عقود)، وقد تضمنت نشرة الشيخ الجزائري القسم الذي افتقده الجاسر في الطبعة البيروتية غير العلمية وافتقده أيضًا في مخطوطة الأزهر.

لابُدّ من التنبيه على ان كتاب «تحبير الموشين في التعبير بالسين والشين» قد نَهَدَ بتحقيقه محقق جليل آخر هو الدكتور محمد خير البقاعي ونشرته دار قتيبة بدمشق سنة ١٤٠٢هـ (١٩٨٣م).

وقد اعتمد البقاعي في تحقيقه هذا على مخطوطة من الكتاب ظفر بها في دار الكتب الظاهرية بدمشق وعلى طبعة الشيخ ابن أبي شنب الجزائري.

وكلا الطبعتين الجزائرية الصادرة سنة ١٣٢٧هـ والدمشقية الصادرة سنة ١٤٠٢هـ تضمان النص المطول الذي افتقده شيخنا الجاسر في المطبوعة البيروتية التجارية.

والمخطوطات الجزائرية بعامة بحاجة إلى قراءة نصوصها وفحصها من الداخل فكثيراً ما تكشف المجاميع عن نوادر. واذكر انني ربيع ١٩٧٥ كنت اتفحص مخطوطة ساقطة الأول والأخر ساقطة العنوان، قديمة الخط، مجهولة المؤلف، كتب عليها «منتخبات شعرية» فإذا بي اكتشف نسخة نادرة هي ثاني نسختين في العالم من كتاب السريّ الرفاء «المحب والمحبوب» لم يذكرها بروكلمان في كتابه ولا في ملاحقه، ولا عرف مفهرسوا الدار عنوانها واسم مصنفها.

أن رحلات حمد الجاسر تكشف عن الذاكرة العجيبة التي يتمتع بها هذا العالم الجليل فهو حين تحدث عن مخطوطة جزائرية من كتاب «الأنس الجليل» للعليمي التي كان يُعنى بها صديقه العلامة ناصر الدين الأسد. قال: هي مخطوطة سنة ١٠٧٠هـ وتمتاز على المطبوعة بزيادة في آخرها عن حوادث سنتي ٩٠٢ و٩٠٣هـ، بينما المطبوعة تقف عند ذكر بعض حوادث سنة ٩٠١هـ. حتى قال: وآخر نسختين مخطوطتين رأيتهما في المكتبة العامة في تونس برقم ٤٨١٠ و٤٨١١ وهما لا تزيدان على ما في المطبوعة(٤).

ان هذا الكلام يعبر عن طبيعته العلمية السخية في رفد بحوث العلماء من معارفه بأنباء كشوفه التي تتعلق ببحوثهم وتحقيقاتهم. ثم هو يكشف عن قوة ذاكرته حيث اختزنت أين وقفت المطبوعة وبِمَ تفردت المخطوطة.

(٣)

في الخزانة العامة بالرباط أشار العلامة الجاسر إلى وقوفه على مخطوطة من كتاب «المُقْتَضَب من جمهرة النسب»، والمُقْتَضِب هو ياقوت الحموي، وجمهرة النَسَب لابن الكلبي هشام بن محمد بن السائب.

وأشار إلى أن مخطوطة «المقتضب» كانت سقيمة مملوءة تحريفًا وتصحيفًا كثيرة البياض.

يقول هلال بن ناجي: وكتاب «المقتضب من كتاب جمهرة النسب» نشر بتحقيق محقق عراقي هو الدكتور ناجي حسن سنة ١٩٨٧ عن الدار العربية للموسوعات - بيروت(٥) واعتمد محققه على مخطوطتي المغرب والقاهرة، ورأى أن إحدى المخطوطتين ربما نُسخت عن الأخرى، وربما أن كلاً منهما نسخت عن مخطوطة ثالثة لا نعرف عنها شيئًا، لاتفاق أماكن التصحيف والتحريف والسقط في كلتا المخطوطتين. فكان لابُدّ من اللجوء إلى أصل كتاب «جمهرة النسب» لابن الكلبي الموجودة نسخته الخطية في المتحف البريطاني وتتضمن الجزء الأول من «الجمهرة».

ولأنّ مخطوطة المتحف البريطاني لم تكن وافية بالغرض، لأنّها لا تتضمن سوى الجزء الأول من «الجمّهرة»، فقد استعان الدكتور ناجي حسن بمخطوطة كتاب «نسب معد واليمن الكبير» لابن الكلبي، والذي يُظَنّ انه الجزء الثاني من كتاب «الجمهرة»(*).

(٤)

وفي الخزانة العامة في الرباط وقف الشيخ حمد الجاسر على مخطوطة نفيسة عنوانها «مجموع أشعار الحماسة» بخط مغربي مجود، مقطوعاته مرتبة على الحروف حسب ترتيب المغاربة وفيه كثير من الأشعار لشعراء مشهورين ومغمورين ممن لم تصل إلينا دواوينهم. وعَدَّه من نوادر المخطوطات من حيث موضوعه. ثم قدم عرضاً موجزاً لمحتوياته[٦]. ولم يذكر في النسخة المغربية اسم مصنفها. وأضاف الشيخ في ذيل كلامه ما نصه: تبين لي بعد اطلاعي في تونس على «الحماسة» للأعلم الشنتمري، أن الكتاب الذي تقدم وصفه هو نسخة من تلك الحماسة.

وفصّل عند الحديث عن المخطوطة التونسية[٧] الكلام عنها فقال: انها أندلسية الخط، لا نظير لها في حسن الخط العجيب، وجمال الطوالع المذهبة مع كل لفظ بالحمرة في خلال الشطور، وبهوامشها طرر مفيدة جداً. حتى انتهى إلى القول: وعلى هذا تكون هذه النسخة هي التي قدمها مؤلفها الأعلم الشنتمري إلى المعتضد بن عباد ملك اشبيلية، إذْ له ألّف الأعلم أديب عصره ولغويّ زمانه: «شرح الأشعار الستة» و«شرح الحماسة».

ثم قال: ويظهر أن الأعلم شرح «حماسة أبي تمام» وأنه ألّف حماسة على نمطها. ثم انتهى علامة الجزيرة إلى القول: أما الحماسة التي ذكرتها فهي حماسة الأعلم.

يقول هلال بن ناجي: أمّا ان مخطوطتي المغرب وتونس هما نسختان من كتاب واحد فهذا أمر لا خلاف فيه. وأمّا قول شيخنا أن هذا المخطوط هو

حماسة الأعلم فهو غير صحيح في نظري. فالأعلم الشنتمري لم يُصنّف كتاب حماسة مطلقًا، لكنه شرح حماسة أبي تمام ورتّبها ترتيبًا مغايرًا فظنها القارئ غير المتلبث حماسة من صنعه وليست كذالك.

فابن عذارى المراكشي في «البيان المغرب» ذكر أن الأعلم (شرح الحماسة) ولم يقل أنه صنّف كتاب حماسة.

وعنوان هذا الشرح حسبما ورد في المصادر (تجلي غرر المعاني عن مثل صور الغواني والتحلّي بالقلائد من جوهر الفوائد في شرح الحماسة). فهو شرح لحماسة أبي تمام ألّفه أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعلم النحوي الشنتمري.

وقد نشر هذا الشرح بتحقيق علي المفضل حمودان - عن دار الفكر المعاصر في بيروت سنة ١٩٩٢ في مجلدين (١٣٤٢ صفحة).

موطن التصويب هنا أن الأعلم الشنتمري لم يصنف كتاب حماسة. وأن المخطوطتين اللتين ذكرهما الشيخ الجاسر هما نسختان من شرحه لحماسة أبي تمام.

(٥)

وتحدث العلامة الجاسر عن جمال الدين محمد بن علي الشيبي وكتابه «الشرف الأعلى»، وأشار إلى أنه كان من مشاهير علماء مكة في زمنه، وقال: وله مؤلفات منها «تمثال الأمثال» لا يزال مخطوطًا.

يقول هلال بن ناجي: وقد طبع كتاب «تمثال الأمثال» في بيروت سنة ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م) بتحقيق د. أسعد ذبيان في مجلدين. واعتمد محققه في تحقيقه على مخطوطتي الأحقاف ونور عثمانية، ولم يستطع الوقوف على النسخة التي رجع إليها الميمني الراجكوتي وكانت ملكًا للمرحوم محب الدين الخطيب.

(٦)

وعند الحديث عن تعداد مخطوطات مكتبة السيد حسن حسني عبدالوهاب الصمادحي، ذكر الشيخ الجليل أن الأستاذ محمد العروسي المطوي وضع لها

فهرسًا نشر في مجلة «حوليات الجامعة التونسية»[٨].

يقول هلال بن ناجي: إن هذا الفهرس نشر بشكل مقتضب في «حوليات الجامعة التونسية» - العدد السابع الصادر سنة ١٩٧٠ واحتجن الصفحات ١٣٣-٢٧٢ من العدد المذكور. معرفًا تعريفًا مركزًا موجزًا بـ(٩٥١) مخطوطة، أعد هذا الفهرس الأستاذ محمد العروسي المطوي بإشراف الصادق المقدم.

غير أن السيد عبدالحفيظ منصور - وهو شاب تونسي متخصص - عمد إلى فهرسة هذه المخطوطات، مُعَرِّفًا بالمصنفين وتواريخ وفياتهم وبأنواع الخطوط وذاكرًا أرقام كل مخطوطة بعد أن تمّ إيداعها في دار الكتب الوطنية في تونس مع فوائد أخرى كثيرة. وطبع كتابه هذا بعنوان «رصيد مكتبة حسن حسني عبدالوهاب» [قسم المخطوطات - دار الكتب الوطنية] في تونس سنة ١٩٧٥ (ونشر على نفقة المعهد القومي للآثار - تونس ١٩٧٥)[٩].

لقد شدتني إلى هذا المؤرخ الجليل صداقة في أواخر عمره، كانت سببًا من أسباب تحبيب تحقيق التراث ونشره إلى نفسي أيام اقامتي في تونس. وكنت ألاحظ ندرة زواره وإعراض المسؤولين عنه (بسبب رفضه تَوْرخة حياة الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة).

وقد نشرت في «الأديب» اللبنانية طرفًا من هذه الصلة عام ١٩٦٦ إذ قلت: في صلامبو بقرطاجنة المدينة الموغلة عبر التاريخ، وفي دار تطلّ على بحيرتها الصغيرة الساجية، وتحيط بها حديقة غناء، تختلط فيها السقسقة بالزقزقة، يقيم علاّمة تونس وشيخ مؤرخيها السيد حسن حسني عبدالوهاب. وهو برغم كبر اعتوره، ومرض تعاور عليه، ما فتأ يقطع كل أوقات يقظته قارئًا كتبًا، مدققًا محققًا، مجيبًا على رسائل سائليه الكثار، ومحدّثًا زواره القلائل. منذ عام وأنا أقصده كلّ مساء أحد فألقى في بشاشة وجهه، وروحه العلمية السمحة، أبًا وأخًا وصديقًا، فإذا تشعب بنا الحديث عادت إلى ذهني وتجسّدت أمامي طيوف الخالدين من كتاب العرب في عصورهم الذهبية الزاهرة، فأزداد به إعجابًا، ويزداد بي تعلقًا.

ثم تقطع علينا (عُليّة هانم) رفيقة حياته الخالدة، حديثنا المسترسل بإبريق شايها المعطار، فتعيدنا بلطفها وكرمها إلى عالم المادة... وأغادر الدار وفي ذهني أصداء من حديثه الماتع وشذىً من خُلُقه الرائع(١٠).

لقد كان بودي لو انتفع العلامة الجاسر بنوادر هذه المكتبة، ففيها الكثير من كتب التاريخ والجغرافيا والرحلات.

وقد أفدت منها الكثير وحققت ونشرت عدداً من أعلاقها الغميسة - على حدّ تعبير إخواننا المغاربة. فمن ذالك:

١- اعتمادي مخطوطته المعنونة «تحفة أولي الألباب في صناعة الخط والكتاب» لعبدالرحمن ابن الصائغ، أمَّا حين نشرت هذا الكتاب في تونس عام ١٩٦٧.

٢- واعتمادي مخطوطته «جيش التوشيح» للسان الدين ابن الخطيب، أمَّا في تحقيقي ونشري هذا الكتاب في تونس سنة ١٩٦٧ بمشاركة صديقي الفاضل الشيخ محمد ماضور -رحمه الله-.

٣- واعتمادي مخطوطته «المختار من شعر شعراء الأندلس» لابن الصيرفي وهي فريدة في الدنيا في تحقيق هذا الكتاب الذي نشر في بغداد وفي الرباط سنة ١٩٧٦.

٤- واعتمادي مخطوطته النفيسة غير المعنونة، وهي ألفية في الخط لزين الدين شعبان بن محمد الآثاري القرشي، في تحقيق الألفية المذكورة مستعيناً بنسخة أخرى في دار الكتب بالعطارين وثالثة في برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية. وقد نشرت هذه الألفية الفريدة في الخط في بغداد سنة ١٩٧٩.

٥- ثم اعتمادي مخطوطته الفريدة «شرح بانت سعاد» لعبداللطيف البغدادي في تحقيق الكتاب ونشره في الكويت سنة ١٩٨٠.

٦- وأخيراً اعتمادي وأخي المفضال العالم الدكتور زهير زاهد مخطوطة

فريدة في العروض والقوافي مجهولة المصنف والعنوان. هي من ذخائر مكتبة السيد حسن حسني عبدالوهاب، وقد بذلنا جهداً ضخماً للتثبت من اسم مصنفها فإذا به عالم بغدادي جليل من ندماء الخليفة الراضي واسمه أحمد بن محمد العروضي المتوفى سنة ٣٤٢هـ.

وكنا سلمناه للناشر اللبناني سنة ١٩٩٠ فصدر عام ١٩٩٦.

أراني قد استطردت كثيراً في الحديث عن بعض نفائس مخطوطات السيد حسن حسني عبدالوهاب، وكنت آمل أن تطول إقامة علامة الجزيرة في تونس فيكشف من ذخائرها ما يكشف.

(٧)

وأشار الشيخ حمد إلى ما ذكره له السيد عبدالحفيظ منصور من أنه نُدب لوضع فهرس لكتب جُلبت للجامعة الليبية من الجغبوب من الزاوية السندسية تقارب الثلاثة آلاف مخطوطة. وانّ من نوادر تلك المخطوطات (١) نسخة من ديوان «ابن حزم» **كاملة** بخط مشرقي عتيق.

وقد حفزني هذا الكلام إلى مفاتحة صديقي الدكتور زهير زاهد الأستاذ المقيم في جامعة الفاتح بطرابلس الغرب لتصويرها، فلمّا وقف عليها قال: ان ما ذكره السيد عبدالحفيظ وهمٌ محضٌ. وفي المخطوط خمس قصائد لابن حزم مشهورة معروفة، والباقي لشعراء آخرين(١١).

(٨)

من منهج الشيخ الجاسر في رحلاته بحثًا عن المخطوطات، انّ حديثه كان ينصبّ في كثير من الأحيان على المؤلفات النادرة التي لها صلة بتاريخ جزيرة العرب أو أدبها أو جغرافيتها مما هو غير معروف.

غير ان رحلاته هذه كشفت عن خصلة نادرة من خصاله، وهي ايثاره العلماء الآخرين بما يظفر به مما يهمهم. فمن ذالك:

ان جزءاً من كتاب الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- عنوانه «العلل ومعرفة الرجال» صدر عن كلية الألهيات في جامعة انقرة. وكانت رداءة النسخة قد أوقعت محققيه في تحريفات كثيرة. فلما ظفر الشيخ حمد بقطعة من الكتاب في الظاهرية بعث بصورتها إلى الناشرين الفاضلين ليستعينا بها في تحقيق القسم الذي تحويه من الكتاب[١٢].

وسأعود إلى الحديث عن هذه الخصلة الباهرة في موضع آخر.

(٩)

لقد أصاب العلامة حمد الجاسر كبد الحقيقة حين قال: إن فهارس المخطوطات في تركية لا يصح الاعتماد عليها لعدم دقتها، وهناك خلط في تصنيف أسماء الكتب بوضع كتب علم من العلوم ضمن كتاب علم آخر، وكتابة أسماء الكتب بصورة غير صحيحة، ونسبة بعض الكتب إلى غير مؤلفيها، وعدم فحص المجاميع التي قد تضم كتابين أو أكثر، فيكتفى باسم الكتاب الأول.

وقد دلّل على كلامه هذا في مواضع كثيرة.

وقد رأيته يشير إلى بعض نفائس مكتبة أحمد الثالث (متحف طوب قبو) بالاستانة، فيذكر نسخة من «تاريخ مكة» للأزرقي، وهو مطبوع معروف، في ذيلها (رسالة الحسن بن أبي الحسن البصري إلى بعض إخوانه في مكة) في أربع ورقات[١٣].

ومعلوم أن الحسن البصري (المتوفى سنة ١١٠هـ) قد أحرق تراثه بنفسه وان كلّ ما وصلنا من تراثه لا يجاوز رسالة في (القدر) ألّفها ردًّا على الخليفة عبدالملك بن مروان وقد نشرها ريتر سنة ١٩٣٣.

ورسالة في «فرائض الدين» موجودة في بغداد والاسكندرية والمتحف

البريطاني مع اختلاف في عنوانها. أمّا رسالته إلى بعض إخوانه في مكة المكرمة، فهي رسالة ممتعة نافعة، نَهَدَ إلى نشرها صديقنا العالم الفاضل د. سامي مكي العاني بعنوان «فضائل مكة والسكن فيها» وقد طبعها في الكويت سنة ١٤٠٠هـ (١٩٨٠). واعتمد في تحقيقه لها ثلاث مخطوطات: مخطوطة المتحف العراقي ومخطوطة مكتبة رضا برامبور في الهند، ومكتبة البلدية في الاسكندرية.

فكانت نشرته لها النشرة العلمية الأولى - فيما أعلم -.

يقول هلال بن ناجي: فلعلّ النسخة التي أشار إليها الشيخ حمد هي من مخطوطات هذه الرسالة.

(للحديث صلة)

بغداد: هلال بن ناجي

الحواشي:

(١) مجلة «المورد» - العدد الرابع - المجلد الثالث - ١٩٧٤ ص٢٩٦- ٣٠٢.

(٢) ص ٢٠٧ - ٢٣٠.

(٣) «رحلات حمد الجاسر للبحث عن التراث» ص ٢٣ - ٢٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٦.

(٥) وقع الكتاب في ٤٣٢ صفحة.

(*) [«العرب»: إن لم تخن الذاكرة فإن في دار الكتب المصرية مخطوطة من «المقتضب» بخط ياقوت، لعلها نسخت سنة ٦١٦هـ، وقد نسخت منها نسخة سنة ١٣٥٨. استعارها الشيخ محب الدين الخطيب فنسخ عنها نسخة، ومع انها بخط المؤلف ففي بعض المواضع يشير إلى ما اقتضبه من «الجمهرة» في غير هذا الجزء، أما مطبوعة الدكتور ناجي فهي لا تخلو من الأخطاء].

(٦) «رحلات حمد الجاسر» ص ٧١ - ٧٤.

(٧) المصدر السابق ص ١٠٣ - ١٠٥.

(٨) المصدر السابق ص ١١٤.

(٩) وقع الكتاب في (٥٢٠) صحيفة.

(١٠) أعيد نشر دراستي هذه في كتابي «على الهامش»، بغداد ١٩٧٥، ص ٨٩ - ٩٧.

(١١) تلاحظ مقالتنا المعنونة «على هامش فهرس الأحمدية» وهو فهرس أعده السيد عبدالحفيظ، فتناولناه بالتقويم في مجلة «العرب»، ثم أعدنا نشر المقالة في كتابنا «هوامش تراثية» - بغداد - ١٩٧٣. ففيها أوهام كثيرة وقع فيها.

(١٢) «رحلات حمد الجاسر» ص ١٤٩.

(١٣) «رحلات حمد الجاسر» ص ١٣١.

لكلّ صارمٍ نبْوة ولكلّ جوادٍ كبوة

(١)

قلتُ: هذا ووسمتُ به موجزاً حفزني إليه شيء كتبه الأستاذ الدكتور محمود الطناحي المصري -رحمه الله- ونشره في مجلة «الهلال» في عدد شهر آب (أغسطس) من عام ١٩٩٨م، لقد كان بحث الأستاذ الطناحي موسوماً بـ(تَتْرَى)، لقد كان أوّل كلامه بعيداً عن (تترى) لأنه صرفه إلى الشعرِ القديم الذي ألمح فيه الجاهليون إلى البعثة النبوية الشريفة، ثم تحوّل من هذا إلى حكاية (تَتْرَى)، وكان ينبغي أن يجد سبيلاً إلى هذا التخلّص.

وفي كلامه على (تَترَى) أشار الأستاذ الطناحي إليَّ وقال: حدَّثني إبراهيم السامرائي في (مؤتمر مجمع اللغة العربية)[١] عن لحن المشاهير من علمائنا فقال: كان من هذا ما عرض للدكتور طه حسين -رحمه الله- من لحن فقد جاء في مقالةٍ له: (إن الأيّام ستَتْرَى) وقد حسب الأستاذ عميد الأدب أن (تَتْرَى) فعلٌ، ولذالك ألقى عليه السين في صدره، والسين نظير (سَوف).

وقال الأستاذ الطناحي: قال السامرائي: ذكر هذا أحد المصريين الذي ما زلت أذكر شهرته (الشرباصي) في أسطر قليلة نشرها الأستاذ الزيّات -رحمه الله- في باب (البريد الأدبي) في «الرسالة» في عددٍ لا أذكر رقمه لعله في إحدى سنوات العقد الخامس من عام ١٩٤٥ ...

ثم عقّب الأستاذ الطناحي على قولي هذا بقوله: (وأنا أشكُّ في هذا)، وكأنه أراد أن يرضي مجلة «الهلال»، لأني أذكر أني قلتُ له: وإني متأكدٌ ممّا أقوله.

قلتُ: لمَّا كان من هذا الأمر، وما كان من الأستاذ الطناحي الذي شك في صدق روايتي، رأيت أن أحرّر هذا الموجز[٢] فآتي بشيءٍ من أغاليط الكبار وتصحيفاتهم فكان منه:

١ – (الأيام ستَتْرَى) : قلت : جاء هذا في كلام الدكتور طه حسين صاحب البيان المشرق الذي عُنيت به وأنا حدَث ، استوعبت فيه وجوه القول في بلاغة العرب ، ولكن (لكل صارمٍ نبوة) ، لقد ظن عميد الأدب أن (تَتْرَى) فعلٌ فألقى عليه سين التنفيس وفاته أن (تَتْرَى) ، في قول أهل العربية هي (وَتْرَى) ، وهي جمع لـ(وتَير) وهو مما أهمل في العربية[٣].

٢ – وقد عرض لعميد الأدب في كتابه «الأيام» ص ٤٥ أن قال : (تَسَرَّب إليه) وهو يريد (تسَرَّبَ فيه) .

أقول : ولعلنا نجد تعليلاً لما كان من هذا فنذهب إلى القول بـ(التضمين) .

٣ – وجاء في كتاب «الإمتاع والمؤانسة» ١ / ٥٦ من كلام أبي حيَّان التوحيدي يصف الصاحب بن عبّاد : (وهو [أي الصاحب] في كل ذالك يتشاكى ...... ويتفاتل ويتمايل ، ويحاكي المومسات ، ويخرج في أصحاب السماجات ....) .

أقول : وقد مرّ المحقّقان للكتاب الأستاذان أحمد أمين وأحمد الزين بـ(أصحاب السماجات) ولم يتوقّفا في شيءٍ من خصوصية دلالتها ، ولعلهما أدركا في (السماجات) ما هو (سَمْج) أي قبيح في لغة عصرنا ، وتركا الأمر .

وقد نبّه الأستاذ مصطفى جواد على (أهل السماجات) فكتب للمحقّقَين وقال : (وأصحاب السماجة هم حُكاة [أي ممثّلون] هزليّون مضحكون ، يعتمدون في فنّهم على برقشة ملابسهم وغرابتها وغرابة حركاتهم...... وقد عرفوا بهذا الاسم منذ أوائل القرن الثالث للهجرة) .

لقد ورد ذكرهم في «تاريخ الطبري» (ط . الحسينية) في حوادث سنة ٢٢٦ في ١١ / ٤ ، وفي «مقاتل الطالبيين» ص ٨٥ ، وفي كتاب «الديارات» للشابشتي ص ٢٦ ، وفي «أشعار أولاد الخلفاء» ص ١٣٨ ، ٤٩ ، وقال ابن المعتز :

تميــلُ فـي رقصهـمْ قدومُهُـمُ كما تَشَنَّت في الريح سَرْواتُ

ورُكّــبَ القبـح فوق حسنهـم وفـي (سمـاجاتهـم) ملاحـات

وقد شكر المحقّقان الأستاذ مصطفى جواد لتعقيبه ونشراه في ملحق للجزء الثاني من الكتاب. وقد أعاد مصطفى جواد نشر تعقيباته في كتابه «الجهود اللغوية في العراق».

وأقول: كان ينبغي أن يكون من عدّة المحقق لنص قديم أن يدركه فيعرف مما يلزمه لوازمه التاريخية.

٤- قلتُ: وقد طُلب لنفر من الأساتيذ في بغداد أن يصنّفوا كتابًا في البلاغة، وكانوا ثلاثة كنت رابعهم، فاجتمعنا أنا والأساتذة مصطفى جواد وكمال إبراهيم وجميل سعيد، واتفقنا على بدء العمل. وكان الأستاذ مصطفى جواد قد طلب منا أن نعمل الكتاب ليتكفّل بمراجعته وإبداء ما يراه، ولقد انتهى عملنا فقدَّمنا أصوله إلى أستاذنا، فقرأه ولم يكن يشغله من الأمر إلا ما ندعوه سلامة العربية، وأذكر أنّه ردَّه إليَّ بعد إثبات تعليقاته وتصحيحاته.

لقد كان من عادة الأستاذ أن يبكر في عمله، وكان لي أن رأيته في صبيحة يوم وكنّا معًا في المكتب وليس من ثالث لنا فقلت له فيما قلت: لقد رأيتك أستاذي تضرب خطًا تحت قولنا في فاتحة الكتاب: (فَلْيتدبَّر الطالب مادة الكتاب)، فهل يعني ذالك أن العبارة من الخطإ؟

قال: نعم، لأن (التدبّر) يعني النظر في الأدبار، فقلت له: ولكننا نقرأ قوله تعالى ﴿أفلا يتَدبَّرون القرآن أم على قلوبٍ أقفالها﴾ -٢٤ سورة محمد-.

قلت: وأذكر أني لما تلوت له قوله تعالى أُسقِط في يده، فرفع يَدَيْه وقال: احفظها عليَّ.

أقول: إذا كان هذا قد عرض لمصطفى جواد، وهو أعلم من عُرف بين

المصحّحين لحفظه الكثير، فكيف نقول في سائر الآخرين الذين باشروا هذا الفن وهم ينقلون ما قاله الأوائل منذ عصر ابن قتيبة إلى الآخرين وقد ختموا بالحريري الذي عقّب عليه الخفاجي، ولم يكتفوا بهذا بل أفادوا مما ذكره الآلوسي واليازجي وغيرهما.

أليس لي أن أقول: لكلّ صارمٍ نبوة؟

لقد فارقني هذا الجمع الكريم - رحمهم الله برحمته الواسعة -.

٥- ومن هذا الذي وقفت عليه ما كان للمحقق لكتاب «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد، والمحقق هو محمد أبو الفضل إبراهيم الذي قدَّم مما حقّق كتبًا نفيسة أحسن فيها كل الإحسان.

أقول: وفي «شرح النهج» مادة تتصل بالشيعة وما فيها من خصوصيات، وغير القريب من هذه الفوائد قد يعرض له الخطأ.

ومن هذا ما كان للشيعة من (نبز) لأبي بكر الصديق - رضي الله عنه -، فكانوا يدعونه (أبا الفصيل)، و(الفصيل) بمعنى (البكر). فجاء الأستاذ الجليل المحقق فوقف على (أبي الفصيل)، ولم يفطن للنكتة فجعلها (أبا الفضيل) بالضاد المعجمة، وهكذا كان، وهي على الأصل الصحيح في هذا الكتاب في طبعته القديمة غير المحقّقة.

٦- وقرأت في كتاب العثمانية للجاحظ في صنعة الأستاذ عبدالسلام هارون -رحمه الله-، وكان مما عرض له الجاحظ شيء يتصل بما ينبغي أن يكون للإمام، وقد جاء أن من شرائط الإمامة (الفروسية).

وعجبت أن تشترط بعض طوائف المسلمين هذا الشرط، وأن الإمام لابد أن يكون فارسًا!! وأطلت نظري وقلت: لابدّ أن تكون (الفروسية) التي أثبتها المحقق هي (القُرَشية). وإني قد ذهبت إلى هذا لما أعلمه من أن بعض الفرق

قالت بالأثر المشهور: (الأئمة من قريش)، وهذا القول هو الذي تردّد في حديث (السقيفة).

أقول: لم يفطن المحقق، وهو الخبير الحاذق بصنعته، إلى أنّ ضمّة القاف في (القرشية) قد أسيء وضعها فصارت واواً بعد الراء، ثم إن الإعجام والإهمال بين السين والشين أمر وارد، فكان من هذا ما كان.

٧- وقرأت في موجز لطيف في «تاريخ اللغات السامية» للمستشرق (نولدكه)، كان الأستاذ الدكتور رمضان عبدالتوّاب قد نقله إلى العربية كلمة (شنفره) [كذا] وصوابها (الشنفرى) الشاعر الجاهلي. وكأن المترجم نقل الاسم بصورته في الأحرف اللاتينية (sanfara) ولا أدري كيف كان هذا؟ وصاحبي الأستاذ من أهل العلم المبرّزين.

٨- وقرأت في كتاب «المفصل في تاريخ العرب القديم» للأستاذ جواد علي: (الأحابيش) هم الأحباش.

أقول: كان ينبغي أن يكون الأستاذ جواد علي من أهل الأدب القديم أيضًا ليكون في طوقه أن يبسط مادته التاريخية.

إن (الأحابيش) في كتب اللغة: أحياء من القارة انضمّوا إلى بني ليث في الحرب التي وقعت بينهم وبين قريش قبل الإسلام... وقد سُمِّيت تلك الأحياء بالأحابيش من قِبَل تجمّعها، والتحبيش هو التجميع. ولي أن أضيف فائدة أخرى هي أن (حُبْشيّ) جبل بأسفل مكة منه سُمّي (أحابيش) قريش، وذالك أن بني المصطلق وبني الهون بن خزيمة اجتمعوا عنده فخالفوا قريشًا......

أقول: كان ينبغي للأستاذ المؤرخ أن يلمّ بلوازمه وهو يتصدّر لكتابٍ «مفصّل» في تاريخ العرب.

خاتمة: أقول: كان لهذا الموجز أن أرسله إلى مجلة «الهلال» لأنّ بحث الأستاذ محمود الطناحي قد نشر في هذه المجلة كما أشرت، ولم أكن من أصحاب هذه المجلة، ولا الذي ينشر فيها من شجونٍ عامة قريب منّي.

وقلت: إنَّ أصحاب المجلات الجديدة أصحاب هوى، ولرئيس التحرير في أيّ منها مزاجه وهواه، ولما كنت لا أعرف رئيس تحرير «الهلال»، أرسلت هذا الموجز إلى صديقي الأستاذ وديع فلسطين ليصل بيني وبين صاحبي هذا. لقد ذهب صديقي الأستاذ وديع فلسطين ولم يفلح فيما أراد، بل ان رئيس التحرير قضى بسطوته أن ينشر في صفحة واحدة، وكان هذا الذي ظننت في الأساتيذ الجدد الذين شمخوا بـ(الدكترة).

وأعود فأقول: لقد أريد لنا أن نؤمن بهذا الجديد الذي جاش فيه القوم فكيف العمل!

(للبحث صلة)

د. إبراهيم السامرائي

الحواشي:

(١) كان هذا في مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة الذي شُغل فيما شُغل به بمسألة الأساليب وسلامة اللغة.

(٢) قلتُ (هذا الموجز)، وأنا أجتزئ به عن كثير مما لديّ من هذا في أدب المشاهير فضلاً عن غيرهم من الذين سطع نجمهم وعلا ذكرهم من أصحاب (الحداثة والمعاصرة).

(٣) لقد أشار إلى هذا الذي نُسي من أبنية العربية الأستاذ مصطفى جواد وجعل منه كلمة (فَوْضَى) فقال: إنها (فَضَى) جمع لـ(فضيض) وقد أهمل هذا المفرد.

قلت: صدق الأستاذ مصطفى جواد - رحمه الله - ويدلّ على أن (فَوْضَى) جمع قول الأفوه الأودي:

لا يصلح الناس فَوْضَى لا سَراةَ لهم ... ولا سَراةَ إذا جُهّالهم سادوا

ثم تطوّرت دلالة (فَوْضَى) من معنى (المتفرّقين) إلى ما هو معروف لدينا منه من سوء النظام وعدمه.

مضمون الفيء في النهج الاقتصادي الإسلامي

(١)

التمهيد: قسم أغلب الفقهاء مكاسب الحرب على قسمين رئيسين هما: الفيء والغنيمة، فالفيء: ما نيل من أهل دار الحرب قبل لقائها، كأهل حصن زحف عليهم جيش المسلمين، وضيق عليهم الخناق، وشعروا أن لا قِبَلَ لهم بالمقاومة، فاتفقوا على إعطاء مبلغ من المال دون قتال، أو أهل قرية بلغهم خبر زحف جيش المسلمين إليهم، فبعثوا بمال لهم قبل أن يحل الجيش بساحتهم[١]، فهو والحالة هذه مال وصل من الكفار (العدو) من غير قتال، ولا بإيجاف خيل ولا ركاب[٢]، وهو أيضًا كمال الصلح والجزية، وأعشار متاجر أهل دار الحرب، أو ما كان واصلاً بسبب من جتهم؛ كمال الخراج[٣].

أما مال الغنيمة: فهو ما نيل من أهل الشرك عنوة وحربًا، إبان قيام الحرب، وبعد أن تضع الحرب أوزارها ويهزم العدو[٤]، والغنيمة أصل تفرع عنه الفيء، فكان حكمها أعم[٥].

ويتلمس الدارس لتاريخ الاقتصاد الإسلامي، وجود عدة معانٍ لمصطلح مفردة (الفيء)، التي أخذت تشكل أحد الموارد المهمة لبيت المال، ولكن هذه (المفردة) لها معناها اللغوي المحدد، كما أصبح لها معناها الاصطلاحي المعلوم، الذي ظهر وتبلور خلال الحقب التاريخية التي مرت بها الدولة العربية الإسلامية.

وتفسر المعاجم اللغوية لفظة (فيء) بـ(الرجع)، ففي هذا الصدد قال ابن منظور: الفيء استرجاع الشيء... والفيء ما رد الله على أهل دينه[٦]. وقد واءم (قدامة)[٧] المفسرين وأصحاب المعاجم اللغوية فيما ذهبوا إليه بشأن معنى الفيء.

البدايات الأولى للفيء: تظهر البدايات الأولى لمضمون (الفيء) في الإجراء الذي اتخذه الرسول ﷺ حيال أموال بني النضير، الذين استسلموا

للرسول ﷺ بلا قتال، فتصرف النبي ﷺ بأموالهم بطريقة تختلف عن تصرفه في قسمة غنيمة الحرب، فالأموال التي تم الحصول عليها دون جهود قتالية، لا يمكن أن توزع على وفق ما هو متعارف على توزيعه من الغنائم، التي تم الحصول عليها بعد أن خاض الجيش الإسلامي معارك ساخنة ضد العدو، وربح أمواله(٨)، وأحسب أن الرسول ﷺ كان يرى أن الأموال التي يتم الحصول عليها بلا قتال؛ إنما هي حق الأمة، وهكذا فعل ﷺ حيال ما حصل عليه من أموال بني النضير، و(فدك) و(تيماء) و(وادي القرى)(٩) لأن الله خلق الناس لعبادته، فبكفر الكافرين استبيحت أموالهم لمن يعبد الله(١٠).

صحيح أن أموال بني النضير آلت إلى الرسول ﷺ بلا مجهود قتالي إلا أنه خصص جزءاً منها للمسلمين، ذالك أن منازل بني النضير تقع على بعد فرسخين من المدينة المنورة(١١)، وقد توجه مقاتلة المسلمين إليها وحاصروها، إلا أن بني النضير استسلموا للرسول ﷺ قبل أن ينشب القتال(١٢)، والمهم في الأمر؛ أن الأموال التي تم الحصول عليها من بني النضير لم تُعامل على وفق ما جاء في الآية الكريمة: ﴿فَمَا أَوْجَفْتُم عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ﴾(١٣)، كما أنها لم تُعامل في الوقت نفسه على وفق ما يجب أن تعامل به أموال الغنائم؛ حيث يوزع أربعة أخماسها على الجند الذين أسهموا في الحصول عليها من العدو، وإنما عوملت على أساس حالة توفيقية بين ما يجب أن تُعامل به أموال الفيء، التي يتم الحصول عليها بلا إيجاف خيل ولا ركاب، وما يجب أن تُعامل به أموال الغنيمة، ذالك أن الرسول ﷺ اكتفى بأن وزع جزءاً من الأموال على الجند الذين قدموا معه إلى منازل بني النضير، وأبقى الجزء الآخر لنفسه على أساس أنه (فيء)(١٤)، وأحسب أن الرسول ﷺ أقدم على هذه الخطوة التوفيقية لأن محصلة مآل أموال بني النضير لم يوجف المسلمون عليها بخيل ولا ركاب بشكل كامل، وإنما حصل (إيجاف الخيل والركاب) ولكن لم يحصل، ولم يتحقق المجهود القتالي الذي كان يعقب عمليات الإيجاف عادة.

ومن المرجح، لا بل المؤكد، أن الرسول ﷺ اتخذ إجراءه المذكور آنفًا، منطلقًا من هذه الرؤية لهذا الحدث، ولم يجعل الأموال التي حصل عليها من بني النضير على وفق المضمون اللغوي لمفردة (الفيء)، بل استثنى قسمًا منها[١٥]، وهكذا يمكننا أن نتلمس أن مفهوم مصطلح (الفيء) في حالة ضم منطقة ما إلى حظيرة الدولة الإسلامية بعقد وشروط، يأخذ له مَنْحًى متميزًا، كما أنه في الوقت نفسه يوضح أن للرسول ﷺ، أو الإمام من بعده، حرية التعامل بالأموال التي يتم الحصول عليها من العدو، وإن كان هذا التعامل لا يخرج عن إطار مصلحة الجماعة الإسلامية في كل الحالات، في حين نجد أن الرسول ﷺ يطبق مصطلح مفردة (الفيء) اللغوي في الأموال التي حصل عليها من (فدك) و(وادي القرى) و(تيماء) ذالك أن عمليات انضواء هذه المناطق الثلاث تحت لواء الدولة الإسلامية قد تمت بلا إيجاف خيل ولا ركاب، بصورة منطبقة على فحوى مضمون المصطلح اللغوي لمفردة (الفيء)[١٦] على وفق ما جاء بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ، فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ. وَلكنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ واللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَى فَلِلَّهِ ولِلرَّسُولِ وَلِذي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وابْنِ السَّبِيلِ، كَيْ لاَ يَكُونَ دَوْلَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾[١٧].

ومن هنا يتضح أن النهج الاقتصادي الإسلامي يُعَدّ الأموال - النقد والعينية - التي يتم الحصول عليها بلا تجييش الجيوش، وتجهيزها، فيئًا خالصًا، للإمام حق التصرف بها على وفق منطوق الآية الكريمة المشار إليها توًّا، وبذالك لم يقسم الرسول ﷺ أرض بني النضير و(فدك) و(تيماء) و(وادي القرى)، بل احتفظ بها كي تغطي نفقاته الخاصة، التي أوضحتها الآية الكريمة التي خاطب الله عز وجل رسوله الكريم ﷺ: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَا أَحْلَلْنا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاتي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكَ﴾[١٨]، ومن هنا يتضح أن للنبي ﷺ الحق في أن يتصرف بأموال الفيء لأموره الخاصة، وفي الوقت نفسه

يجوز له أن يوجه جزءاً من ريع الفيء لسد نفقات عامة تتطلبها الجماعة الإسلامية، أو الدولة الناشئة[١٩].

التطورات التي حصلت على مضمون الفيء: والحق أن مفهوم الفيء كان قد حُدِّدَ شكله ومضمونه منذ عهد الرسول ﷺ، فبانت معالمه، وتأطرت أبعاده، ولكن في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حصلت بعض المستجدات، وبخاصة بعد القرار الجريء الذي اتخذه الخليفة الراشد الثاني، بالإتفاق مع الصحابة، بعدم توزيع الأراضي المحررة على الجند الذين أسهموا في تحريرها، ورغب في ألا تكون جزءاً من الغنيمة[٢٠]، وبذالك ظلت تلك الأراضي الزراعية تستثمر من قبل عمالها السابقين، على أن يدفعوا عن إنتاجها الخراج الذي عده الفقهاء فيما بعد جزءاً من الفيء، وبذالك أصبحت تلك الأراضي ملكًا للأمة، وفيئًا للمسلمين ما تناسلوا[٢١]، على الرغم من أن هذه الأراضي في الأصل جزء من الغنيمة، أو من أموال الغنائم غير المنقولة التي تم الحصول عليها بجهد قتالي عصيب، من خلال إيجاف خيل وإعداد ركاب، وفي هذه الحال يجب أن تخمس؛ ولكن ذالك لم يحدث، لأنه أخذ باجتهاد الإمام، وعندئذ انسحب مضمون مفردة الفيء إلى أحد موارد بيت المال المستمرة، ولم يعد مقتصراً على التفسير الحرفي للآية الكريمة: ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ﴾، وإنما أصبح يعني، فيما يعني، مورداً من موارد بيت المال الدائم الجريان والتدفق، وجاء في أعقاب معارك طاحنة، حقق من خلالها المسلمون انتصارات كبيرة وحاسمة على عدوهم.

وإذا دققنا النظر مليًّا؛ نجد أن جزءاً من الغنيمة التي آلت إلى المسلمين عنوة وحرباً، يصبح فيئًا في المفهوم الاصطلاحي للفيء، وهذا الجزء أعني به (خمس الغنيمة) الذي يصبح سبيله سبيل الفيء، الذي مآله إلى بيت المال، شأنه في ذالك شأن الفيء الذي سبق أن قلنا أن مآله - هو الآخر - إلى بيت المال، لينفق مع خمس الغنيمة، وبقية موارد بيت المال الأخرى، في مصالح المسلمين عامة[٢٢].

وحصل تطور آخر على مضمون الفيء في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، إذ جعله وقفًا على المسلمين جميعًا، وقد استند في إجرائه هذا على مضمون قوله تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ... مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ... لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا... وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا﴾[٢٣].

إن استشهاد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بالآية الكريمة ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، يعني أن الخليفة أراد أن لا تكون فائدة الفيء مقصورة على الحاضرين من المسلمين، بل ضَمَّنَ نصيبًا للأجيال القادمة[٢٤]، ويرى (أبو عبيد)[٢٥] أن الآية المشار إليها توًّا نسخت آية الغنيمة التي جاءت في سورة الأنفال (آية ٤١)، لأن سورة الأنفال نزلت بشأن معركة بدر، بينما نزلت سورة الحشر (آية ٦) بشأن بني النضير[٢٦].

وبلا ريب؛ فإن آية الفيء المشار إليها توًّا ترجح حق المهاجرين في الفيء وتؤكده، ومع ذالك فإن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ لم يقصره عليهم[٢٧]، كما أنه فطن لما أصابت قبيلة (بجيلة) من فيء سواد العراق، فحبسه عنها، بعد أن تمتعت (بجيلة) بهذا الحق ثلاث سنين[٢٨]، وأحسب أن هذا الإجراء تطور جديد، حصل على مضمون الفيء، ذالك أن المسؤولين في الدولة عدوا كل الأراضي المحررة أو المفتوحة فيئًا موقوفًا لجميع المسلمين[٢٩].

ويخال لي أن الفقيه أبا يوسف (ت ١٨٢هـ) عد الفيء نوعًا من الضريبة، أو أنه عده أحد الموارد العامة لبيت المال، فقرنه بخراج الأرض التي ضمت إلى أملاك الدولة عنوة وحربًا، أو قرنه بضريبة الخراج المفروضة على الأرض الخراجية، فقال: (الفيء هو الخراج)[٣٠]. وتبدو الصورة أكثر وضوحًا عندما قال (أبو يوسف): (هو الخراج والجزية)[٣١]، وعندئذ يؤكد (أبو يوسف) بما لا لبس فيه ولا إشكال، أن الفيء مورد من موارد بيت المال ليس إلا،

وبذالك ابتعد عن معناه ومضمونه في بدايات قيام الدولة الإسلامية من كونه مال (غنيمة) جاءت بلا قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب.

في حين ذهب قدامة (ت ٣٢٧هـ) إلى أبعد من ذالك حين تمسك بالتفسير اللفظي لكلمة (فيء) التي تعني الرجوع، فقال: إن الفيء اسم للرجوع، لأن عملية جمع الفيء وتحصيله واستيفائه تتطلب من المسؤولين عنه الرجوع، أو العودة، في كل سنة إلى المكان أو الجماعة، لأخذ الفيء منهم[٣٢]، وهنا يقترب معنى (الفيء) عند (قدامة) من المعنى العام الذي ذهب إليه (أبو يوسف)، والذي أشرنا إليه قبل قليل، فيمسه مسًّا لينًّا، من جانب كونه موردًا من موارد بيت المال، أو هو ضريبة متحققة تستوجب من القائمين عليها الرجوع والمعاودة إلى من تجب عليه في أوقات محددة.

ومن الواضح أنه حتى في الحقب المتأخرة التي توسع فيها مفهوم مصطلح الفيء، فإن المستثمرين للأرض المملوكة للدولة مارسوا عليها سلطة كبيرة، فاقت في بعض الأحيان سلطة الدولة عليها، وكانت هذه الأراضي في الأعم الأغلب قابلة للتوراث والرهن[٣٣].

ومنعًا لحصول نضوب في موارد الدولة، أو بيت المال، أفتى الفقهاء بكراهية شراء المسلم للأرض الخراجية[٣٤]، وفعلاً رفض الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، الإعتراف بشرعية ملكية مسلم (عتبة بن فرقد) اشترى أرضًا خراجية في سواد الكوفة[٣٥]، ولكن ليس لدينا ما يشير إلى أن عملية البيع هذه لم تستأنف فيما بعد.

(للبحث صلة)

جامعة بغداد - كلية الآداب؛ د. حمدان عبدالمجيد الكبيسي

الحواشي:

(١) أبو عبيد، «الأموال»، ص ٢٣ و ٢٦٨. ابن زنجويه، «الأموال»، جـ٢، ص ٥٨٣ و ٥٨٦. الصابوني «صفوة التفاسير» جـ٣، ص ٣٤٩.

(٢) الماوردي «الأحكام السلطانية» ص ١٢٦.

(٣) ابن زنجويه «الأموال» جـ٢، ص ٥٨٣.

(٤) أبو عبيد، «الأموال»، ص ٢٦٨. ابن زنجويه، «الأموال»، جـ٢، ص ٥٨٣ ابن منظور «لسان العرب» (مادة غنم).

(٥) الماوردي «الأحكام السلطانية» ص ١٣١.

(٦) ابن منظور «لسان العرب» (مادة فيأ). ابن خلدون «المقدمة» ص ٤٥.

(٧) قدامة «الخراج» ص ٢٠٤.

(٨) الواقدي «المغازي» جـ١ ص ٣٧٧. ابن آدم «الخراج» ص ٣٣. البلاذري «فتوح البلدان» صص ٢٤- ٢٥. ابن الأثير «الكامل» جـ٢، ص ١١٩.

(٩) الواقدي «المغازي» جـ١ ص ٣٧٩. البلاذري «فتوح البلدان» صص ٢٥- ٢٦ و٣٦ و٤١- ٤٢. ابن الأثير «الكامل» جـ٢، ص ١١٩ و١٥٢.

(١٠) ابن تيمية «السياسية الشرعية» ص ٤٠.

(١١) ياقوت «البلدان» جـ١، ص ٤٥.

(١٢) البلاذري «فتوح البلدان» ص٢٤-٢٥. اليعقوبي، تاريخ، جـ٢، ص٤٠. ابن الأثير «الكامل» جـ٢، ص١١٩.

(١٣) (سورة الحشر) آية ٦.

(١٤) ابن هشام «تهذيب سيرة ابن هشام» ص ٢٠٧.

(١٥) البلاذري «فتوح البلدان» ص ٢٥.

(١٦) البلاذري «فتوح البلدان» ص ٣٦ و٤١- ٤٢. الطبري «تاريخ الرسل» جـ٣، صص ١٩- ٢٠.

(١٧) (سورة الحشر) آية ٦- ٧. ابن هشام «تهذيب سيرة ابن هشام» صص ٢٠٧- ٢٠٨.

(١٨) (سورة الأحزاب) آية ٥٠. (ينظر: الصابوني «صفوة التفاسير» جـ٢، ص ٥٣١).

(١٩) الواقدي «المغازي» جـ١، ص ٣٨٧. الماوردي «الأحكام السلطانية» ص ١٢٧.

(٢٠) أبو يوسف «الخراج» ص ٢٥. ابن آدم «الخراج» صص ٢٧- ٢٨. ابن زنجويه «الأموال» جـ١، ص ١٩١.

(٢١) أبو يوسف «الخراج» ص ٢٥. ابن آدم «الخراج»، ص ٢٨. أبو عبيد «الأموال» ص ٦٥. ابن زنجويه «الأموال» جـ١، ص ١٩١ و١٩٤ و١٩٦.

(٢٢) أبو عبيد «الأموال» ص ٢٣.

(٢٣) سورة الحشر، آية ٦- ١٠. (ينظر: أبو يوسف «الخراج» ص ٢٣ و٢٧. أبو عبيد «الأموال» ص ٢٢).

(٢٤) أبو يوسف «الخراج» ص ٢٣ و٢٧. البلاذري «فتوح البلدان» ص ٢٣ و٣٦ و٤١.

(٢٥) «الأموال» ص ٢٣٤.

(٢٦) ينظر: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، «أسباب النزول» ص ٢٣٦. الصابوني «صفوة التفاسير» جـ١، ص ٥٠٥.

(٢٧) البلاذري «فتوح البلدان» ص ٢٥.

(٢٨) أبو يوسف «الخراج» ص ٣٢. أبو عبيد «الأموال» ص ٦٧. ابن زنجويه «الأموال» جـ١، صص ١٩٧- ١٩٨. البلاذري «فتوح البلدان» ص ٢٧٦.

(٢٩) أبو يوسف، الخراج، ص ٢٧.

(٣٠) ن. م، ص ٢٣.

(٣١) ن. م، ص ٢٥.

(٣٢) قدامة «الخراج» ص ٢٠٤.

(٣٣) أبو عبيد «الأموال» صص ٦٤- ٦٥ و٨٠. ابن رجب الحنبلي «الإستخراج في أحكام الخراج» صص ١٢- ١٣.

(٣٤) ابن آدم «الخراج» ص ٥٤. أبو عبيد «الأموال» ص ٨٠. ابن زنجويه «الأموال» جـ١، ص ٢٣٦. ابن عبدالحكم «سيرة عمر بن عبدالعزيز» ص ٥٧ و٦٠ و٩٥ و١٥٢.

(٣٥) أبو عبيد «الأموال» ص ٨٠. ابن زنجويه «الأموال» جـ١، ص ٢٣٤.

تحقيق التراث ونشره

- الأهمية والغاية -

انتشرت أو نشرت فكرة بين جملة من المدرسين والدارسين ادّعت عدم جدوى تحقيق النصوص، وعدم الفائدة العلمية لمن يقوم به، وبعضهم كان يقول جهلاً: إنه مضيعةٌ للوقت وإنه عمل آلي يضيع الجهد فيه باعتباره تطفلاً على جهد عالم آخر، وليس جهد القائم به، فما للقائم به سوى إخراجه بعد نسخه، وتوضيح قضاياه، وتخريج شواهده، أستشهد مسبقًا بقول الشاعر البغدادي:

لا يعرف الشوق إلاّ من يكابده ولا الصبابة إلاّ من يعانيها

وبمقولة حكيمة شائعة: الناس أعداء لما جهلوا.

لو استعرضنا تاريخنا الحضاري وخصوصًا العلمي منه لوجدنا مثل هذه الفكرة شاعت أو أشيعت عن علم النحو ودراسته، وكذا عن الشعر وجدواه، وعن علم العروض والفلسفة، ووجدنا من العلماء من نهد للدفاع عن كل ذالك، دفاعًا علميًا لا ينكره إلاّ معاند، لا شأن له في الوصول إلى الحقيقة العلمية، لكني لم أقرأ لأحد دفاعًا عن تحقيق التراث وإثبات أهميته وضرورة الاهتمام به، والدعوة إلى التخطيط لتنظيم العمل لإنجاز ما ينبغي مما يستحق إنجازه إلا قليلاً وبصوت يشبه الصمت، حتى حينما قررت (جامعة الأزهر) إلغاء تحقيق النصوص موضوعًا للرسائل العلمية، بعد أن كان ذالك مجازًا بل مباحًا فيها، بدلاً من أن تدعو إلى تقنين العمل فيه وتنظيمه بوضع شروط علمية للباحثين.

لقد وقف عبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) وقفته للدفاع عن رواية الشعر وعن النحو، وإثبات أهميتهما للدارسين في حفظ اللسان، وإدامة اللغة سليمة على ألسن الناطقين بها، واستخفّ بمن فهمهما فهمًا سطحيًا، فخفيت عنه

أسـرارهمـا. . («دلائل الإعجـاز» ص ٢١، ٢٥، ٧٧) وكـذا خـصـص ابن رشـيق القيـرواني بابًا في بداية كتابه «العمـدة» في فـضـل الشـعر، ودافع السـيـرافي (ت ٣٦٨هـ) عن النحو وأظهر أهمـيـتـه في المناظرة المـشـهورة التي جرت في بغداد سنة ٣٢٠هـ بينه وبين المنطقي مَتَّى بن يونس، وقـد ظهـر فـيـهـا عليـه شـارحًـا طبـيعـة النحـو وأهمـيـة قـواعـده وضـوابطه، وحـاجـة اللسـان إليـه نـظامًـا يربط بين اللسـان والفكر، وأكـد حاجـة المنطقي للنحو أكثـر من حاجـة النحـوي للمنطق. (انظر «الإمـتـاع والمـوانسـة» الليلة الثـامنة) ثم نـهـد أبو الحـسـن العـروضي (ت ٣٤٢هـ) مـدافعًا عن علم العروض، مـبـينًا أهمـيته للعـالم والأديـب وقـارئ الأدب والشـعر منه خاصـة، كمـا هي أهمـيـته للغـوي والنـاقـد وكل من غـايتـه قـراءة النص الشـعـري قـراءة سـلـيـمـة، ووازن بين من يحـسـن هذا العلم وبين من يـجـهـله، وقـد خـصـص له بابًـا سـمـاه (باب الحض على تعلم علم العروض ومـا فـيـه من الفـضـل الذي يجـهـله كـثيـر من الناس)، بدأه بقـولـه: (اعلم أن علـم العـروض ينـفـع منـفـعـة ليـسـت باليـسـيرة، وكثـيـر من النـاس يزعـم أنه وسـواس وهـذيان، وأنه غـيـر نـافـع ولا مـفـيـد، بـل هو علم مـسـتغنىً عـنه). ثم انطلق في دفـاعـه ببـيان أهـمـيـتـه، ثم بيـان مـواقف الحـرج لمن يجـهـلونـه ومنهم من كـان ذا علم وشـهـرة [انظر «الجـامـع في العروض والقوافي» ص ٣٥].

نحن إذ نـتحـدث هنا عن أهمـيـة تحـقـيـق التـراث ونشـر النصـوص، ينبـغي لنا أن نؤكـد ضـرورة الاهـتـمام بالتـراث، ثم تـحـديد مـا ينبـغي الاهـتـمام بـه وتـحـديد زمنـه، فالاهـتـمـام بـدقـة الرواية ووسـائل نقـل العلم، ثـم التـدقيق في أخذه وفـحص نـصـوصـه المكتـوبـة فحصًـا أدى إلى ضـبطه وكـشـف الـزائـف المـوضـوع مـنه، كل ذالك جـرى بجـهـود العلمـاء القـدامى وبخـاصـة في مجـال الحـديث النبـوي الشـريف، حتى ظهـر علم الجـرح والتـعـديل للوصـول إلى هـذه الغـاية [انظر تفـصـيـل ذالك «في منـاهـج تحـقـيـق التـراث» للدكـتـور رمـضـان عبـدالتـواب ص ١٣ - ٥٣] لـقـد كـان ذالك في

عصر المخطوطات، ولكن عند دخول العالم العربي والإسلامي في عصر الطباعة نجد انعدامًا للتوازن الحضاري بين عالمين: الغربي والإسلامي، فالغرب قد بدأ نهضته الحضارية بعد الثورة الصناعية وحقق آفاقًا واسعة في مجال العلم والأدب والاجتماع وصاحبت هذه النهضة حركة سبقتها وواكبتها لإحياء التراث اليوناني والإغريقي مع الإنكباب في العصر الوسيط على المنجزات العلمية للعلماء المسلمين في مجالات العلم المختلفة والفلسفة وجوانب من الأدب كما كان من آثار «ألف ليلة وليلة» وغيرها في آدابهم، وإلى جانب هذا الأخذ والإفادة ظهر تيار لاهوتي شديد التعصب على الإسلام حاول بما صنف من كتب وأعمال أن يزدري بالحضارة الإسلامية وينتقص منها ويصورها بأنها أصداء للحضارة الإغريقية بما ترجمه العرب قديمًا من آثار اليونان في الطب والفلسفة وغيرهما من العلوم واصفًا الفكر الإسلامي بالجمود.

فقد زعم بعضهم على سبيل المثال أن الفارابي قرأ كتاب «الطبيعة» لارسطو أربعين مرة وكتاب «البلاغة» مئتي مرة مما دفع بفيلسوف مشهور مثل هيجل إلى القول: (إنّ معدة الفارابي كانت شديدة الهضم) وكرر استخفافه في كتابه «محاضرات عن تاريخ الفلسفة» واصفًا التاريخ السياسي للعالم الإسلامي بقوله: (إنه مجرد معرض للتغيرات الدائمة) وقد كان يرى في الإسلام (ظاهرة لا شكل لها ولا صورة) [انظر «مناهج العلماء المسلمين» لروزنتال ص ١٤، ١٨].

وشاعت على لسان هاؤلاء المستشرقين في العرب والحضارة الإسلامية أحكام عامة يغلب عليها التعصب وعدم الموضوعية، وتعميم بعض الجزئيات والأحكام الفردية على القضايا العامة، كما حاول المستشرق (دوتي Doughty) تعليل تأخر البحث العلمي عند المسلمين في كتابه «أسفار في الصحراء العربية» معتمدًا على روايته قول شيخ من شيوخ العرب في (العلا): (وما حاجة هذا العلم

كله، فلا حاجة إلا لشيء واحد هو أن يعرف الإنسان أن لا إله إلا الله وما خلا هذا لا قيمة له ولا نفع..) [«مناهج العلماء المسلمين» ص١٦].

وقد وقع بعضهم في تناقض بأحكامه كما كان للمستشرق (فون كريمر) وهو أحد الرواد في تاريخ الحضارة الإسلامية كما يصفونه، فقد حاول أن يوفق بين ما يشاع من أحكام الجمود الحضاري في الشرق وبين ما اكتشف من معارف تدل على حركة فكرية ومعرفية، فبينما هو يثني على النشاط الفكري لدى العرب في مجال المعرفة التجريبية، ويعجب بملاحظاتهم واجتهاداتهم في مجالات العلوم والإبداع (بصفتهم أصحاب ملاحظة دقيقة وبصفتهم مفكرين مبدعين فانهم قد أتوا بأعمال رائعة في حقلي الرياضيات والفلك، وللسبب ذاته نجح العرب في التشريع وفي وضع قواعد اللغة من صرف ونحو في شكل شامل محكم) بينما هو ينساق بهذا الإعجاب إذا به يعود فيقول: (ولكن من جهة ثانية نجد أنهم في حقل المعرفة النظرية والتفكير التجريدي لم يستطيعوا أن يتعدوا حدود الفلسفة الارسطوطاليسية والأفلاطونية. وعندما كانوا يحاولون الخروج من إطار الفلسفة الإغريقية كان الخيال الشارد يؤدي بهم إلى خيالات وأوهام). [المرجع السابق].

إنّ هذا التناقض في الأحكام إلى جانب التعصب والتحيز في النظر إلى الحضارة الإسلامية يفسره (روزنتال) تفسيراً موضوعيًّا بقوله: (وكثيراً ما يشوّه آراء الغربيين في البحث العلمي عند المسلمين شعورهم بالتفوق والعلو شعوراً لا يرتكز على منطق، فمن العجيب حقًّا أن نسمع عالمًا أوربيًّا يقول عن ياقوت الذي يرفض تصديق قصة «الفارس الساحر» البغدادي: (يندر جداً أن يبدو ياقوت بهذا التعقل وهذه الرصانة) في الوقت الذي نعلم فيه أن هذا المؤلف الغربي بقطع النظر عن مؤهلاته العلمية يبدو قزمًا إذا ما قيس بياقوت) («مناهج العلماء المسلمين» ص ١٨، ١٩)، ثم ذكر المزالق التي يقع فيها الباحثون الغربيون عند تقديرهم البحث العلمي عند المسلمين قائلاً: (إنهم

يضعون مقاييس صارمة يحكمون بموجبها على ما أنتجه الفكر الإسلامي، مقاييس أشدّ صرامة من تلك التي نطبقها على ذواتنا نحن الغربيين... فإنّ اللاهوتي العصري عندما يكتب ويؤلف قصد استمالة اتباع يلتفون حول فكرته التي يبشر بها لا ننتظر منه أن يدعم كل قول من أقواله بمستندات وكل جملة من جمله باثباتات.. ومن جهة ثانية لماذا نبدي سخطنا على كاتب يجمع أسانيد تبعث على الضجر أسانيد لا حصر لها يتعلق بسيرة رجل أو برواية من رواة الحديث الذين عاشوا بدمشق أو مروا بها لمامًا بينما نحن إذا قرأنا مثيل هذا في كتاب من كتب الغرب قلنا: إنه عمل علمي وان صاحبه قام بخدمات علمية جليلة) [المرجع السابق].

لقد سقت هذا كله بإيجاز لأصل إلى نتيجة هي أننا ينبغي أن نسعى إلى أمرين:

أولهما: التفرقة بين انجازات الغرب ذي التقدم التقني الواسع في هذا العصر وبين الوضع الحضاري وتأخره لدى العرب والمسلمين، فينبغي لنا أن لا نجعل الأحكام تختلط ثم تعمم.

الأمر الثاني: نحاول أن نظهر خير ما في تراثنا ونلقي الأضواء على جهود السلف في مجالات العلم والفلسفة والأدب بالدراسة الموضوعية لكي لا نغمط حقهم في جهودهم واجتهاداتهم، وللتعريف بها وترجمتها إلى لغاتهم، وهذا يقتضينا التخطيط في إحياء تراثنا لتقام عليه الدراسات العلمية ثم ليكون هذا التراث المعرفي والدراسات حول قاعدة معرفية علمية ترتكز عليها نهضتنا وأخذنا سبيل التطور في هذا العصر، ولكي لا يجرفنا تيار التغريب والعولمة فنضيع في مساربه وغمراته وظلماته.

لقد كان شيء من ذالك منذ حوالي القرن من الزمان ولكن بجهود فردية في الغالب. ظهر نشاط في تحقيق الكتب ونشر التراث إذ بدأت دور الكتب

والمطابع في مصر ولبنان وغيرهما تخرج الكتب القيمة في اللغة والتاريخ الحديث، وظهر محققون كانت لهم جهود كبيرة في التحقيق العلمي كالأستاذ أحمد محمد شاكر ومحمود محمد شاكر وعبدالسلام هارون ومحمد أبو الفضل إبراهيم والدكتور رمضان عبدالتواب في مصر، والدكتور مصطفى جواد والأستاذ هلال ناجي وإبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي وخليل العطية ومحمد جبار المعيبد وغيرهم في العراق، وأحمد راتب النفاخ وسامي الدهان والدكتور شاكر الفحام ومحمد أحمد الدالي والدكتور عزة حسن وغيرهم في سوريا، والشيخ حمد الجاسر والدكتور عياد الثبيتي وغيرَهما في السعودية، والأستاذ محمد بن شريفة والدكتور إحسان عباس وعبدالعزيز الميمني الراجكوتي وغيرهم كثير.

لقد تأسست (جامعة الدول العربية) بعد الحرب الكونية الثانية، وفي سنة ١٩٧٤ أقرت مشروع (ميثاق الوحدة الثقافية) وإعلانها قيام (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم)، وانبثقت عنها مؤسسات قومية منها: (معهد المخطوطات العربية) و(مكتب تنسيق التعريب) و(معهد البحوث والدراسات العربية) وغيرها ومن غاياتها الحفاظ على العربية وتنميتها، وأول مهمة (معهد المخطوطات) نشر التراث والحفاظ عليه (تفصيل ذلك في كتاب «العربية والأمن اللغوي» ص ٤٨ ...). وإلى جانب المنظمة العربية المذكورة نشأ قبلها ضربان من المؤسسات العلمية: هما المجامع العلمية والجامعات. وكان للمجامع العلمية في القاهرة وبغداد ودمشق دور في نشر التراث إلى جانب الجهود اللغوية، وكذا كان للجامعات دور علمي جانب منه تحقيق التراث بمجهود الأساتذة أو طلبة الدراسات العليا، كل ذلك جهد طيب في هذا المجال ولكن غياب التنسيق والتخطيط في عمل ما ذكرت من المؤسسات ومن ذكرت في العمل قد أضاع الكثير من الجهود كما أشاع الفوضى في هذا الجانب الحيوي من حضارة الأمة، كان المأمول أن يحصل التعاون والتنسيق

بين هذه المؤسسات تحت ظل (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) لكي لا تكون هذه الفوضى في إخراج التراث الذي وصل في بعض الأحيان حد العبث وعدم المسؤولية العلمية ، إذ أخذ من لا يحسن التحقيق ويجهل أبسط قواعده يخوض فيه . فأصبح باباً لارتزاق كثر من الأفراد ودور النشر . فإذا كان ذالك كذالك فما بال الجامعات والأساتذة الذين ينبغي أن يحملوا مسؤولية العلم وأمانته ينزلقون في هذا التخبط ؟ لقد ادّعى الإشراف على طلبة الدراسات العليا في هذا المجال أساتذة لا شأن لهم في علم التحقيق ، ولا يحسنون العمل فيه ، ولا يمكنهم توجيه من يشرفون عليهم ، ولا يحسنون تقدير النص المحقق تقديراً صائبًا ، وفي النهاية خرجت مجموعة من المخطوطات مشوهة بأيديهم لو بقيت مخطوطة غير محققة هذا التحقيق الرديء ، لكان أفضل ، وقد رأيت من بعض الأساتذة والأقسام العلمية في الجامعات استهانة في هذا العلم ، رأيتهم يكابرون مدعين معرفة كل شيء وهم لا يحسنون شيئًا لكن المجال مفتوح لهم لافتقار جملة من الجامعات أو الكليات التي هم فيها للتقاليد الأكاديمية ولعدم احترام القيم والتخصصات العلمية ، فقد اختلت الأشياء واختلط حابلهم بنابلهم دون وعي يوقفهم عن تماديهم في الطريق الخاطئ ولا تقاليد أكاديمية تسير عليها أقسامهم لتجعل الأمور في نصابها .

هذا نقص وتقصير ضار في عملية تحقيق التراث ونشره في عصرنا ، لذالك استهان جملة من الأساتذة بعمل التحقيق خصوصاً من لم يقف على علله ، أو هم من يجهلونه ويجهلون أو يتجاهلون أهميته ، فشاع أن التحقيق عبارة عن عمل غير مجد ، لأنه جهد ضائع ، أو هو عمل سهل لا إبداع فيه ، والحق ما كانت هذه النظرة تشيع لولا (كثرة الدخلاء على هذا الفن . . وما أدرى هاؤلاء أن المحقق الأمين قد يقضي ليلة كاملة في تصحيح كلمة ، أو إقامة عبارة ، أو تخريج بيت من الشعر ، أو البحث عن علم من الأعلام في كتب التراجم والطبقات) [«مناهج تحقيق التراث» د . رمضان عبدالتواب ص ٤] . وما أدراهم كم من المعارف

ينبغي للمحقق أن يحسنها أو يتقنها إضافة إلى شروط الدقة في الضبط والأمانة العلمية والصبر في العمل.

نحن ندعو أقسام اللغة العربية أن تكون أمينة على تراث هذه الأمة وأن لا تفرط به كما لا تفرط بمستويات الطلبة العلمية، مراعاة لرغبات فردية لا تحترم التخصص العلمي من جهة، وتخوض في غير مائها من جهة أخرى، كما أرفع صوتي في وجوه الأساتذة العائدين من البلاد الأجنبية ممن لا تؤهلهم معرفتهم أو تخصصهم لوعي عملية تحقيق التراث فيقفون موقفًا سلبيًّا منه، بدلاً من أن يدعو إلى تنظيمه وإسناده إلى أساتذته الممارسين المتخصصين، فيصدرون أحكامًا غير قائمة على حقيقة علمية، هذا في مجال الجامعات، أما مؤسسات (الجامعة العربية) خصوصًا (المنظمة العربية للتربية) والمجامع العلمية، فأدعوها إلى أن لا تسيطر عليها الأهواء السياسية فتخضع لها؛ لتعيش في جو علمي هادئ وإن كانت السياسة في الأقطار العربية تدخلت في كل شيء فلم تبق عليه سليمًا في أغلب الأحيان.. كما أدعو أن تنبثق هيئة علمية عن الجامعة العربية تشرف وتخطط لتحقيق المضيء والمشرق من تراثنا العربي الإسلامي لنشره ودراسته دراسة علمية ليسلّط الأضواء على مراحل هذه الأمة الحضارية قديمًا، تلك المراحل التي شوهتها الأغراض والعصبية الغربية، وأقلام المرتزقة، وخدم التعصب والمصالح الاستعمارية، كما ذكرت في أول هذا المقال، وتتصل هذه الهيئة بالجامعات لتطلع على ما يجري في أقسامها، وتنشر أخبار التراث في نشرتها القائمة ولكن بصورة أوسع، ثم تطبع فهارس موحدة لما أنجزته وتنجزه الجامعات والمجامع من الأعمال التراثية المطبوع منه وما هو تحت الطبع والإنجاز، لتكون عملية إخراج تراثنا منظمة من جهة، ولنتخلص من هذه الفوضى والتداخل وضياع الجهود من جهة أخرى.

بغداد: د. زهير غازي زاهد

(قانون نامه) لواء القطيف لعام ٩٥٩هـ (١٥٥٦م)

[افضل الصديق الشيخ إبراهيم الصقير بتصوير هذا المقال من المجلة «التاريخية العربية للدراسات العثمانية»، ج١٥ و١٦ - اكتوبر ونوفمبر سنة ١٩٩٧م. ليتحف بها قراء مجلته «العرب» التي اتصلت بالدكتور فيصل الكندري، فوافق وبعث أصلاً للبحث لاعتماده في النشر].

دفاتر (طابو تحرير Tapu Tahrir Defterleri):

اهتم العثمانيون كثيراً بتنظيم أمور الممالك المفتوحة، فكانوا يعدون الدفاتر والسجلات لتسجيل الأراضي المضمومة حديثًا لأراضي الدولة العثمانية، وكانوا يحددون نظام ملكية هذه الأراضي الجديدة، وطريقة التصرف بها، ومقدار الضريبة المفروضة عليها، وعدد وأسماء الأشخاص الموجودين بها، وكان يطلق على هذه العملية اسم (تحرير) أو تعداد السكان في عرفنا اليوم، وتتم عملية تسجيل الأراضي أو التحرير باسم (الديوان الهمايوني) تحت إشراف (النيشانجي) أو التوقيعي، التي كانت تتكرر مرة كل ثلاثين عامًا، إلا أنها كانت تتم على فترات أطول أو أقصر على حسب ما تقتضيه المصلحة أو الحاجة، كظهور خلافات بين الأهالي، أو ظهور أوبئة، أو بسبب الهجرات المتكررة. وعند صدور الأوامر بتحرير منطقة مًا، كان يتم اختيار هيئة تتكون من رجلين من أصحاب القدرة والدراية والثقة، وممن يتمتعون بأخلاق عالية، للقيام بهذا الأمر، وكان القائم بهذه المهمة يحمل لقب: (أمين)، أو قد تظهر ألقاب أخرى مثل: (محرر الممالك) أو (محرر)، أو (آل يازجي il yazici)[1]، أو (محرر أو كاتب المنطقة)، أو (أمين الدفتر أو الولاية)[2]؛ ويطلق على مساعده لقب: (كاتب). وكان يساعدهم مجموعة من الكتبة، كما كان الإداريون في أية منطقة مكلفين بالتعاون مع هذا الفريق، وتقديم كافة الإمكانات لهم لتسهيل مهمتهم، لذا كان يرافقهم أثناء التعداد كل من (دفتر دار التيمار) ووكيله والقاضي.

وكان يتم انتقاء هؤلاء الأمناء والكتبة من بين كتبة (الديوان الهمايوني)

والقضاة وأبناء أمراء (السناجق) و(السلاحدارية والسباهية)، وكان الأمين وكاتبه يتقاضون (آقجة) واحدة عن كل (خانة) (وهي عائلة أو وحدة سكنية)، كما كانوا يتقاضون مبالغ لمصاريفهم الضرورية لتغطية تكاليف السفر وأجور الإنتقال من منطقة لأخرى.

وعند مباشرة العملية يتوجه الأمين والكاتب إلى المنطقة الحديثة العهد بالفتح، فيقسم الأمين التشكيلات الإدارية فيها، عن طريق تعديل النظام القديم، أو إبقاء الوضع القائم على ما هو عليه فبعد صدور الأوامر يقوم الأمين بتقسيم الأراضي إلى تقسيمات مختلفة مثل:

١- خواص السلطان ومفردها خاص: وهي الأراضي التي يتراوح دخلها السنوي من ١٠٠,٠٠٠ (آقجة) أو أكثر.

٢- الزعامات ومفردها (زعامت): وهي التي يتراوح دخلها السنوي ما بين ٢٠,٠٠٠ - ٩٩,٩٩٩ (آقجة).

٣- (التيمارات) ومفردها (تيمار) هي التي يتراوح دخلها ما بين ١- ١٩,٩٩٩ (آقجة).

ثم يطوف الأمين واللجنة المرافقة بالقرى والقصبات واحدة بعد الأخرى، ويحدد أسماء المكلفين بدفع الضرائب ويحدد أنواعها، كما يبيّن المعفيين منها وأسباب الإعفاء، وكان على كل شخص أن يبرز السندات والأوراق الثبوتية التي تدل على ملكية كل فرد للأراضي والأملاك وغيرها، ويقوم الأمين بتفحص تلك السندات بعناية شديدة، ليتأكد من صحتها، ويسجلها في سجلاته ودفاتره. وفي القرى يحدد الأمين الغابات والمراعي والمزارع والبساتين، ويحدد المقدار السنوي للمحاصيل الزراعية مثل القمح والشعير والحمص والذرة والأرز... إلخ، وكان يحدد مقدار الضريبة التي دفعها صاحب المزارع خلال ثلاث سنوات، ويتأكد من محصول هذه الفترة، ويسجل محصول هذه

السنة والفارق سواء زيادة أو نقصانًا ، ويقسم مجموع السنوات الثلاث الأخيرة على ثلاثة ويستخرج منها المتوسط . ويقوم الأمين بكتابة مسودة لكل المعلومات التي يحصل عليها أثناء عملية التحرير مثل نوعية الأراضي ، وأرباب الحرف والصناعات ، وتجمع هذه المسودات التي حررها الأمناء والكتاب ، ويكتب منها نسخة تسويد في إحدى الدفاتر ثم يليها التبييض ، ويطلق على هذا الدفتر (تحرير دفتري ، دفتر التحرير) ، وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول ويعرف باسم : مدخل (المدخل) : وهذا يكتب عند الانتهاء من عملية التحرير حيث يكتب اسم الإيالة (أو الولاية) موضوع التحرير ، واسم السلطان الذي تم في عهده ، واسم الأمين والكاتب ، وتاريخ التحرير ، وهذا التاريخ لا يدل بالضرورة على تاريخ القيام بعمل الإحصاء أو التحرير ، ولكنه ربما يكتب في إحدى مراحل التحرير قد تكون التحرير أو التسويد أو التبييض .

القسم الثاني ويعرف باسم : دفتر مجمل أو دفتر إجمال (الدفتر المجمل أو الإجمال) : وهو عبارة عن دفتر يذكر فيه (قانون نامه القانون الأساسي) الذي تنظم الأمور المختلفة داخل المنطقة أو الولاية ، ويوضح ما تفرضه الدولة في هذه المنطقة من المعاملات المالية والإدارية والقضائية ، ونسب تحصيل الضرائب على مختلف السلع والبضائع ، وتحديد رسوم المخالفات والجرائم ، ثم يذكر فيه التشكيلات الإدارية وأسماء القرى ومقدار الحاصلات السنوية بصورة مختصرة .

القسم الثالث ويعرف باسم : (دفتر مفصل ، الدفتر المفصل) ويذكر فيه كل ما يتعلق بالمنطقة بصورة أكثر تفصيلاً عما ذكر في المجمل ، وبالإضافة إلى ما ذكر يسجل فيه أسماء السكان المكلفين بدفع الضرائب ، وأصحاب الحرف والصناعات ، وأسماء القبائل والعشائر إن وجدت ، والإيرادات التفصيلية لكل صنعة أو حرفة ، والعلماء ، وتعداد السكان ، وتحديد فيما إذا كانوا مسلمين أو

غير مسلمين، متزوجين أم غير متزوجين، وكتابة كل خيرات المنطقة من مياه جارية، وغابات وبحيرات ومرتفعات وغيرها من الخيرات[٣]. وبعدها يقوم (النيشانجي) بمراجعة دفاتر المفصل والإجمال وتصحيحها -إذا دعت الضرورة-، ثم توضع (طغراء) السلطان على نسخة من دفاتر المفصل وترسل للمنطقة أو الولاية المعنية، وتُكتب نسختان منها وهي لا تحمل الطغراء، تحفظ الأولى بقصر السلطان (سراي)[٤]، وتحفظ الثانية في (دفاتر خانة) مع دفاتر الإجمال ليتم الرجوع إليها عند الضرورة. وإذا دعت الحاجة إلى إجراء أية تعديلات على دفاتر التحرير الموجودة في (الدفتر خانة) فلا يقوم بذالك إلا (النيشانجي) وبعض كبار رجالات الدولة[٥].

أما المسؤول عن حفظ دفاتر التحرير المفصلة التي وضعت عليها الطغراء وأرسلت للولاية فكان يعرف باسم (دفتر كتخداسي: أي سكرتير أو وكيل الدفتر) الذي يهتم بأمور الزعامات، و(تيمار دفتر داري) الذي يتولى أمر التيمارات. وإذا دعت الحاجة إلى تكرار عملية التحرير فعندها يتوجه أمين الدفتر إلى المنطقة المعنية ومعه دفتر التحرير القديم الخاص بها، ويعتمد عليه في عملية التحرير الجديدة، وبعد الانتهاء من التحرير، فإن الدفتر الجديد يطلق عليه: دفتر جديد، والقديم يسمى: دفتر عتيق، وإذا تكرر التحرير لمرة ثالثة فالجديد يسمى: جديد، والثاني: يتحول إلى عتيق، والثالث: وهو العتيق سابقًا يسمى في هذا الحالة (كُهنة **Kohne**)[٦].

وعند إعادة عملية التحرير هذه المرة يقوم (بكلر بك / أمير الأمراء) بالإطلاع على الصكوك والسندات التي بحوزة جميع أصحاب الإقطاعات من زعامات وتيمارات وغيرها، ومراجعة دفتر التحرير الأخير للتأكد من صحة تلك السندات، ثم يسلم كل واحد منهم وثيقة تسمى (يافتة) يحدد فيها ما حصل عليه كل صاحب إقطاع[٧]. وعند الشروع في التحرير، يذهب أصحاب

الإقطاعات إلى الأمين ومعهم هذه الوثيقة (يافتة) ويطلب منه تسجيل اسمه مع أراضيه ورعاياه في الدفتر الجديد. وعند الإنتهاء من التحرير فإن الأراضي الزائدة تذهب للخزينة، وإذا ظهرت أراضي دون قيد بعد ذالك فإنه يطلق عليها اسم (خارج أز دفتر، أي خارجة عن القيد أو غير مسجلة في الدفتر)[٨].

وهذه الدفاتر كانت هي القيد الأساسي لأراضي الدولة لذلك كانت في حكم (طابو) أي السند العقاري، ومع مرور الزمن عرفت هذه الدفاتر باسم (طابو تحرير دفترلري أي دفاتر تحرير الطابو أو دفاتر الطابو) كما كانوا يعدون أنواعًا أخرى من الدفاتر تشبه دفاتر الإجمال، إلا أنها خاصة ببعض الأمور التي تحدث في المنطقة كحصول أحدهم على إقطاع معين مهما كان نوعه: خاص (زعامت - تيمار) ويشار في هذه الدفاتر إلى أنها خاصة بالترقيات (ترفيع) أو منح الإقطاعات، أو ما يقوم به (بكلر بك - أمير الأمراء) داخل ولايته، ويطلق على هذا النوع من الدفاتر اسم: (در دست، ورروز نامجة[٩])، ومع مرور الزمن تغير اسمها إلى اسم دفاتر التحويل[١٠].

وكان هدف الحكومة العثمانية من عملية التحرير هذه تحديد مقدار الإيرادات المتوقع أن تأتي للخزينة، وهذه المعلومات هامة جدًا بالنسبة للدولة، كما كانت تمنحها الفرصة لمكافأة المخلصين من رجالها بمنحهم إقطاعات أو أراض زراعية، ففي هذه الدفاتر كانت تقوم الدولة بتوزيع أنواع الخاص و(الزعامت) على أربابها، و(التيمار) على (السباهية). أما عن دخل الخزينة فقد كان هناك نوعان من الضرائب في الدولة العثمانية، هما: الرسوم الشرعية: وهي عبارة عن الضرائب الواجبة على المسلمين وغير المسلمين مثل الخراج والعُشر والزكاة والجزية؛ والرسوم العرفية: وهي تتمثل في بقية الضرائب العرفية التي تفرضها الدولة، نظير خدمات معينة وهي تعرف باسم: العوارض والتكاليف، وهناك أنواع كثيرة منها وهي تختلف من منطقة لأخرى. وتزودنا

هذه الدفاتر معلومات كثيرة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية أثناء العهد العثماني، ويحتوي (أرشيف) رئاسة الوزراء Basbakanlik Devlet Arsivleri (BDA) باستنبول على مجموعة كبيرة من هذه الدفاتر يبلغ عددها ١٠٩٤ دفتراً، كما يوجد في «المديرية العام للطابو والمساحة Tapu ve Kadastro Genel Müdürlügü بأنقرة ١٤٥٠ دفتراً. وقد تم إعداد فهرس باللغة التركية الحديثة لدفاتر التحرير، يوضح رقم الدفتر وتاريخه وبعض المعلومات الواردة بشأنه، كما تم إعداد فهرس يوضح توزيع الدفاتر حسب أسماء الأماكن، إلا أنه لا يخلو من الأخطاء والنواقص[١١].

دفتر طابو تحرير رقم ٢٨٢: يعد دفتر الطابو رقم ٢٨٢ من أهم الدفاتر التي تتناول تاريخ أجزاء من منطقة الخليج العربي، فهو دفتر يقع في ٣٤٠ صفحة، وهو مكتوب بخط (شكسته[١٢] ديواني)، (وهو خط الديواني مكتوب بصورة سريعة)، وبحبر أسود اللون، والأرقام لم تكتب بخط (السياقت) كما هو مألوف، وإنما بأرقام أقرب ما تكون للفارسية.

ويتناول الدفتر ولاية البصرة والمناطق التابعة لها حيث أنه يشتمل على معلومات على غاية من الأهمية لا يوجد مثيل لها في بقية دفاتر (الطابو) التي تناولت ولاية البصرة[١٣]، حيث أن بقية الدفاتر لا تزودنا بنفس الكمية من المعلومات التفصيلية، إلا أنه مع شديد الأسف لم يحظ إلى الآن بالدراسة الكافية.

ويتكون الدفتر من الأجزاء التالية:

١- قانون (نامه) ولاية البصرة: وهو يبدأ من صفحة رقم ١ - ١١.

٢- دفتر الإجمال لولاية البصرة: يبدأ من صفحة ١٢ - ٢٤، ومنطقة القطيف تغطيها الصفحات من ٢٥ - ٢٨، وفي هذا الدفتر ذكر اسم أمير لواء (مير لواء) القطيف وهو مراد بك[١٤].

٣- الافتتاحية: وفيها ديباجة الافتتاحية في صفحة ٣٧، وهي صفحة هامة

لأنه يحدد فيها تاريخ القيام بتحرير هذا الدفتر وهو في عهد السلطان سليمان ابن سليم في أوائل شهر رجب سنة تسع وخمسين وتسع مئة (أواخر يونيو ١٥٥٢م) ولم يرد فيها اسم المحرر أو من قام بتحرير الدفتر.

٤- دفتر المفصل لولاية البصرة، ويبدأ من صفة ٣٨ ويشرع في الحديث عن نفس البصرة ويستمر حتى صفحة رقم ٢٨٩.

٥- (قانون نامه) لواء القطيف: وهذا يبدأ من الصفحة رقم ٢٩٠ وحتى نهاية الدفتر في صفحة ٣٤٠.

الحواشي:

(١) Mehmet Zeki Pakalin, Osmanli Tarih Deyimleri ve Terimleri Sozlügü, cilt 3 (Istanbul, 1983) s. 376.

(٢) وأقدم من وصل إلينا من بين أولئك الكتبة هو تيمور تاش بك، الذي قام بتحرير قضاء أنقرة في عصر السلطان مراد الأول (١٣٦٢- ١٣٨٩) لمزيد من المعلومات انظر: نجاتي أقطاش وعصمت بينارق، الأرشيف العثماني، ترجمة صالح سعداوي، عمان، ١٩٨٦، ص ٣٣٠.

(٣) Atilla Çetin, Basbakanlik Arsive Kilavuzu (Istanbul, 1979) s. 84.

(٤) Mehmet Zeki Pakalin, Osmanli Tarih Deyimleri ve Terimleri, c. 3, s. 376.

(٥) نجاتي أقطاش وعصمت بينارق، الأرشيف العثماني، ص ٣٣٢ - ٣٣٣.

(٦) Atilla Çetin, Basbakanlik Arsivi Kilavuzu, s. 84. كُهنه: كلمة فارسية الأصل بمعنى قديم أو انتهى عصره. انظر: شمس الدين سامي، قاموس تركي (استانبول، ١٣١٧)، ص ١٢٢٠.

(٧) Mehmet Zeki Pakalin, Osmanli Tarih Deyimleri ve Terimleri, c. 3, s. 599.

(٨) نجاتي أقطاش وعصمت بينارق، الأرشيف العثماني، ص ٣٣٣.

(٩) دردست: كلمة فارسية الأصل بمعنى الموجود باليد، الإمساك. وروزنامجة: وهي مكونة من كلمتين هما روز: يوم أو نهار، ونامه: كتاب أو رسالة؛ أما روزنامجة: وهو دفتر مخصص للحوادث أو المصاريف اليومية. انظر شمس الدين سامي «قاموس تركي» ص ٦٧٣، ٦٧٤.

(١٠) نجاتي أقطاش وعصمت بينارق، الأرشيف الثعماني، ص ٣٣٣. Mehmet Zeki Pakalin, Osmanli Tarih Deyimleri ve Terimleri, c. 3, s 376.

(١١) Atilla Çetin, Basbakanlik Arsivi Kilavuzu, s 84.

(١٢) شكستة: كلمة فارسية الأصل، وتعني مكسور.

(١٣) هذه أرقام الدفاتر التي تناولت ولاية البصرة: ٢٨٢، ٣١٣، ٥٣٤، ١٠٢٢.

(١٤) طابو تحرير دفتري ٢٨٢، ص ٢٥.

المشكل من شعر المتنبي

- دوافعه وأنواعه -

أريد أن أضع بين يدي القارئ الكريم - تنبيهًا واحتراسًا - جملة من المقدمات قبل الدخول في صلب هذا البحث، وهي:

أولاً: أنني قديم العناية بالمتنبي وشعره، وتشرفت بنشر عدد من شروح ذالك الشعر، التي تدور في معظمها على مشكلات شعره وغوامضه، وقد دفعنا ذالك إلى دراسة ظاهرة الغموض في شعره، منذ نشرت كتابي الأول وهو «الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي لابن جني»، وفي مقدمتي لذالك الكتاب ذكرتُ بشكل موجز، الفكرة الأساسية التي يدور حولها هذا البحث، وهو أن الشاعر يتعمد الغموض ويقصد إليها قصداً، ثم توسعت في ذالك البحث بعد نشري لكتابَيْ ابن فورجة وكتاب ابن القطاع الصقلي، أي أنني كلما نشرت كتابًا من هذه الكتب، التي تدور حول مشكلات شعر المتنبي، زادت فكرة البحث وضوحًا، وكثرت شواهده وأدلته، فدفعني ذالك إلى إعادة النظر فيه، والتوسع في عرض فكرته وشواهدها.

ثانيًا: إن هذا البحث في أصل وضعه، فصل من كتاب لي عن المتنبي، ما زال مخطوطًا، ولا أعلم متى يأذن الله بنشره، وكنت اعتزمت حذفه، قبل أن أناقش رسالة (للدكتوراه) عن (الغموض في الشعر العباسي) لباحث نابه ممتاز، ولكنني رأيت بعد المناقشة أن طريقه غير طريقي، وأن المشترك بيننا قليل، وهو مما سبقت إليه في مقدمات ما حققت من شروح المتنبي.

ثالثًا: إن الغموض في شعر المتنبي، مسألة مفروغ منها، لا تحتمل جدلاً ولا إنكاراً، وقد أشار إليها القدماء صراحة، وكثرت تآليفهم فيها، وأحسب أن العنوانات الآتية لا تترك مجالاً لمستريب، وهي واضحة الدلالة على ما نقول:

١ - «الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي» لابن جني.

٢- «شرح مشكلات ديوان المتنبي» لابن فورجة.

٣- «شرح المشكل من شعر المتنبي» لابن القطاع.

٤- «الواضح في مشكلات شعر المتنبي» للأصفهاني.

٥- «سرقات المتنبي ومشكل معانيه» لابن بسام.

هذه الكتب المطبوعة، أمّا المخطوطة فأضعاف ذالك.

والمُشكل من الشعر غامضة، على اختلاف بواعث هذا الغموض وصوره وأشكاله، وهو ما قد يقع فيه الاختلاف بين الباحثين.

وقد يظن أحدٌ أن القدماء لم يذكروا لفظة (الغموض)، أو لم يقصدوا هذا المعنى، بمصطلح المشكل والمشكلات، وهو ظن مستبعد، فقد قال ابن فورجة: (..أن اتتبع شعر أبي الطيب فاستخرج منه الأبيات الغامضة)[1]، وقال ابن القطاع: (وهذا مجموع من شعر المتنبي وغوامضه)[2].

رابعًا: إن القول بالغموض في شعر المتنبي، لا يحط من منزلة الشاعر ولا يقدح في عظمته الشعرية، ولا ينكر شيئا من عبقريته ونبوغه، وليس كل من ألف في مشكلاته من خصومه ومبغضيه، بل إن معظمهم من تلامذته والمعجبين به، وممن لا يعدلون به شاعراً سواه، كابن جني وابن فورجة وابن القطاع وأبي المرشد المعري، بل قُل إن حبهم له وإعجابهم به، هو الذي دفعهم إلى دراسة مشكلات شعره، وكشفها وجلائها للناس.

وإذا كان الغموض عيبًا من عيوب الشعر، لقصور لغة الشاعر عن التعبير عما يريده من دقيق المعاني، وهو ما ينطبق على أوساط الشعراء وصغارهم، فإن ذالك لا ينطبق على الشعراء العظام، ممن يمتلكون اللغة امتلاكًا كاملاً، كالفرزدق وأبي تمام والمتنبي، ولولا ذالك لما حققوا هذه الشهرة المدوية، ولما أجمعت الأمة على الإعجاب بهم وبشعرهم أي أن هاؤلاء الشعراء العظام، لم يقع الغموض في أشعارهم، لقصور في لغتهم، ولضعف في صنعة الشعر عندهم، وإنما تعمدوه تعمداً، إشغالاً للناس، وطلبًا للشهرة، والحضور الدائم

في حلقات الدرس ومجالس الأدب، وهي لعبة لا يلعبها إلاّ الشعراء الكبار، بعد اطمئنانهم إلى استفاضة شهرتهم، وكثرة المعجبين بهم، ولو حاولها أحدهم أول قوله للشعر في صدر شبابه، وفي باكورة محاولاته الشعرية الأولى، لمات شعره، ولما التفت إليه أحد من الناس.

وأول من تنبه لهذه اللعبة، ولعبها مع علماء النحو واللغة، فشغلهم به وجذبهم إليه، وحقق لنفسه شهرة مضافة في مجالسهم، وحلقات درسهم، هو الفرزدق، وقد أشار ابن سلام إلى ذالك بقوله: (وكان الفرزدق يداخل الكلام، وكان ذالك يعجب أصحاب النحو)[٣]. ثم ذكر نماذج من شعره في هذا، وقال: إن الشعراء قلدوا الفرزدق في أبياته الغلقة الغامضة، ونسجوا على منواله فيها[٤]. ويبدو أن قسمًا من الشعراء فهموا هدف هذه اللعبة، وعرفوا أسرارها، فمارسوها على تفاوت حظوظهم في هذا، ويدل على ذالك قول من سأل السيد الحميري: (مالك لا تستعمل في شعرك من الغريب ما تُسأل عنه كما يفعل الشعراء؟)[٥].

وإذا كان العلماء قد شغلوا بغوامض شعر الفرزدق لحاجتهم إلى الاستشهاد به في مباحث اللغة والنحو، وليس لسبب فني، أو لدراسة نقدية، وانّهم أعرضوا عن غوامض ما يقع في شعر هذا الشاعر أو ذاك من العباسيين، لعدم حاجتهم إلى الشواهد من أشعارهم، ولعدم شهرة أولئك الشعراء، فأنّى لهم أن يتجاهلوا ما يقع من ذالك في شعر نوابغ الشعراء الكبار، كأبي تمام والمتنبي.

وقد حظي أبو تمام بكتاب واحد، استقل بدراسة مشكلات شعره وغوامضه، وهو كتاب «شرح مشكل أبيات أبي تمام المفردة» لأبي علي المرزوقي[٦].

أما المتنبي، الذي بلغت تلك اللعبة أوجها على يديه، فقد حظي بما لم يحظ به شاعر قبله أو بعده، حتى بلغت شروحه مئة شرح أو تزيد، كما ذكر ذالك ابن خلكان وابن النديم وحاجي خليفة[٧]، ما بين مطولات ومختصرات ومطبوع ومخطوط (ولم يُفعل هذا بديوان غيره)[٨].

وإذا علمت أن الشروح الكبيرة للديوان بكامله لا تتجاوز العشرة، وأن القسم الأعظم منها كان شرحًا وتفسيراً لأبيات المعاني الغامضة من شعره، وهي لا تتجاوز المئة بيت على الأكثر، أيقنت معي أن المتنبي حقق لنفسه من الشهرة العريضة بتلك الأبيات الغامضة أضعاف ما حققه بالمئات من أبياته الواضحة الحسان.

وليس تعمد المتنبي للغموض طلبًا للشهرة، ظنًّا نظنه كابن فورجة (وأظنه كان يتعمد ذالك)[٩] وإنما هو حقيقة واقعة، صحت عليها الشواهد، وقامت عليها البينات.

وإذا كان بعض الشعراء قد أخفى غرضه من ذالك، فإن أبا الطيب صرح بذالك وكشفه، بما لا مزيد عليه من الغموض، في نص نادر يذكره ابن جني عن علي بن حمزة البصري، صديق المتنبي وراويته، ورفيق سفره إلى بلاد العجم، فقد ذكر أنه حضر المتنبي وهو ينشد قصيدته التي مطلعها:

مغاني الشعب طيباً في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان

بين يدي عضد الدولة، حتى إذا أنشد بيته منها:

وكان ابنا عدوٍ كاثراه له ياءي حروف أنيسان

ورأى وجوم الناس عند سماعه، وحيرتهم في فهمه، التفت لعلي بن حمزة قائلاً: (أتظن هذا الشعر لهاؤلاء الممدوحين، هاؤلاء يكفيهم اليسير، وإنما أعمله لك لتستحسنه، أي لك ولأمثالك)[١٠].

والذي ذكره أبو الطيب صحيح لا شك فيه، وهو يعلم أن الممدوح لا يهمه من قصيدة الشاعر إلا أبياتها في مديحه والإشادة به، وليس معنيًا بفهم ما ليس له علاقة به من مقدماتها وخواتمها، وما حوته من بديع الصور وكريم النسج، والغالب أن جمهرة المستمعين وعامة الناس، على هذا، يفهمون من القصيدة ما وضح من أبياتها، ويعرضون عمّا لا يفهمونه منها، سيما وأن سرعة إنشاد

الشاعر لا تتيح للسامعين الوقوف على دقائق معنى كل بيت من أبيات القصيدة.

ولكن تلك القصيدة ستكون في اليوم التالي دون ريب موضع دراسة متأنية لكل بيت من أبياتها، من قبل الأدباء والمتأدبين، والعلماء وتلامذتهم، فيظهر لهم ما فيها من جمال وروعة، وابتكار وتجديد، وغموض وإبهام، فيطول بذالك درسهم وجدالهم، ويسهرون ويختصمون، ويجدون لذة في اختبار مهاراتهم العقلية والعلمية، ويجد المتنبي أضعاف ذالك، من لذة التفوق والشهرة والمباهاة والغرور، وقد صرح بذالك ولم يكتمه:

أنام ملء جفوني عن شواردها ... ويسهر الخلق جرّاها ويختصمُ

وهذا البيت لا يمثل أمنية للمتنبي، كان يرجو تحققها في مقتبل الأيام، وإنما هو تصوير لما كان يقع له فعلاً في حياته، وهو حي يرزق، من انشغال العلماء والأدباء ومجالس الدرس بشعره ومشكلاته، ومن أجل ذالك كان حريصًا أن يوفر لهم في كل قصيدة من قصائده مادة صالحة للدرس والخصومة والاختلاف، ولو نظرت إلى أصدقاء المتنبي وتلامذته لوجدتهم جميعًا من علماء اللغة والنحو، كابن جني وأبي بكر الخوارزمي وعلي بن حمزة البصري ولهاؤلاء وأمثالهم، كان المتنبي ينظم مثل هذه الأبيات الغامضة، كما كان الفرزدق يفعل من قبل مع علماء النحو واللغة، ويبدو أن ذالك كان يعجب أولئك العلماء ويسرهم، ويرضي غرورهم العلمي، ويتيح لهم إظهار قدراتهم العقلية والعلمية، وقد عاب الوحيد الأزدي على ابن جني إعجابه بمثل هذه الأبيات المشكلة الغامضة: (وإنما يروق صاحب الكتاب - أي ابن جني صاحب «الفسر» - أبيات محوجة إلى التفسير، عنده أنها من أعلى الشعر، وليس كذالك)(١١).

ولم تكن ثقافة المتنبي سببًا في غموض معانيه، إذ أننا لا نجد مثل هذا الغموض في شعر مَنْ هم أعلى منه ثقافة وأغزر علمًا كابن المعتز والشريف الرضي.

ولم يكن ذالك بسبب رغبته في الابتكار والتجديد، إذ أننا لا نجد مثل هذا الغموض في شعر شعراء شهروا بالاختراع والتجديد كابن الرومي مثلاً، فضلاً عن أن كثيراً من أبياته الغامضة، ليست من الجديد المبتكر، والبديع المخترع.

ولا نعتقد أيضاً أن ضيق مساحة البيت وقيد القافية الواحدة، دفعه إلى ذالك، وكيف يكون هذا وقد قال ما قاله من روائع الشعر وفرائده في ظل هذا النظام وقواعده.

بل كيف يكون ذالك، وهو سيد البيت المفرد في العربية، الذي لا يضارعه شاعر آخر في حكمه وأمثاله، وهي أبيات مفردات، أو أنصاف أبيات، تحمل تجربة مكثفة المعنى، وافرة الدلالة، قد يؤديها غيره من الشعراء بأبيات كثيرة، وهي نموذج رائع لتركيز خلاصة التجربة الثرة في بيت واحد أو بنصف بيت.

والابهام والإيهام والتعقيد مؤدية إلى الغموض، سواءً أكان ذالك عن طريق استعمال الألفاظ المهجورة الوحشية، أو المشتركة المعاني، أو عن طريق التعسف في تركيب الجمل بالحذف والاعتراض والتقديم والتأخير، والفصل البعيد بين ما يقبح الفصل فيه، وكثرة الضمائر وما تعود عليها، أو عن طريق التشبيهات الغريبة التي يخفى وجه الشبه بها على السامع أو عن طريق الاستعارات البعيدة المفتقرة إلى القرائن الواضحة الدلالة، فيما لم يألفه الناس من المعاني والصور.

ونحن ذاكرون لك إن شاء الله أقوال العلماء في هذا، والشواهد الدالة عليه: (قال علي بن عيسى الرماني: أسباب الإشكال ثلاثة: التغيير عن الأغلب كالتقديم والتأخير وما أشبهه، وسلوك الطريق الأبعد، وإيقاع المشترك... وإذا تفقدت أبيات المعاني رأيتها لا تخرج عن هذه الأسباب الثلاثة)(١٢).

وقال ابن سنان: (فأمّا الذي يُسأل عن معناه ويفكر في فهمه، كالأبيات التي من شعر أبي الطيب، وسمّاها الصاحب رُقيّ العقارب، والناس إلى اليوم مختلفون في معاني بعضها، وكلٌّ يذهب إلى فنٍ، ويسبق خاطره إلى غرض)(١٣).

وقال الثعالبي: (واستكراه اللفظ، وتعقيد المعنى، أحد مراكبه الخشنة التي يتسنمها ويأخذ عليها في الطرق الوعرة، فَيَضل ويُضل ويَتعب ويُتعب، ولا ينجح)[١٤]، وقال الوحيد الأزدي: (ولكن المتنبي أتى لأهل هذا الزمان بالغريب الوحشي، وكمّن المعاني وأغلقها)[١٥].

ولا شك أن اللفظة المفردة الوحشية المهجورة، قد تسبب غموض البيت كله، ومن ذالك قوله:

مَنْ وجدَ المذهب عن قدره   لم يجد المذهبَ عن قنسه

والقنس: الأصل، قال الوحيد: (هذا البيت جيد المعنى صحيحه، إلا أن قافيته تحتاج إلى تفسير)[١٦].

وقوله:

غَلِتَ الذي حسب العشور بآيةٍ   ترتيلك السورات من آياتها

قال الوحيد: (والغلت والغلط واحد، وهما لغتان، أبدل قوم التاءَ طاءً لقرب مخرجهما، والمتنبي كان يحب الإغراب ليعلم الناس أنه لغوي، ولزوم المشهور إذا كان حسناً أفضل في النظم والنثر)[١٧].

ومنه قوله:

ومـا أرضى لمقلتـه بحلمٍ   إذا انتبهت توهمه ابتشاكا

قال الثعالبي: (والابتشاك: الكذب، ولم أسمع فيه شعراً قديماً ولا محدثاً، سوى هذا البيت)[١٨].

ومن وجوه التعقيد المعاظلة في مختلف صورها وأشكالها، كتكرار الكلمة الواحدة بحروفها في مثل قوله:

ليس قولي في شمس فعلك كالشمس ولكن في الشمس كالاشراق.

قال أبو هلال: (على أن حقيقة معنى هذا البيت لا يوقف عليها)[١٩].

وقوله:

كيف ترثي التي ترى كل جفن　　راءها غير جفنها غير راقي

قال ابن الأثير: (وهذا وأمثاله إنما يُعرض لقائله في نوبة الصرع التي تنوب في بعض الأيام)[٢٠].

ومن المعاظلة أيضًا أن ترد الألفاظ على صيغة الفعل يتبع بعضها بعضًا، كقوله:

أقل أنل أقطع احمل عل سل أعد　　زدهش بش تفضل أدن سرصلِ

ومن وسائله التقديم والتأخير في تركيب الكلام، كقوله:

أنّى يكون أبا البرية آدم　　وأبوك والثقلان أنت محمد

قال ابن فورجة: (في اللفظ تقديم وتأخير، وتقديره كيف يكون أبا البرية آدم، وأبوك محمد، وأنت الثقلان)[٢١].

وقوله:

بحب قاتلتي والشيب تغذيتي　　هواي طفلاً وشيبي بالغ الحلم

والتقدير: بهواي طفلاً وبشيبي بالغ الحلم تغذيتي.

ومن وسائله: الفصل البعيد بين ما يقبح الفصل بينهما كالمبتدأ والخبر، والمضاف والمضاف إليه، والضمير وصاحبه. ومن ذالك قوله:

وإذا السحاب أخو غراب فراقهم　　جعل الصياح ببيتهم أن يمطرا

فالسحاب مبتدأ، وجملة (جعل الصياح) خبر له، وفصل بينهما بالنعت (أخو غراب فراقهم).

ومن الفصل بين المضاف والمضاف إليه قوله:

حملتُ إليه من لساني حديقة　　سقاها الحجى سقي الرياض السحائب

والتقدير: سقي السحائب الرياض.

ومن فصله الطويل بين الضمير وصاحبه، قوله:

قد بلّغوا بقناهم فوق طاقته　　وليس يبلغ ما فيهم من الهمم

في الجاهليـــة إلاّ أن أنفســهــم   من طيبهن به في الأشهر الحرم

فالضمير في (به) في عجز البيت الثاني، يعود على (قناهم) في صدر البيت الأول.

ومن وسائله أيضًا الإلغاز، للتعمية والتضليل، ومن ذالك قوله:

لا ناقتي تقبل الرديـف ولا   بالسوط يوم الرهان أجهدها

شراكها كورها ومشفرها   زمامها والشســوع مقودها

وقد ألغز بهذا عن نعله.

ومن التعمية قوله:

لســاني وعينـي والفــؤاد وهمتــي   أود اللواتي ذا اسمها منك والشطر

قال ابن فورجة: (فهذا من الجنس الذي عرفتك أول الكتاب، إن غرضه فيه التعمية فقط، وإلا فما الفائدة في هذا البيت مع ما فيه من الاضطراب وركوب المجاز)[٢٢].

وقد ذكر الوحيد الأزدي عيوب شعر المتنبي بقوله: (قليل التنقيح للكلام، يأتي كثيراً بأقفاء الإعراب ويترك وجوهه، ويستعمل الرذل من اللغة، ويدع الفصحى، ويدخل الغريب الوحشي في شعره، ويغمض المعاني بنقصان العبارة، إغماضًا يحوج إلى الشرح الطويل، وهو عيب فاحش)[٢٣].

ودلل على ذالك بقول المتنبي:

فتبيت تسئد مسئداً في نيّها   إسآدها في المهمهِ الإنضاءُ

وعلق عليه قائلاً: (هذا مما قدمته في ذكره من اغلاق المعنى وإظلام الكلام، والاحواج إلى الإفهام عنه)[٢٤].

وقال أبو هلال: (ولا أعرف أحداً كان يتتبع العيوب فيأتيها غير مكترث إلا المتنبي، فإنّه ضمن شعره جميع عيوب الكلام، ما أعدمه شيئاً منها، مثل:

ويسعدني في غمرة بعد غمرة   سبوحٌ لها منها عليها شواهدُ

فأتى من الاستكراه بما لا يطار غرابه)[٢٥].

ومن إكثاره من الضمائر في البيت الواحد، وخفاء عائديتها، قوله:

ذم الزمانُ إليه من أحبته   ماذمّ من بدره في حمد أحمده

قال أبو الفتح: الضمير في (إليه) عائد على العاشق، وفي (بدره) (وأحمده) عائد على الزمان، والفاعل المضمر في ذم الثانية عائد على العاشق.

وفسره الواحدي بقوله: إن الزمان ذمّ إلى المتنبي من أحبة المتنبي، لأنهم يجفونه، ما ذمّ الزمان في بدره، يعني القمر في حمد أحمده، يعني الممدوح[٢٦].

والحذف إحدى وسائله، المعقدة لمعانيه، المتعبة لقرائه، ومن أمثلة ذالك قوله:

وإذا الرماح شغلن مهجة ثائر   شغلته مهجته عن الإخوان

قال ابن القطاع: (هذا البيت من معانيه الغامضة، وذالك أنه في مدح سيف الدولة، وظاهره هجاء محض، لأنه يقول شغلت سيف الدولة مهجته عن اخوانه، وهذا غاية الهجو، لأن العرب تمدح الرئيس بقتاله عن أصحابه، وبذل مهجته دونهم، وقد قال: إن سيف الدولة اشتغل بالدفاع عن الإخوان، فحذف الجار)[٢٧].

ومن وسائله المعروفة أيضاً، استعماله للمشترك من الألفاظ، الذي يحمل أكثر من معنى واحد، ومن ذالك قوله:

بقائي شاء ليس هم ارتحالا   وحسن الصبر زمّوا لا الجمالا

فكلمة (شاء) تأتي بمعنى السبق، أي بقائي سبق ارتحالهم، وتأتي بمعنى أراد من المشيئة، وهي الإرادة[٢٨].

ومن وسائل تعقيده لشعره، وتعميته، استعماله لغير المعروف المشهور من

الأسماء، والصفات وألفاظ العوام، وهي وإن كانت معروفة في بلد ما، فإنها مجهولة على الأغلب عند سامعي شعره في البلاد الأخرى، ومن ذالك قوله:

ومن عذب الرضاب إذا أنخنا يُقبّل رحل (تُروكَ) والوراكا

وتُرْوَكُ هذه اسم ناقة كانت لعضد الدولة، فإذا كان أهل شيراز يعرفون هذا الاسم، ولا يجدون صعوبة في فهمه، فكيف يتاح مثل هذا لسامعي شعر المتنبي في العراق والشام ومصر وبلاد المغرب؟ ومن ذالك قوله أيضاً:

خلوفية في خلو فيها سويداء من عنب الثعلب

وعنب الثعلب من ألفاظ العوام، وهي إن دلت على مسمى واضح في بلد ما، فإنها قد لا تدل على المسمى نفسه في بلاد أخرى، بل قد تكون له أسماء عامية غيرها. ومثل ذالك قوله:

فكأنما حسب الأسنة حلوة أو ظنّها البرني والآزاذا

والبرني والآزاذ اسمان عاميان لنوعين من التمور، قد لا تكون مفهومة تماماً في غير البلاد المشهورة بكثرة النخل وأنواع التمور.

ومن وسائله في التعقيد، استعماله لمصطلحات الكلام والفلسفة والتصوف والنحو وما يشبهها، وهي مصطلحات قد لا يفهمها غير المشتغلين بها من أهلها، وتخفى معانيها ومدلولاتها على عامة الناس.

ولكل نوع من هذه الأنواع التي ذكرناها، عشرات من الشواهد في شعره، ولم نذكر منها إلاّ نماذج قليلة، لإثبات ما نقول، على سبيل التمثل والاختصار، وليس على سبيل الإحاطة والاستقصاء.

وإلاّ، هل سمعت بشاعرٍ، قبل المتنبي أو بعده، وُضِعَ على شعره أكثر من مئة شرح، وهل سمعت بشاعرٍ غيره، قال بيتاً، احتار في تفسيره وبيانه خمسة من كبار أئمة العربية ومشاهيرهم، كمثل قوله:

وتقلدتُ شامةً في نداه جلدها منفساته وعتادُه

قال ابن جني: (أي تقلدت من هذا السيف، في جملة نداه، وما أعطانيه كالشامة، المخالفة لسائر الجلد، وجعل ما يلي هذا السيف من نداه، وحبائه، كالجلد، التي تلوح الشامة فيه، ومنفساته، جمع منفس، وهو الشيء النفيس، فلذالك استعار له لفظ الجلد، لمّا ذكر الشامة)(٢٩).

وقد نقل العكبري هذا الشرح عن أبي الفتح (٢ / ٥١) وكذالك فعل الواحدي (٧٤٥)، وقال بعد ذكره لآراء وتفسيرات أبي العلاء المعري، وأبي الفضل العروضي، وابن فورّجة: (هاؤلاء الذين حكينا كلامهم كانوا أئمة عصرهم، ولم يكشفوا عن معنى البيت، ولا بيّنوه بيانًا، يقف عليه المتأمل، ويقضي بالصواب)(٣٠).

جامعة بغداد - كلية الآداب: د. محسن غياض عجيل

الحواشي:

(١) مقدمة ابن فورجة لكتابه «شرح مشكلات المتنبي»، مجلة «المورد» ١٩٧٣.

(٢) «شرح ابن القطاع» مجلة «المورد» ١٩٧٧.

(٣) «طبقات فحول الشعراء» لابن سلام ١ / ٣٦٤.

(٤) «الموشح» للمرزباني ١٨٦.

(٥) «الأغاني» ٧ / ٢٣٩.

(٦) حققه ونشره ببيروت سنة ١٩٨٧ د. خلف رشيد نعمان.

(٧) «وفيات الأعيان» ١ / ١٠٢ و«الفهرست» ٨٧ و«كشف الظنون» ٢ / ١٢٣٣.

(٨) «وفيات الأعيان» ١ / ١٠٢.

(٩) «مقدمة كتاب ابن فورجة».

(١٠) «الفتح الوهبي» ١٨٢.

(١١) «الفسر» ١ / ٢٣.

(١٢) «العمدة» ٢ / ٢٦٦- ٢٦٧.

(١٣) «سر الفصاحة» ٢٦٨.

(١٤) «يتيمة الدهر» ١ / ١٦٩.

(١٥) «الفسر» ٢ / ٨١.

(١٦) «الفسر» (مخطوط ٥٩٨).

(١٧) «الفسر» ٢ / ١٨٤.

(١٨) «يتيمة الدهر» ١ / ١٧٤.

(١٩) «الصناعتين» ٣٦٧.

(٢٠) «المثل السائر» ١ / ٤٠٢.

(٢١) «شرح المشكلات» لابن فورجة ٩٣.

(٢٢) نفسه، ١١٢.

(٢٣) «الفسر» ١ / ٢٣.

(٢٤) «الفسر» ١ / ٧٨.

(٢٥) «الصناعتين» ١٦٠.

(٢٦) «شرح العكبري» ٢ / ٨٠.

(٢٧) نفسه، ٤ / ١٨٣.

(٢٨) نفسه، ٣ / ٢٢١.

(٢٩) «الفتح الوهبي» ٦٣.

(٣٠) الواحدي، ٧٤٥.

«مَن اسمه عمرو من الشعراء»

بين نشرتين

(١)

يُعَدُّ كتاب «مَنْ اسمه عَمْرو من الشعراء» أشهر كتب محمد بن داود بن الجراح، بعد كتابه «الورقة»[١]، ويكمن ذالك في ترجمته لأكثر من مئتي شاعر، ممن سموا بـ(عمرو)، من مُضَر وربيعة ثم اليمن؛ من العصر الجاهلي، حتى سنة ٢٩٥هـ، أي قبل مقتله بنحو شهرين ومن المؤكد انَّ هذا العدد الذي جمعه ابن الجراح لأولئك الشعراء، ليس نهائيًّا، ولكنه ما وصل إليه علمه[٢].

وللكتاب نسخة خطية فريدة في (مكتبة الفاتح باستانبول) رقم ٥٣٠٦، ٢، ضمن مجموع في خمسة كتب، يأتي الكتاب ثانيًا، ويشغل الورقة ٢٤ إلى ٧٢، بخط يوسف بن لؤلؤ بن عبدالله.

ولأهمية الكتاب - على صغر حجمه - حاول عدد من المحققين، من العرب والمستشرقين، القيام بتحقيقه ونشره، فظهرت - لذالك - ست محاولات، وهي:

الأولى: محاولة المستشرق (بروي) نشره، فصدر عن منشورات الجمعية العلمية في فيينا ولايبزك، ١٣٤٦هـ- ١٩٢٧م، مع كتاب «المكاثرة عند المذاكرة» للطيالسي، الذي حققه المستشرق (رودلف جاير) إلا ان عمل بروي كان ناقصًا ومخلاً، ويدل على جهل فاضح بالعربية، فامتلأت نشرته بالتصحيف والتحريف والاجتهادات المضحكة.

الثانية: قام المستشرق الانجليزي (فريتس كرنكو - سالم الكرنكوي) بنسخ مخطوطة الكتاب، والتعليق عليها، مع بعض الملاحظات في الحواشي،

تمهيداً لتحقيق الكتاب ونشره، إلا أنه لم يفعل ذالك. وتوجد مخطوطته في دار الكتب المصرية، برقم ١٣٥٢٦ز.

الثالثة: كان المرحوم العلامة الشيخ محمود محمد شاكر قد نسخ مخطوطة الكتاب - أيضًا - أملاً بتحقيقه ونشره. ولم يحدث هذا الأمر(٣).

الرابعة: حقق الشيخ حمد الجاسر - حفظه الله - نحو نصف الكتاب، مُقَدّمًا له بدراسة علمية للكتاب والمؤلف، وذالك في مجلة «العرب»، مج ٤، رمضان - شوال ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م - ١٩٧٠م. وتوقف عن اكمال التحقيق والنشر، لأنّه بلغه انَّ أحد المستشرقين نشره كاملاً.

الخامسة: تحقيق الأستاذ الدكتور عبدالعزيز بن ناصر المانع - أعزه الله - وصدر عن مكتبة الخانجي بالقاهرة، مطبعة المدني، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، في ٢٩٤ صحيفة + ٣٦ صحيفة للمقدمة. وهو أول تحقيق علمي كامل رائد له.

السادسة: تحقيق المرحوم د. محسن غياض ود. مصطفى عبداللطيف جياووك، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٩م - [١٤٢٠هـ]، ط١، في ١٥٧ صحيفة.

قال عباس الجراخ: من القضايا المؤسفة التي تجابه الكتب المحققة، تكرار ظهور تحقيقات مختلفة لكتاب واحد، وفي سنوات متقاربة، ويزيد الأمر سوءاً أن التحقيق يقوم على المخطوطة - أو المخطوطات - نفسها، فلا يعلم هذا المحقق بما يقوم به آخر غيره، وذالك لضعف الاتصال - بل انعدامه - بين مؤسسات الوطن العربي، فضلاً عن بعثرة الجهود وتضييع المال، وتشتت أذهان القراء والدارسين في متابعتهم لهذه الكتب والاصدارات المتعددة.

ويبدو أن عملية تكرار تحقيق كتاب واحد لا تنتهي، فإذا كان المحققون والدارسون قد عرفوا تحقيق د. المانع، ورجعوا إليه في تخريجاتهم ودراساتهم،

كونه عملاً علميًّا متكاملاً، فانهم فوجؤوا، بالنشرة البغدادية، التي حققها إثنان من الأساتذة العراقيين، اللذين لهما خبرة في التحقيق والدراسة والنشر.

ونحن هنا لا نريد أن نغمط حقهما بعد أن خدما الكتاب، وبذلا جهودًا ملحوظة في تحقيقه، ولكن العتب على دار النشر التي أخَّرت نشره نحو ثماني سنوات، مما أحدث بونًا واسعًا مع سنة طبع النشرة القاهرية، ولاسيما أن النشرة البغدادية مذيلة في رمضان ١٤١١هـ- ١٩٩١م، في المقدمة!!

وأنا أجزم أنّ محققي هذه النشرة، لو كانا يعلمان بتحقيق د. المانع، لما جشّما نفسيهما تحقيق هذا الكتاب، بل لانصرفا إلى جهود أخرى غيره.

وأذكر أنَّ المرحوم د. محسن غياض كان قد حدثني - والألم يعتصره - عن تأخر صدور تحقيقه للكتاب، إذ لم يظهر إلا بعد وفاته بشهرين، وأنه عَلِم بنشرة د. المانع بعد تقديم الكتاب للطبع.

وتبقى نشرة د. المانع هي الأسبق، كونها - فضلاً عن سنة الطبع ١٩٩١ - قد ذُيلت مقدمتها بسنة ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

والآن، ما قيمة هاتين النشرتين، وما ميزة كل واحدة عن الأخرى؟

إنَّ الإجابة عن هذا تتضح في الفقَر الآتية:

أولا: المقدمة:

في النشرة البغدادية عقد المحققان مقدمة، شملت الصفحات ٩- ٢٤ تحدثا فيها عن: المؤلف، مؤلفاته، شعره، ثم: الكتاب، اسمه، مخطوطاته، نشراته، موضوعه ومنهجه، مصادره ورواته، قيمته ومن نقل عنه، ثم: عملهما في الكتاب.

أما نشرة د. المانع فقد اقتصرت على ثلاث صفحات (٥- ٧)، أشار فيها

إلى جهود من سبقه في تحقيق الكتاب ونشره، وأتبع ذالك بنص (المقدمة) التي دبَّجها العلامة الشيخ حمد الجاسر، في تحقيقه - الناقص - للكتاب، المنشور في «العرب»، (ص ٩- ٢٢).

ويلاحظ ما يأتي:

١- أثبت المحققان العراقيان صورتي الصفحة الأولى من عنوان المخطوطة التركية، والأخيرة من نسخة كرنكو، أما د. المانع فأثبت أربع صفحات من النسخة التركية فقط، أولاها صفحة عنوان المجموع المخطوط.

مع العلم أن محققي النشرة البغدادية لم يحصلا على المخطوطة التركية مباشرة، بل على صورة منها، محفوظة في مجمع اللغة العربية بدمشق برقم (٥٣٠٣).

٢- ورد في النشرة البغدادية: (أنّ المستشرق الشهير الأستاذ رودلف جاير هو أول من نشر الكتاب في فيينا سنة ١٩٢٧م) ص١٤.

والصحيح: أنه الأستاذ (بروي). وهو أمر لما يعلما به، كما لم يعلما بنسخة الشيخ محمود محمد شاكر.

٣- إذا كان د. المانع قد أثبت مقدمة الشيخ الجاسر برمتها، فان المحققين العراقيين استفادا منها كثيراً، وأكدا أنهما اعتمدا (على كثير مما ذكره أستاذنا الجاسر مع الإشارة إليه في مواضعه إن شاء الله) ص٩، فمقدمتهما أتكأت - إلى حد بعيد - على مقدمة الشيخ الجاسر ولكنهما زادا مبحثًا مهمًّا هو (قيمة الكتاب ومن نقل عنه) ص ٢٠- ٢٣.

٤- كانت أرقام النشرة البغدادية متصلة مع أرقام النص المحقق، أما نشرة د. المانع فقد أفردت بأرقام مخصوصة، وهو عمل علمي صحيح.

ثانيًا: النص المحقق:

اهتم محققو النشرتين القاهرية والبغدادية بإيراد النص كاملاً، مع إضاءته وتبيانه بالحواشي والتخريجات العلمية والتراجم. ويُلاحظ - في ضوء ذالك - ما يأتي:

١- ضَبَطَ د. المانع الكتاب جميعه - شعراً ونثراً - بالشكل التام، أما النشرة البغدادية فقد اكتفت بضبط مواضع قليلة - خاصة في الشعر - لأمنِ اللَّبْس.

٢- وَضَعَ د. المانع أرقام صفحات المخطوطة، مع النص في الجهة اليسرى، في حين أهملت النشرة البغدادية هذا الأمر العلمي المهم.

٣- قَارَنَ د. المانع النص مع نشرة (بروي)، وبيّن أوهامها، ولم يفعل المحققان العراقيان ذالك، لعدم علمهما بها، ورجوعهما إليها.

٤- فَسَّرَ محققا النشرة البغدادية كثيراً من الألفاظ المعجمية، التي توجب الشرح، أما د. المانع فلم يفعل هذا أصلاً، ولم يكن في منهجه.

٥- رَقَّمتِ النشرة البغدادية أسماء الشعراء بأرقامٍ مخصوصة، تنتهي بالرقم (٢٠٥)، أما د. المانع فوَضَعَ نجمة (*) أمام كلُّ شاعر، وزاد في (ص ٢٧- ٣٧)، قبل النص، بأن أثبت (أسماء الشعراء العمرين حسب ترتيبهم في الكتاب)، مع أرقامهم، انتهت بالرقم (٢٠٦)، وهذا الرقم الزائد سببه تكرار ترجمة: (عمرو بن مرة الجهني).

هذه هي الملاحظات العامة عن النص، والآن وقت الشروع بإبراز جهد المحققين في العمل هذا.

١- ثمة عبارات أوردها الناسخ في حواشي المخطوطة، اختلف محققو النشرتين في إيرادها.

فقد ورد في ص ٢١ / المانع، ثلاثة أبيات لعمرو بن ودعان العكليّ، وكان الثاني منها:

خذلتُ بها ابنَ مخزوم برمحي   وأَوْلَى لابن فاطمةَ الربيعُ

فعلّق في الهامش: (في حاشية المخطوط: «الربيع بن زياد العبسي»). وما فعله صحيح.

أما في النشرة البغدادية، فقد وَهَمَ المحققان (ص ٣٦)، إذ ذكرا العبارة الواردة في حاشية المخطوط في متن النص، بعد البيت الثالث، وهو أمر مردود، وغير صحيح، إذ لا تعدو العبارة أن تكون توضيحًا من الناسخ لاسم (الربيع)، الوارد في قافية البيت الثاني.

ومن جانب آخر أدخل محققا النشرة البغدادية نصوصًا من حاشية الناسخ، دون أن يشيرا إلى ذالك، فعلى سبيل المثال، ص ٩٨؛ ترجمة: (عمرو بن الجموح)، وص ٨٤؛ ترجمة: (عمرو بن العاص)، السطر ١٤، أما د. المانع (ص ١٤٠، ١١١)، فقد أشار إلى الأمر في حواشيه.

وفي ص ٦٢ / المانع،: (فمرّ رجل من بني ذهل)، وعلّق في الهامش: (مكانها في أصل المخطوط: فجاء، والتصحيح في الحاشية، بإشارة من الناسخ).

أما في النشرة البغدادية (ص ٦٠)، فقد وردت العبارة: (فَمَرَّ فجاء رجل من بني ذهل) كذا، ولم يذكر المحققان تعليق الناسخ في حاشيته.

٢- ثمة اجتهادات من محققي النشرة البغدادية، لها وجه من الصحة لم نرها عند د. المانع.

من ذالك، ما ورد في النشرة البغدادية، ص ١٠٦: (الحسن بن عتبة) فقالا: (..... انَّ ابن حزم ذكر في جمهرته ٧٢ من ولد أبي لهب بن عبدالمطلب:

الحسن وحمزة ابني عتبة بن ابراهيم..). إلخ أما عند د. المانع، ص ١٦٠، فقد ورد: (الحسن بن عُبيد).

وجاء في النشرة البغدادية، ص ١١٩: (له نجدة وبصيرة). وذكر أحد محققيها: (في الأصل وفي نسخة كرنكو: له خبرة.. وقد اجتهدتُ هذا التوجيه). وبعد أربعة أسطر وردت عبارةٌ. هي: [وهذا خطأ لأن مسلمة في ذالك الوقت كان ببلاد الروم، ولعله غيره]. وفي الهامش: (لعل هذا الاعتراض لابن الجراح نفسه على الخبر الذي رواه مسنداً إلى الأوزاعيّ.. أو لعله لغيره عن ناسخي كتابه).

أقول: ولم يرد شيء من التعليق عند د. المانع على هذا الخبر، أما العبارة التي سبقتها، فقد وردت عنده: (له خبرة وبصيرة)، كما ورد في الأصل وعند كرنكو.

٣- جاء في ص ١١٦ (ط. المانع):

وقد يدومُ ديق [؟] الطامع الأمل.

فعلّق على ذالك: (هكذا في الأصل، ولم أجده في مصدر آخر مما اطلعتُ عليه).

وفي النشرة البغدادية (ص ٨٨) ان روايته:

وقــــــد يُـــــدَوّمُ ريــــقَ الـطـامــــع الأمــــلُ

وورد في الحاشية انه: «لابن احمر في الحيوان ٣ / ٤٧ والمعاني الكبير ١٢٥٨.....».

٤- ورد عند د. المانع، ص ٦٢ قصة (عمرو، اسم زَوَّرَهُ أعرابيّ). وفي خاتمته ورد بيتان، فعلّق: (لم أعثر على هذه القصة أو الشعر فيما رجعت إليه من مصادر).

أما النشرة البغدادية (ص ٦٠) ، فقد ظفر محققاها بالقصة والبيتين في: «المعاني الكبير» ١ / ٧٩ . وهو أحد المصادر التي رجع إليها د. المانع!.

٥- أما بالنسبة لوزن الأبيات، فقد رأينا في ترجمة: (عمرو بن الأحوص) و(عمرو بن حرملة) و(عمرو بن حسان) و(عمرو بن الأسود) و(عمرو بن الصديّ الغنوي)، أنَّ صدر البيت الأول لكل منهم من الكامل، وعجزه من الطويل، فقام د. المانع (ص ٢٣، ٢٤، ٢٦، ١٠٠، ١٧١) بوضع حرف الواو، بين عضادتين، لتصبح الأبيات من الطويل. وهذا أمر لم يأخذ به المحققان العراقيان، ولا التفتا إليه (ص ٣٧، ٣٩، ١١٤)، وإن كانا قد وضعا حرف الواو عند: (عمرو بن الأسود) و(عمرو بن عبد ودّ) - ص ٧٩ - ولم يشيرا إلى ذالك، وبيت الأول من الطويل، والثاني من الوافر. وتُنظر طبعة د. المانع (ص ١٠٠، ١٠١).

وجاء عند د. المانع، ص ١٤٩ :

لم يغضبوا لله إلاَّ للجملْ

كم قائل منهم لآخرَ لا شللْ

وإذْ أثبت محققا النشرة البغدادية النص هكذا (ص ١٠٣)، فقد ذكرا: (ولعل صحة البيت الأول من الرجز: لم يغضبوا لله لكن للجمل، وتُقرأ راء (الآخر) ساكنة، والاَّ كان البيت من الكامل...). وهذه مناقشة علمية صحيحة.

٦- وردت في النشرة البغدادية (٨٧) ثلاثة أبيات لأبي الأسود الدؤلي، لم يظهر قسم من كلماتها، وجاء البيت الثاني، هكذا.

.... على محمدٍ فقلتُ لم ....

اضافة إلى (لأن) في عجز الثالث، وذكر أنَّ الأبيات في: «جمع الجواهر» ٢٠٧، و«نور القبس» ١٠.

أما د. المانع (ص ١١٦)، فلم يستطع قراءة ما تبيّنَ من البيت الثاني، وأول عجز الثالث، أو يعرف المصدرين اللذين وردت الأبيات فيهما.

قلتُ: كنتُ أتمنى على المحققين العراقيين - وقد ذكرا مصدرَي الأبيات، وهو أمر يُحمد لهما - أن يُثبتا الكلمات التي لم تظهر في النص، بوضعها داخل عضادتين [ ]، لأن غاية التحقيق هو ذكر النص كما أراده مؤلفه، لا كما أراده الناسخ، أو الذي عبث بالنص!

كما أنهما لم يضعوا كلمة [حلمهم] داخل عضادتين في صدر البيت الأول ص ١١٦، وقالا: (بياض في الأصل) على الرغم من أنَّ: معجم المرزباني أثبتها، وقد ذكر د. المانع (ص ١٧٩) الكلمة في مكانها الصحيح.

٧- استطاع محققو النشرتين أن يعثروا على تراجم عدد من الشعراء، من مظانهم الموثوقة، وقد حدث تباين في إيراد تراجمهم، فهناك تراجم وُفّق د. المانع في العثور عليها، في الوقت الذي اعتذر محققا النشرة البغدادية عن ذالك، والعكس صحيح أيضًا.

فقد ترجم د. المانع لأربعة شعراء، وهم: (عمرو بن سلمة الكلابي) و(عمرو بن قريط العامري) و(عمرو بن البراء الكلابي) و(عمرو بن شبيل). - ص ٢٤، ٣١، أما في النشرة البغدادية ص ٣٨، ٩٦، فقد اعتذر محققاها عن ذالك!

والغريب أن د. المانع قد رجع، في تراجمهم إلى: «الإصابة» لابن حجر و«النوادر» لأبي زيد، وهما مصدران كان محققا النشرة البغدادية قد رجعا إليهما، وأثبتاهما في قائمة المصادر.

ووردت ترجمة للشاعرين: (عمرو بن خالد بن الشريد السلمي) و(عمرو ابن حنظلة العجلي)، فترجم لهما محققا النشرة البغدادية ص ٣٩، ١٣٤، في حين اعتذر د. المانع ص ٢٧، ٢١٩، عن العثور على مصادر ترجمتهما!

ويلاحظ أن د. المانع قد اعطى لكل شاعر رقمًا طبيعيًّا عند الإحالة في هوامش الكتاب، أما محققا النشرة البغدادية - ولأنهما اثنان - فقد اضطربا في إيراد ذالك، إذ أثبتا أرقامًا مع تسلسل الهوامش في الكتاب حتى رقم ١٧ : (عمرو بن موهبة) ص ٣٥، إذْ أعطيا له رقمًا هو رقمه التسلسلي الخاص، ثم اضطرب الأمر، حتى رقم ١٣٧ (عمرو الرحال)، إذْ تُرجم له برقمه الخاص، حتى نهاية الكتاب.

وفضلاً عن هذا، فإنَّ مُحققي النشرتين اتفقوا - نسبيًّا - على عدم ترجمة الأعلام المشهورين - من غير العَمْرين، وخاصة الذين وردوا في أسانيد الأخبار.

على أن النشرة البغدادية ترجمت لأبي بكر الهُذلي - ص ٦٥، والمروزي ص ٤٠، أما د. المانع فقد ترجم لأبي وجزة السعدي، ص ١٦٧، ويزيد بن أسيد السلمي، ص ٢١١، وكانت مصادره كثيرة وغنية.

ولإغناء المناقشة والفائدة، فقد عرّف المحققان العراقيان بيومَيْ: (مبايض) و(النشاش) ص ٦٩، ٩٧، أما د. المانع فقد أهمل التعريف بهما.

(للبحث صلة)

بابل/ الحلة: عباس هاني الچراخ

الحواشي:

(١) حقق كتاب (الورقة) عبدالوهاب عزام وعبدالستار أحمد فراج، القاهرة، دار المعارف، ١٣٧٢هـ- ١٩٥٣م. ثم صدرت طبعة ثانية منه، دار المعارف، وثالثة عام ١٩٨٦م.

(٢) نشر الأستاذ عبدالرحمن بن عبدالله الشقير: (المستدرك على مَنْ اسمه عمرو من الشعراء)، في مجلة «العرب»، س ٢٩، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م، وضم مئة شاعر، لم يذكرهم ابن الجراح.

(٣) والأمر نفسه مع كتاب «جمهرة نسب قريش وأخبارها»، للزبير بن بكار، الذي حققه، وصدر الجزء الأول منه في القاهرة، ١٣٨١هـ، ونَسَخَ الجزء الثاني أملاً بتحقيقه، إلا انه توفي رحمه الله، فقام الشيخ الجليل حمد الجاسر بإعادة نشر الجزء الأول، مع الجزء الثاني وراجعهما وصدرا عن مجلة العرب ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، وقمت بصنع فهارس تفصيلية للكتاب.

تباريــــح

أخا النُّبل أنمـاط الحـيـاة كـثـيـرة ... تناغي ذوي الألبـاب بالهـزل والجـد

متى اشـتـد منهـا جـانب لان جـانب ... به تتـسـاوى جـفـوة السـهـو بالعـمـد

الا فـاربعي أيام صَــفْـويْ فــإنني ... أتيـه اشـتـيـاقَ الزنـد يلتصُّ بالزند

أكـفكف من ذكـرى التـواصـل أدمـعي ... ويهفو - خَفِيُّ الشكو - قلبي إلى الشهد

إذا العُـصْمُ في شم الجـبـال تـدرَّمت ... مناسمـهـا مِنْ حَسّـهـا شُعَبَ الصـلد

وكزَّت[١] خُطاها كي تُرِيْش ظلوفَهَا ... على رِسْلِهَا تختال في نَشْوَةِ الْمَلْد[٢]

متى رابـهـا مـا تـتـقي إثر شَـمِّــه ... رَنَتْ واسْبَطَرَّت فوق أربَعِهَا الجُرْد

تتـابع أرتالَ القِـفَـازِ كـأنهــا ... قطًا مُـفْـزَعٌ عن وِرْدِ مَشْرَبَةِ الوِرْد

تناغم - أطَّ[٣] - خِشْفَهَا حين تنتهي ... بها صَرْحَةٌ[٤] في غاية النَّجْوِ والبُعْد

فـلا بلغ الآمـال مُـدْمِنُ خَـمْـرَةٍ ... ولا مـتـوانٍ خـاملٌ مُـعْـدَمُ الْجِـدِّ

عبدالرحمن بن عبدالله آل عبدالكريم

الحواشي :

(١) قاربت.

(٢) النعومة والشباب.

(٣) بصوت أغنّ خفيض.

(٤) متن الأرض المرتفعة.

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم:

حول (العواسج) من الدواسر

اطلعت على مجلة «العرب» س٣٥ ص٣٧٦ وما نشر فيها عن قبيلة العواسج بقلم الأخ عبدالعزيز بن إبراهيم الأحيدب ولي على ما كتب بعض الملاحظات والإضافات وهي في هذا المقال الذي آمل نشره.

آل عوسجة أو العواسجة هم أحد أفخاذ البدارين الرئيسة، وبلادهم منطقة ثادق والمحمل، مع أبناء عمومتهم من قبيلة البدارين، ثم نزح بعضهم إلى منطقة سدير، وسبب تسميتهم بهذا الاسم غير معروف.

الملاحظات:

١ - لم يذكر المقال أن العواسجة من قبيلة البدارين من الدواسر بل ذكروا من الدواسر مباشرة.

٢ - ذكر الأخ الأحيدب ما نصه: هذه أسر العواسج في ثادق. والصحيح أنهم ليسوا كلهم في ثادق وبلادهم بالتفصيل كالتالي:

آل عبيد في البير بالمحمل، آل حزاب في البويردة بالمحمل، آل سليمان المطاوعة في البير ورد ذكرهم في وصية الشيخ محمد بن ربيعة العوسجي (ت ١١٨٥هـ) وآل عباد في البير والصفرات وحريملاء، آل إبراهيم في البير، آل حماد وآل فهيد في روضة سدير، آل صبيح في ثادق والبير وتمير وكذالك آل غرشي في حوطة سدير كان لهم فيد الغرشي في ثادق سابقًا، آل منيع في ثادق والخطامة بسدير منهم الشاعر محمد بن منيع من أهل البير وله قصيدة يمتدح فيها سعدون بن عريعر بن دجين سنة ١١٧٠هـ[١]، آل فايز من المنيع، كذالك آل سلامة في الصفرات بالمحمل.

٣ - لم يذكر آل الشيخ في ثادق، وهم ذرية محمد بن سلامة بن محمد بن

عبدالرحمن بن حمد بن عبدالرحمن بن علي بن محمد بن سلطان بن حمد بن عمران العوسجي[٢] والذي قتل في عهد الإمام محمد بن سعود عام ١١٦١هـ[٣]. ومن سلسلة النسب هذه يكون زمن عمران جد آل عمران العواسجة البدارين في القرن الثامن الهجري، ومعاصراً لعامر بن زياد البدراني والذي ينسب إليه بعض الأسر البدرانية.

ومن ذرية محمد بن سلامة القضاة المعروفين في زمن الدولة السعودية الأولى والثانية:

(١) الشيخ محمد بن سلطان بن محمد بن سلامة قاضي الأحساء (١١٧٩-١٢٢٣هـ) ومن ذرية سلطان آل سلطان في الدرعية وحايل.

(٢) الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن محمد بن سلامة قاضي عمان سنة ١٢٤٤هـ.

(٣) الشيخ محمد بن مقرن بن محمد بن عبدالعزيز.

(٤) الشيخ حمد بن عبدالعزيز بن محمد بن عبدالعزيز العوسجي (١٢٤٥-١٣٣٠هـ).

(٥) الشيخ محمد بن حمد بن عبدالعزيز قاضي وإمام الحرم (١٣٤٤-١٣٤٦هـ) وقد ذكر الشيخ عبدالله البسام تراجم لهاؤلاء في كتابه «علماء نجد خلال ثمانية قرون»[٤].

٤ - جعل الأستاذ الأحيدب آل إبراهيم من آل سلامة وما أعلمه هو أن آل إبراهيم لا علاقة لهم بآل سلامة.

٥ - كذالك آل صبيح هم أبناء عمومة لآل عباد[٥] ومن آل صبيح الصبيح في الكويت[٦].

د. عيسى بن إبراهيم آل عيسى

حول العواسج أيضًا

إشارة إلى ما نشر بمجلتكم الغراء حول ما أرخ عنهم الأستاذ عبدالعزيز بن إبراهيم الأحيدب وما نقله من معلومات عن أنساب العواسج في ثادق من الأخ عيسى بن إبراهيم العيسى.

أ) ذكر عن العواسج أهل ثادق الأسر التالية وهي: - آل حزاب في البويردة وحريملاء، العبيد في البير، والربيعة في ثادق وفي الكويت والرياض والمنطقة الشرقية، وآل سلطان في حريملاء والصالح.

ب) آل سليمان في البير - آل سلامة في الصفرة وآل إبراهيم في البير.

ج) آل منيع في البير والخطامة والصفرات وثادق.

د) آل عباد في الصفرات وحريملاء والبير.

هـ) آل صبيح في البير وثادق وتمير والكويت وغيرها.

و) آل حماد في روضة سدير.

وكان يجب على الإخوة ذكر العلماء الذين اشتهروا في هذه الأسر كالشيخ محمد بن ربيعة العوسجي البدراني، وعبدالرحمن بن ربيعة، والشيخ محمد بن منيع -رحمهم الله- والشيخ حمد بن عبدالعزيز، والشيخ محمد بن سلطان العوسجي وغيرهم.

آمل من الإخوة الإطلاع وعدم الخلط بين الأسر، وتحديد مواقع سكنهم الأصلية، لأن هناك أسر كثيرة من غير الدواسر أسمائهم نفس أسماء هذه الأسر في ثادق.

كما آمل الرجوع إلى المؤلفات القديمة مثل كتاب «سبائك الذهب» ص٢١ طبعة مكتبة المعارف، وكتاب «علماء نجد خلال ثمانية قرون» تأليف الشيخ عبدالله البسام الطبعة الثانية ج٥ ص ٥٣١ و«كنز الأنساب» تأليف الشيخ حمد الحقيل ط١٣ ص١٩٥ وكتاب محمد بن عثمان القاضي «روضة الناظرين عن

مآثر علماء نجد وحوادث السنين، القاهرة - مطبعة الحلبي.

والعواسج المتواجدون في ثادق فقط هم:

١- آل ربيعة ذرية الشيخ محمد بن ربيعة العوسجي الدوسري البدراني.

٢- آل الشيخ: ذرية الشيخ حمد بن عبدالعزيز العوسجي الدوسري البدراني.

٣- المنيع: ذرية محمد بن منيع العوسجي الدوسري البدراني.

٤- الصبيح: في ثادق.

٥- آل سويلم: (المشاري - الدباس - الفوزان..).

والدواسر قبيلة كبيرة، فيها بطون وأفخاذ عديدة لا تحصى، وهم يجتمعون في جدهم غانم بن ناصر بن ودعان بن سالم بن زايد بن زياد بن سالم بن وداعة ابن عمر بن عامر من قبائل الأزد المنتهي نسبها إلى كهلان، شعب كبير في قحطان، ومنازل الدواسر الأصلية وادي الدواسر والأفلاج في جنوب نجد، ولكنهم تفرقوا في مدن وقرى نجد ومن هاؤلاء آل عوسج عمّروا ثادقا.

وبلدة ثادق تقع شمال الرياض، وهي عاصمة المحمل، وقد انشأت عام ١٠٧٩ والذي عمروها هم آل عوسج بطن كبير من قبيلة الدواسر، وظهر منهم علماء أجلاء، ولا يعرف عوسج الآن إلا بالعواسج.

الرياض: إبراهيم بن محمد الربيعة

الحواشي:

(١) «خيار ما يلتقط من الشعر النبط»، جامعه عبدالله بن خالد الحاتم. الكويت - منشورات ذات السلاسل، ط١، ١٩٨١م - ج١: ص ٢٢٩.

(٢) مشجر نسب ذرية محمد بن سلامة العوسجي - إعداد: إبراهيم بن حمد ابن الشيخ.

(٣) «عنوان المجد في تاريخ نجد» لابن بشر. منشورات دارة الملك عبدالعزيز - ط٤ سنة ١٤٠٢هـ، ج١: ص ٥٩.

(٤) «علماء نجد» لابن بسام ط٢ سنة ١٤١٩هـ. (٥) «تاريخ ابن عباد» للعوسجي، ط ١٤١٩، ص ٣٣.

(٦) «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» تأليف حمد الجاسر، الرياض - منشورات دار اليمامة، ص٢، ١٤٠٩هـ: ص٤٣٤.

واطلع الأستاذ عبدالعزيز بن إبراهيم الأحيدب على الملاحظات التي أوضحها كل من الأخوين فأفضل بكتابة ما يلي:

اطلعت على ما كتبه الأخ عيسى بن إبراهيم العيسى والأخ إبراهيم بن محمد الربيعة عن بعض الملاحظات حول ما نشرته عن بعض الأسر من قبيلة الدواسر في مجلة «العرب».

حول ملاحظات الأخ عيسى بن إبراهيم العيسى:

١- ذكر الأخ عيسى أني لم أفصل في البلدان التي فيها العواسجة حاليًّا، عليه أفيد اني نقلت من الورقة التي زودني بها عن العواسج، وهذه لم تفصل بها البلدان، وإنما ذكر أن العواسجة في ثادق والصفرات والبويردة والبير وغيرها من بلدان المحمل.

٢- حول ما ذكر أني لم أذكر آل الشيخ في ثادق. عليه أفيد أنه هو نفسه لم يذكرهم في ورقته، وإنما ذكر آل سلامة ومنهم الشيخ حمد بن عبدالعزيز العوسجي وآل سلامة ذكرتهم من ضمن العواسج، والمطلوب بيان الأسر وليس العلماء.

٣- حول ما ذكر أني جعلت آل إبراهيم من آل سلامة. عليه انقل نص ما ذكر في الورقة: (آل سلامة منهم الشيخ حمد بن عبدالعزيز العوسج وأيضًا آل إبراهيم).

٤- حول آل صبيح وآل عباد. عليه انقل نص ما كتب في الورقة: (آل عباد منهم المؤرخ ابن عباد) ثم ذكر حول صبيح: (آل صبيح آل غرشي ومنهم آل فهيد آل حماد). ثم اتصل بي وذكر انه ليس متأكدًا أن آل فهيد وآل حماد من آل صبيح، وإنما مؤكد أنهم عواسج، وعليه أفردتهم في المقال.

حول ملاحظات الأخ إبراهيم بن محمد الربيعة:

١- حول عدم تحديد مواقع سكن الأسر فهو محق في ذالك، لوجود تشابه في أسماء الأسر، أما ذكر العلماء من العواسج فإن كتاب «علماء نجد» ذكرهم بتفصيل ومجلة «العرب» طلبت إيضاحًا عن الأسر فقط.

٢- قوله: (الدوسري قبيلة كبيرة). عليه أفيد أن الدوسري يطلق على الفرد، وليس على القبيلة، والصحة أن يقول الدواسر، ثم انه كرر نفس الكتابة حول الدوسري، أما قوله أن الدوسري - يقصد الدواسر - يجتمعون في غانم بن ناصر بن ودعان فهذا ليس بصحيح. حيث أن ودعان جد غانم هو أحد أولاد سالم الأربعة، وللتوضيح أفيد أن المتواتر عند قبيلة الدواسر أن زايد القادم من مأرب في اليمن على أثر انهيار السد، له ولدان هما سالم وصهيب، وأن سالماً أولاده: ١- بدران جد البدارين. ٢- ودعان جد الوداعين. ٣- رجب جد الرجبان. ٤- منيع جد المخاريم. وأن أولاد صهيب: ١- جري جد المساعرة وآل بريك. ٢- حسن جد الفرجان وآل عمار والشكرة. ٣- غياث جد الغياثات. ٤- عيسى جد الشرفاء. ٥- موسى جد الحراجين. ومن هذا يتضح أن الوداعين فرع من مجموع تسعة أفرع من الدواسر.

٣- طلب الأخ إبراهيم الربيعة الرجوع إلى الكتب القديمة مثل كتاب «سبائك الذهب» لمؤلفه محمد أمين السويدي المولود في بغداد عام ١٢٤٦ هجرية، وأرفق صوراً لنسب العواسج من نفس الكتاب، وعليه أفيد أن العواسج الوارد ذكرهم في كتاب السويدي منسوبين إلى حمير، وقد فصل الهمداني نسبهم ونسبهم إلى آل ذي مقار من حمير، وذكر أن من العوسج أحمد بن يزيد بن عمر بن نابت بن الريان، وهو الذي سكن جرش، وقامت حرب بينه وبين عنز بن وائل، وأن جرش مناصفة بين العواسج وبين الفاف عنز من الجزارين وكذالك ورد ذكر أهل جرش من العوسج في كتاب «سيرة الأميرين الجليلين» لأحمد الربعي الوادعي، من أهل القرن الخامس الهجري، ومن هذا يتضح أن عواسج جرش لا علاقة لهم بعواسج ثادق، عدا تشابه في الاسم حيث أن هناك اجماع عند عواسج ثادق انتسابهم للبدارين من الدواسر ومنهم إبراهيم الربيعة صاحب التعقيب، هذا ما لزم توضيحه.

عبدالعزيز إبراهيم الأحيدب

حول قبيلة النفيعات

سبق أن نشرت مجلة «العرب» - س٢٩ ص٥٣٥ مقالا عن قبيلة النفيعات، وقد لاحظ عليه الأخ مجدي بن أحمد النفيعي ملاحظات منها :

١ - أن قبيلة النفيعات محافظة على انتسابها إلى النفعة من عتيبة هوازن وقد اعلنت ذالك في الأردن ومصر وغيرهما بمختلف الوسائل.

٢ - أن ما نقله الأخ راشد عن نعوم شقير وغيره لا يصح الاعتماد عليه.

وقد نشر الأخ مجدي ملاحظاته مفصلة في بعض الصحف المصرية، ومجلة «العرب» لا تعيد نشر مقال سبق نشره في شيء من الصحف.

أسرة الطريفي في القصيم من السعيد من آل عاصم من قحطان

بعث إلى «العرب» الأخ حمود بن فهد الطريفي من بلدة (الربيعية) في منطقة القصيم الكلمة التالية : أطلعت على ما ورد في كتاب «جمهرة انساب الأسر المتحضرة في نجد» الطبعة الثانية ج٢ ص ٤٦٦ من أن (الطريفي) في عين ابن فهيد في الأسياح في القصيم من السعيد من آل عاصم من قحطان.

والصحيح أننا من الطلاحين من العجانات من الصمدة من قبيلة الظفير في كل من البلدان التالية : عين ابن فهيد والتنومة بالأسياح والربيعية وبريدة والخرج والرياض والكويت، وأول من استوطن وتحضر منهم محمد بن طريف بن حمدان في حدود القرن الحادي عشر الهجري، عند وجود قبيلة الظفير في بادية القصيم، استوطن في بلدة النبقية، ثم تفرق ابناؤه في العين والتنومة ثم الربيعية، ثم بعد ذالك في الرياض والخرج والكويت، والآن كثير منهم

موجودون في العين والتنومة والربيعية وبريدة والخرج والرياض والكويت.
ومنهم حمود بن محمد الطريفي امير الربيعية (١٣٥٠ - ١٣٦٠) والشاعرة نورة بنت حمود الطريفي الظفيرية التي ورد لها ذكر في كثير من كتب الأشعار الشعبية وتوفيت في الربيعية عام ١٣٤٥ واخوها محمد بن حمود الطريفي الذي قتل في معركة جراب عام ١٣٣٣.

هذا ما أردت التنبيه عنه.

الربيعية - القصيم: حمود بن فهد الطريفي

أسرة آل سلطان من البراعصة من مطير

من الأسر المعروفة من قبيلة مطير أسرة السلطان الموجودة بمحافظة القويعية والرويضة الواقعة على طريق الرياض الطائف السريع، يرجع نسب هذه الأسرة إلى فخذ البراعصة من عُلْوَا من قبيلة مطير.

وقد تقابلتُ مع كلٍ من عبدالعزيز بن عبدالله بن سلطان وابن أخيه عبدالله بن محمد بن عبدالله بن سلطان البَالغَينِ من العمر ٨٠ سنة تقريباً للبحث عن نسب أسرة سلطان.

فأخبرا بما هو آت: نحن أبناء عبدالله بن سلطان بن عبدالله بن سلطان بن عبدالله بن محمد بن سلطان البرعصي المطيري. استوطن جدنا عبدالله الأول بن محمد بن سلطان في المناطق التالية: (خنيفساء - رويضة العرض - مأسل وعَرْوَا) في سنة ١١٣٦هـ. وتلك الديار جميعها مع صبحا وتبراك والمستجدة من أهم موارد قبيلة علوا من مطير، وقيلت فيها أبيات مويضي بنت حباب بن قحيصان البرازي، التي تستحمي فيها الدويش على قحطان، بعد وقعة الجناحية جنوب غرب الرس التي قتل فيها صلال المريخي شيخ قبيلة بريه:

ياراكـب فتانـة العيـن حايـل	من الخفس ممساها على جال تبراك
تلفي لشغموم يـداوي الغلايـل	ياحـامي الشـردان صلال يفـداك
نجـد حميتوها مـن أولاد وائـل	واليوم ينزلها سكن وادي الراك
إمـا حميتوهـا بحـد السلايـل	ولأ عطينـا الشـاه ذولا وذولاك

ولقد ثبت عن عبدالله بن محمد بن سلطان أنه كان ذا شجاعة وفروسية فائقة، واشترك في الكون الذي حصل على عروا سنة ١١٥٧هـ، وكان من الفرسان البارزين حيث انتخى في الكون بقوله: (خيال عُلوا وأنا برعصي) فأنشد فيه أحد الشعراء بعد فرحة الانتصار قوله:

ياصباحٍ على عَروْا حضرنـاه	فيه ألاد المطيري تحتمي التالي
برعصـي زبـن ماسـل ونجـاه	ينتخي بالمطيري نعم رجالي

وقد خلف عبدالله بن محمد بن سلطان البرعصي المطيري آثاراً متعددة، تتمثل في عدد من الآبار القديمة في شعيب خنيفساء، الواقع شمال شرق رويضة العرض بحوالي ثمانية أكيال ثم خلّف عبدالله بن محمد بن سلطان ابنه سلطان الثالث الذي استمر في السكنى بتلك الديار، وزاد عليها آثاراً في رويضة العرض نفسها، منها القصر والدروازة المسماة بدروازة الشيخ وثلاثة أبراج لا تزال قائمة وهذه الأملاك تسمى بالعُلَيّا.

وكان سلطان بن عبدالله بن محمد سلطان استمراراً لمسيرة أبيه عبدالله، حيث عرف بالفروسية وقد قتل بالمستجدة ويدل على ذالك شطر البيت التالي:

سلطان خلي من ورى المستجدة	......

وقالت زوجته هذه القصيدة ترثيه بعد علمها بمقتله :

يا قصـــر[1] يامـال النجوم القويـهْ   عســاه مـن بـد القرايـا وطاهـــا

قـد حــط بشيخ القبايـل رزيـهْ[2]   والدم من فوق المذيل[3] كساها

ثم خلف سلطان ابنه عبدالله الثاني الذي كتبت باسمه الوثيقة على ملك خنيفساء والعليا سنة ١٢٥٣هـ. وخلف عبدالله ابنه سلطان الرابع الذي قال فيه أحد الشعراء عندما جاء يخطب ابنته هذه الأبيات :

سلطان ياحامي الهزلان   ثمـن منـاخ العمانيــهْ

عليك يا قايد الغـزلان   هذيـك نـورة المطيريـهْ

ثم خلف سلطان ابنه عبدالله الثالث الذي روى لنا الشيخ فواز بن عماش بن مطلق الجبعاء الدويش قصة عن أبيه عن جده مطلق يقول فيها أن عبدالله بن سلطان، - انظر الصورة المرفقة - وفد على الملك عبدالعزيز -رحمه الله- للمبايعة، ضمن مشايخ القبائل بعد فتح الرياض، وقد تعرف عليه جدي عندما عرف بنفسه بأنه عبدالله بن سلطان البرعصي ومسكنه منطقة رويضة العرض، وعبدالله هذا أنجب سلطان ومحمد وعبدالعزيز ومحمد أنجب عبدالله وعبدالرحمن وسعد، وعبدالعزيز أنجب عبدالله وسلطان ومحمد ومن هنا تكاثرت أسرة السلطان.

الرس: ماجد بن طاهر المطيري

الحواشي :

(١) القصر : قصر سلطان بن عبدالله العلا في رويضة العرض.

(٢) رزية : نصائب القبر.   (٣) المذيل : الخيل.

سعد عبد الله عبد الرحمن

محمد

عبد الله سلطان محمد

عبد العزيز

سلطان الخامس

محمد

عبد الله الثالث

وفد على الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل للمبايعة بعد فتح الرياض أ-هـ رواية عن فواز بن عماش بن مطلق الجبماء الدويش عن أبيه عماش وجدة مطلق .

سلطان الرابع

قيلت فيه قصيدة قالها الخاطب لابنته وهي :

سلطان ياحامي الهزلان

ثمن مناع الصمانية

عليك ياقايد الغزلان

حتيك لورة المطيرية

عبدالله الثاني

له وثيقة على أملاكه في خفيفساء والعليا في رويضة العرض بتاريخ 1253هـ

سلطان الثالث

قتل في المستجدة ويدل عليه شطر البيت (سلطان خلي من ورى المستجدة) قيل في رثائه :

يا قصر ياماال النجوم القوية عساه من بد القرايا وطاها

قد حط بشيخ القبايل رزية والدم من فوق المنزل كساها

عبدالله الأول

قدم إلى ماسل وعروى سنة 1136هـ قيلت فيه قصيدة سنة 1157هـ: يا صباح على عروى حضرناه

فيه ألاد المطيري تحتمي التالي

برعصي زين ماسل ونجاه

ياتخي بالمطيري نعم رجالي

محمد

سلطان الثاني

أمير البراعصة من علوى من مطير كان مشهوراً بالشجاعة الفائقة له القصيدة التي يقول فيها :

أنصحك ياراعي الحصين تقدم

وان سلمت الابل حاصل لك قعود

شفنا لنا بدو وحجرهم تلطم

متناظرين في مناحي الحدود

صلال

سلطان الأول

خلف آثاراً منها قصره في الفريع وهو قصر أثري

حول (آل معتق) و(آل عواد)

كتب إلى «العرب» الأخ عبدالحكيم بن عبدالرحمن العواد كتابًا مفصلاً حول ما جاء عن آل معتق وآل عواد - س٣٥ ص١٨٦ بقلم الأستاذ عبدالعزيز بن محمد الغزي بما هذا نصه: لنا مع ما كتبه الأستاذ عبدالعزيز الغزي عدة وقفات تبين خطورة ما حسبه هينًا وهو عند أسرتنا عظيم فنجملها في التالي:

١- ذكر الأستاذ الغزي أن المستفيض على ألسنة رجالات أسرتنا انتقال قسم منهم من بلدة (الغاط) إلى (الدرعية) وإلى (سدير)، وبقاء قسم في الغاط وهم (آل ملحم) (وآل جاسر) وهذا صحيح، ومعروف لدى الجميع، إلا أن قوله: وانتقل فرع إلى (القصيم) وانتقل قسم إلى (الزلفي). فهذا كلام خاطئ، ولا ينبغي وصفه بالمستفيض على ألسنة رجالات الأسرة، لكونه متناقلاً لدى أسرة (آل معتق) فقط، وأصل هذا القول مبني على رسالة حديثة كتبت عام (١٣٨١هـ) بخط الشيخ محمد بن معتق -رحمه الله- إلى ولده عبدالعزيز (انظر إلى المرفق رقم ١) وهذه الرسالة فضلاً عن كونها حديثة العهد (٣٩ عامًا) تعبر عن الرأي الشخصي لكاتبها، وهي أيضًا لا تحمل الصفة الرسمية والشرعية لافتقادها للتوثيق والشهود، كما أنها ليست ذات قدم يسبق ظهور بدعة انتساب أسرة آل معتق إلى أسرتنا كي تعد دليل إثبات، ولنا عليها عدة ملحوظات هي:

أ) ذكر الشيخ محمد بن معتق في رسالته إلى ولده أن جدهم (إبراهيم بن عواد؟!) أصل مجيئه إلى الزلفي كان من بلدة (العيينة)، (البلدة المعروفة شمال الرياض) في الملك المسمى (أم صوى). قلت: ومعروف لدى الجميع من أسرتنا في الدرعية ولدى كبار أسر العيينة وعلى رأسهم أسرة (آل معمر) أن (آل عواد) الذين كانوا في العيينة أصحاب المُلْك المشهور المسمى (أم صوى)، انتقلوا منها إلى الدرعية ولم يذكر أحد في العيينة أن أحدًا من آل عواد

انتقل إلى غير الدرعية (انظر المرفق رقم ٢) ، إضافة إلى أن هذا الملك قد تم بيعه منذ نحو خمس وعشرين سنة ، ولم يدخل أحدٌ من (آل معتق) أو (آل جاسر) أو(آل ملحم) أو (آل عواد) سكنة بلدة (جلاجل) ، أو (من زعم أنهم في القصيم) في الإرث بعد بيعه ، لعلمهم أن الملك خاص بآل عواد (أهل الدرعية) ، الذين هم وحدهم أهل العيينة ، وما دام أن (آل معتق وغيرهم ممن ذكروا في الرسالة) أصحاب حق في الملك المذكور (حسب زعم الشيخ ابن معتق في رسالته) فلماذا لم يطالبوا بما معهم من (وثائق ؟ !) بنصيبهم منه ، وإننا نطالب من ادعى غير ذالك بإثبات ما يقول .

ب) جميع الوثائق القديمة جدًّا والحديثة التي لدى (آل ملحم) و (آل جاسر) في الغاط و(آل عواد) أهل جلاجل لم تُشر إلى العيينة لا من قريب ولا من بعيد فكيف يأتي بعد ذالك من يزعم أن أصل الجميع بلدة (العيينة) ، وهذا بلا شك يناقض كلام (الغزي) كما يناقض المستفيض لدى جميع فروع الأسرة وهو الإجماع على أن الغاط هي البلدةُ الأم للأسرة ومنها تفرقت فروعها .

ج- ذكر الشيخ ابن معتق في رسالته أن لجدهم (إبراهيم بن عواد ؟ !) أخًا اسمه (سليمان) ، هو صاحب (شعيبة آل عواد) التي ذكر الأستاذ الغزي أن (آل معتق) استلموا تثمين ما انتزعه الطريق العام منها (بما معهم من وثائق ؟ !) ، وهو نفس الملك المشتهر لدينا وفي وثائقنا باسم (فيد آل عواد) ، وإني لأعجب كيف يكون لسليمان المذكور أخ رغم أن وثيقة حصر إرث سليمان بن عواد (انظر المرفق رقم ٣) لم تذكر له سوى ابن واحد - توفي صغيراً - وست بنات ، ومعلوم لدى من له علم بالفرائض أن الأخ يعصب ابن أخيه إذا توفي وليس له ذرية ، فلماذا غفل صاحب الشهادة في الوثيقة (محمد بن ملحم) عن بيان أن لسليمان بن عواد أخًا اسمه (إبراهيم ؟ !) رغم أهمية ذالك ؟ وكيف آل الملك مؤخراً إلى أسرة (آل معتق) ؟ .

د) ذكر الشيخ ابن معتق - غفر الله له - أن ممن خرج من (أم صوى) ملحم ابن عواد وجاسر بن عواد اللذين استوطنا الغاط إلى الآن)، ويُفهم من كلامه أنهما شخصين معاصرين لبعضهما البعض، وأنهما أخوين أو ابني عم، وهذا يخالف ما هو معروف عند الجميع، وما هو مثبت بالوثائق، وما هو مثبت في شجرة الأسرة من أن أسرة (آل ملحم) متفرعة أصلاً من أسرة (آل جاسر) فجد (آل ملحم) هو ملحم بن إبراهيم بن جاسر بن عواد، وجد أسرة (آل جاسر) هو محمد بن جاسر بن عواد، أي أن جاسراً هو جد الجميع، وليس كما سرده الشيخ ابن معتق رحمه الله.

وإنني أستغرب من الشيخ محمد بن إبراهيم بن معتق - رحمه الله وغفر له - أن يكتب مثل هذا الكلام، رغم ما عُرف عنه من الدقة والعناية بالأنساب والتاريخ، فلقد وصفه الشيخ عبدالله بن بسام في كتابه «علماء نجد خلال ستة قرون» ج٢، ص ٣٥٥ - أنه: (المؤرخ النسابة الحافظ، أوسع مؤرخي نجد رواية، وأعلمهم بالتاريخ القديم والمعاصر والأنساب البعيدة والقريبة والحفظ والغريب من الأخبار والأشعار الشعبية والعربية، وهو ثقة ثبت في أخباره ومروياته) انتهى. ويلاحظ أن الشيخ ابن معتق لم ينسب نفسه إلى أسرة آل عواد عندما ترجم له ابن بسام في كتابه آنف الذكر رغم أنه عالم بالأنساب ويعرف أهمية بيان ذالك وخطورة إغفاله؟؟!!

وبناء على ما تقدم بيانه فلا يصح اعتبار رسالة الشيخ محمد بن معتق وثيقة أو دليلاً يُعتد به في إثبات تاريخ الأسرة.

٢ - ذكر الأستاذ الغزي نقلاً عن الأستاذ عبدالله بن ملحم (أبي أحمد): (أنه يومًا ما كان في الدرعية لدى آل عواد، (وكان المشهد كبيراً؟!) والبحث يدور حول الوثائق الخاصة عن هذه الأسرة، فقال له أحد رجالات آل عواد الدرعية وقد سألهم عبدالله هذا عن وثائقهم فقال له: إن وثائقهم لدى بني عمهم في الزلفي

ويقصد بهم آل معتق) . انتهى، ولي على ما نقله الغزي عن الأخ أبي أحمد ملحوظتان:

الأولى: أني سألت كبار أسرتنا عن هذا (المشهد الكبير ؟!!) الذي ذكر ابن ملحم أنه حضره في الدرعية وأخبر فيه من قبل أحد رجالات أسرتنا بما ذكره آنفاً، فلم يؤيد قوله أحد منهم وأنكروا أنهم قالوا ما ذكره ابن ملحم، بل نفوا أنهم قد سبق لهم الاجتماع مع (أبي أحمد) في (مشهد كبير ؟!!) في الدرعية.

الثانية: قول الغزي أن عبدالله بن ملحم قد أثبت صلة النسب بين أسرتنا وبين آل معتق (ثبوتًا قطعيًا ؟!!)، وإني أسأل الأستاذ الغزي وهو الباحث والعارف بدقة ما يقول وما ينسبه عن غيره، ما هو الثبوت القطعي الذي أثبته له الأستاذ ابن ملحم؟ إذا ما علمنا أن الأستاذ عبدالله بن إبراهيم بن ملحم كان من ضمن كبار الأسرة الموقعين على وثيقة تأسيس مشجر نسب العائلة وفروعها عام ١٤١٧هـ (انظر المرفق رقم ٤)، والتي لم تتضمن سوى ثلاثة فروع ليس من بينها أسرة (آل معتق) وهي:

فرع (آل جاسر وآل ملحم) في الغاط وفرع (آل عواد) في جلاجل وفرع أسرتنا في الدرعية وإن كنت أتفهم وأقدر موقف الأستاذ عبدالله بن ملحم لوجود مصاهرة بينه وبين أسرة (آل معتق)، إلا أن تلك المصاهرة لا تبرر قوله هذا (إن صح عنه هذا القول).

٣ – استشهد الأستاذ الغزي بحصول (آل معتق) على تعويض ما اقتطعه الطريق العام من ملك آل عواد المسمى (شعيبة آل عواد) وأن ذالك مما يثبت انتساب أسرة (آل معتق) لأسرتنا، ورغم أن حصول (آل معتق) على التعويض المذكور كان في غفلة من الأسرة من جهة ولضياع الوثائق القديمة لأسرتنا عندما كانت في بلد الغاط من جهة أخرى (كان خروج جدنا حمد بن سليمان ابن عواد من بلد الغاط إلى العيينة منذ ٢٨٠ سنة تقريبًا)، إلا أن من ينظر في

صك الولاية الصادر من محكمة الزلفي برقم ٢٥٤ وتاريخ ٤ / ٨ / ١٣٩٦هـ (انظر المرفق رقم ٥) يتبين له أن (آل معتق) لم يقدموا وثائق تثبت صلتهم بسليمان بن عواد صاحب الأرض (كما نص عليه الأستاذ الغزي بقوله: بما معه من وثائق) وإنما أحضروا شهوداً يشهدون أنهم من الثقات وصالحين لتوكيلهم على ثلث سليمان بن عواد ولم يشهد لهم الشهود أنهم من آل عواد، فكيف اكتفى القاضي بتلك الحجة الضعيفة ليسلم (آل معتق) تعويض ما اقتطعه الطريق العام؟ ولعله اجتهاد من فضيلته غفر الله له.

٤ - لا أعتقد أن الأستاذ الغزي ولا أحداً من أسرة (آل معتق) يناهز عميد أسرتنا الشيخ عبدالله بن حمد العواد - رحمه الله - في العمر والذي توفي في رمضان عام ١٤١٩هـ عن ١١٤ عاماً، وهو العارف بتاريخ الأسرة ومن رجال الملك عبدالعزيز - رحمه الله - الثقات الذين أسند لهم جباية زكوات الأحساء وسدير والقصيم، الذي أكد في لقاء أجرته معه صحيفة «الرياض» في عددها رقم (١١١٤٠) الصادر يوم الخميس ٦ رمضان ١٤١٩هـ أن أسرة آل عواد سكنت بلد الغاط وتفرقت منه إلى جلاجل والعيينة ثم الدرعية وبقي جزء منها في الغاط (آل جاسر وآل ملحم) ولم يذكر - رحمه الله - أن أسرة (آل معتق) من أسرة آل عواد، فهل من سألهم الأستاذ الغزي أسن وأعلم منه رحمه الله.

٥ - متى كانت الزيارات والصداقات بين شخص وآخر تدل على وجود صلة نسب بينهما؟ فإن ما نقله الغزي عن سليمان بن معتق من وجود زيارات بينه وبين فرد من أسرتنا فذالك أمر يخص من زاره فأسباب الزيارة متعددة، إما لوجود معرفة سابقة أو لمصالح متبادلة كأي شخص آخر!! وإن من العجيب إثبات الأنساب بهذه الطريقة الطريفة!! فهل تكراري لزيارة الأستاذ الغزي ستجعله ابن عم لي؟!!.

٦ - قال الغزي: (وقد أخبرني الثقة الشيخ معتق بن محمد... إلى أن قال:

بأن وثائق وصكوك أملاك جده موثقة تحت الاسم الرباعي لجده وهو : إبراهيم ابن معتق بن عثمان آل عواد) انتهى، قلت : العجيب في الأمر أننا قد طالبنا مرارًا وتكرارًا (من خلال زيارات الشيخ صالح بن عبدالمحسن العواد الكثيرة لأسرة آل معتق) بإبراز تلك الوثائق والأوراق القديمة !! ليتسنى لنا فحصها بدقة ومن ثم إدراجها كوثائق تثبت انتساب (آل معتق) لأسرتنا، ولكن لم يستطع أحد منهم تقديم وثيقة واحدة من تلك الوثائق المزعومة، بل إن الشيخ معتقًا - على وجه الخصوص - قد أخبر الشيخ صالح العواد أن جميع وثائقهم لدى ابن عمهم عثمان المعتق وأنه رفض إخراجها !! ولم تفلح محاولات الشيخ صالح العواد في إخراج تلك الوثائق القديمة !! التي تنسب أسرة (آل معتق) إلى أسرتنا (حسب زعمهم).

٧ - وقد ذكر الغزي أنه يكثر في أسرة (آل معتق) اسم (عواد) مدللاً بذالك على انتسابهم إلى آل عواد، وأقول أنه لا يوجد في أسرة (آل معتق) قديمًا وحديثًا سوى شخصين اثنين فقط اسمهما عواد مع ملاحظة أن كليهما من الشباب المعاصر، أي أنهما سميا بعد ظهور بدعة انتساب (آل معتق) لآل عواد وأما قبل ذالك فلم يتسم أحد منهم بـــ (عواد).

٨ - ذكر الشيخ الجغرافي المؤرخ محمد بن عبدالله بن بليهد في كتابه «صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار» ط٣ ج٥ ص ٦٣ ما نصه : (وبعد فتح مكة في سنة ١٣٤٣هـ قال لي عبدالله الجفالي - رحمه الله - أن الليلة التي سجنت فيها قال لي إبراهيم بن معتق - وهو من أخص رجال الحسين المطلعين على أسراره - في صبيحتها : هل علمت أن ابن بليهد حبس في المدينة وسيؤتى به إلى مكة ويشنق في الخريق - الموضع المعروف في مكة - فقلت : عافاني الله من شره... إلخ). انتهى قلت : والشاهد فيما سبق أن ابن بليهد أسماه

(إبراهيم بن معتق) فهل ترى أن ابن بليهد نسبه إلى أبيه المباشر أم إلى أسرته التي اشتهر بها بين معاصريه (آل معتق) ؟ الجواب واضح للعيان أن الرجل ينسب عند ذكره وتميزه لأسرته التي اشتهر بها بين الناس، أي أن اسمه (إبراهيم بن معتق المعتق) وليس إبراهيم بن معتق العواد وإلا لنسبه ابن بليهد لهم، ومثال ذالك لو قلت (عبدالعزيز بن محمد) فلن يعرفه أحد وسينكر عليَّ هذا الإبهام، أما إذا قلت (عبدالعزيز بن غزي) فواضح لكل ذي لب أن (غزي) اسم الأسرة وليس اسم الأب، وهذه هي الطريقة التي درج عليها أبناء نجد عند تسمية بعضهم البعض.

٩ - يعد (الوسم) عند العرب قديمًا وحديثًا دليلاً قويًا يثبت انتساب أسرة إلى أخرى أو إلى قبيلة ما، كما أنه علامة فارقة تميز ممتلكات قبيلة أو أسرة عن ممتلكات غيرها، ولأسرة آل عواد - كغيرها من الأسر والقبائل - وسم اختصت به عن غيرها ولا يشاركها فيه أحد وهو علي الشكل الآتي ( ) ويسمى (الرويكب) وقد حافظت جميع فروع أسرة آل عواد على هذا الوسم، وأضافت بعض الفروع بعد كثرة أعدادها وتفرقها إضافات طفيفة لتميز ممتلكاتها عن باقي فروع الأسرة، فكان وسم أسرة آل عواد في العيينة ومن ثم الدرعية حسب الشكل الآتي ( ) بزيادة مطرق آخر أفقي فوق المطرق الأول.

أما أسرة آل عواد في (جلاجل) فقد أبقت على الوسم الرئيس ولم تضف له شيئًا، وأما أسرة (آل ملحم) في الغاط فقد أضافت نقطة فوق المطرق حسب الشكل الآتي ( )، فيما أضافت أسرة (آل جاسر) النقطة إلى يمين المغزل حسب الشكل الآتي ( ).

أما أسرة آل معتق فوسمها على الشكل الآتي ( ) كهيئة حافر الحصان

وهو كما يتبين لكل ذي لب لا يشابه وسم الأسرة الرئيس لا من قريب ولا من بعيد.

رغم قرب سكنى أسرة آل معتق (الزلفي) من مقر الأسرة الرئيس (الغاط) مما يجعل الزعم بنسيانهم لوسم أسرتهم الرئيس مع تقادم الزمن أمراً مستحيلاً وإلا لكان نسيان أسرة آل عواد في الدرعية لوسم الأسرة أدعى.

ومما سبق شرحه وبيانه بالتفصيل يتضح أن أسرة (آل معتق) الكريمة عائذية قحطانية ولكنها لا تنتسب لأسرة آل عواد سكنة بلد الغاط، وإن كانت ثمة صلة بين الأسرتين قديماً فهي صلة مصاهرة فقط من جهة إحدى بنات - أو بنات بنات - سليمان بن عواد صاحب (فيد آل عواد) في بلد الغاط حسب ما ظهر لي من خلال تتبعي لوثائق سليمان بن عواد رحمه الله.

آمل أن يكون فيما ذكرت آنفاً ما يكفي لإثبات عدم صحة انتساب أسرة آل معتق إلى أسرتنا، وكما تعلمون أن (البينة على من ادعى) وأنه في حال الخلاف يرجع إلى الأصل وهو (أن أسرة آل معتق لا تنتمي إلى أسرة آل عواد) حسب ما بيناه مفصلاً أعلاه.

وإني أصالة عن نفسي وبالإنابة عن كبار أسرتي إذ أشكر لكم سلفاً على اهتمامكم بسماع وجهة نظرنا حيال موضوع يمسنا مباشرة، لأنتظر منكم قريباً وعبر مجلتنا الغراء «العرب»، تصحيحاً لما سبق أن نشرتموه بقلم الأستاذ عبدالعزيز الغزي على ضوء ما بينته لكم، مكرراً مطالبتي للأستاذ عبدالعزيز الغزي إرسال رده سريعاً من خلال مجلتكم.

دمتم موفقين فيما تصبون إليه في دينكم ودنياكم، والله يحفظكم ويرعاكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الدرعية: عبدالحكيم بن عبدالرحمن العواد

الصورة رقم (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

شهود ناصر بن احمد الدهيمي فرعا عن شهادة ابيه ناصر بان ام صنوار العنابي [illegible] ملك لال عواد ولم يشهد والعواد فيها حظ فيها رصاد

شهد عبيد بن عبد العزيز بن سعيد فرعا عن شهادة عبد الرحمن بن سعد بان ام [illegible] ان اهل [illegible] من العنيسة العواد من ملكهم ام صنوان وام عيابر

شهد عبد العزيز بن [illegible] الناصري فرعا عن شهادة ابيه بان آل العواد نعيد ما نشهد او من ملكهم ام صنوان حصن العوفية رصاد و يشهد تحيله باخذ منها عزو رصاد العواد فيها

شهد عبد العزيز بن مبارك بن سعد فرعا عن شهادة ابيه بان ام صنوان ملك العواد ولم حصن العنيس يشهدوا دليل لها العواد فيها

شهد سعد بن فيصل بن سعد فرعا عن شهادة ناصر الحميدي بان اتلا من نشيد العنيسة العواد من ملكهم ام صنوان بتعليل فيها ويعمرونه كلهم وذلك في وقت الامام فيصل بن تركي كتب شهادة الجميع بحضورهم واقرارهم عبد الله بن عبد الرحمن بن ناصر وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

١٠ / ٧

بسم الله الرحمن الرحيم

المعلوم من مراده أن شهود الفرع المذكورين اعلاه والكاتب كل منهم عدل ثقة واما شهود الاصل المنقول عنهم وهم عبد الرحمن بن سعد و[illegible] ومبارك بن عبد الرحمن وناصر الحميدي كل منهم عدل ثقة معتبر الشهادة حتى لا يخفى ما ذكر حرر [illegible] عبد الرحمن بن سعد [illegible] وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم مقتضى ما ذكره الكاتب والشهود ثبوت [illegible] الشيخ عبد الرحمن بن سعد بن عدالة ملكية آل عواد لام صنوان [illegible] حرره الفقير الى الله محمد بن ابراهيم بن عبد اللطيف وشهد بذلك عبد اللطيف [illegible]

٥ / ٢٠٤م

الصورة رقم (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان ما بين محمد بن ملحم بالوارث عمته تركية بنت ا
براهيم ابن جاسر والوارث هيا بنت سليمان ابن
عواد بان سليمان ابن عواد توفي عن والده
محمد وست بنات ومحمد توفي عن امه تركية
المذكورة واخوات سرع ثنتين واخوات من ا
بيه ست كتب حقوق محمد بن ملحم محمد ابن سليمان
بله مبيع ونصيب تركية وبناتها رقبة وموضع
باعوه على عثمان بن عيسى ميراثهم
عيد ال عواد في بلد الغاط وهو ميراثهم من ا
بيهم سليمان ونقلته من كتب محمد بن سليمان بن هينه
بيد معتز فيه زيد بن عبد الله الناصر

الصورة رقم (٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على من لانبي بعده ، وبعد :
فقد تم بحمد الله وتوفيقه الانتهاء من اعداد شجرة اسرة آل عواد العائذية القحطانية والاطلاع على المسودة النهائية لها ، والتي تتضمن ثلاثة فروع فقط وهي :
(أولاً) : فرع أهل الغاط وهم { آل ملحم } من ذرية ابراهيم بن جاسر بن عواد ، و { آل جاسر } من ذرية محمد بن جاسر بن عواد .
(ثانياً) : فرع أهل جلاجل وهم من ذرية عبداللطيف بن ابراهيم بن عواد .
(ثالثاً) : فرع أهل الدرعية وهم من ذرية عبدالله بن محمد بن عواد .
وبهذا تمت موافقتنا نحن الموقعون ادناه على طبع الشجرة بالفروع المذكوره اعلاه ، مع إضافة مايستجد من معلومات مستقبلاً باذن الله في الطبعات القادمة ، سائلين المولى سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يجعله معيناً على صلة الرحم والتعارف بين افراد الاسرة ، والله ولي التوفيق .....

* أسرة آل عواد { العائذية } عنهم :

صالح بن عبدالمحسن العواد — عبداللطيف بن ابراهيم العواد — محمد بن أحمد العواد

سليمان بن محمد الجاسر — عبدالرحمن بن محمد الجاسر — عبدالله بن ابراهيم الملحم

صالح بن عبدالله بن ابراهيم العواد — عبدالرحمن بن علي بن ابراهيم العواد

عبدالعزيز بن علي بن ابراهيم العواد — سليمان بن عبدالله بن حمد العواد

عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد العواد — صالح بن عبدالعزيز بن محمد العواد

عبدالعزيز بن عبدالله بن حمد العواد — ابراهيم بن عبدالله بن حمد العواد

عبدالعزيز بن علي بن عبدالرحمن العواد — عبدالله بن علي بن عبدالرحمن العواد

خالد بن ابراهيم بن عبدالرحمن العواد

الصورة رقم (٤)

المملكة العربية السعودية
رئاسة القضاة

الصكوك الصادرة من المحاكم الشرعية

عدد ١٢ ...
٥٠٤ في ٤/٣/١٣٩٦هـ

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد ففي يوم الثلاثاء الموافق ٢٤/٢/١٣٩٦هـ
لدي أنا عبدالله بن زاكي الصغير بالنكول رئيساً لمحكمة الزلفي حالياً حضر محمد البراهيم بن معيقل
وادعى ما نصه أن عمي المدعو سليمان بن عثمان بن عواد قد توفي رحمه الله وله وصية مفقودة
وحيث أن له ثلث أطلب توكيل عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز المعتوق على ثلث عمي المذكور
والإذن له بإمضاء بيع ما استقطعت البلدية لصالح الشارع العام واستلام القيمة
وجعلها [illegible] أطلب إثبات ذلك وعلى هذا وقع هكذا ادعى بأن [illegible] وبطلب بينة
حضر لدي كل من صالح السالم العمر وعبدالله البراهيم الغنام وطلب سماع شهادتهما
ولدى استشهادهما شهدا بأن [illegible] ان عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز المعتوق ثقة
وأمين وصالح للقيام بالولاية على ثلث سليمان بن عثمان بن عواد هكذا شهدا وقد جرى
تزكية الشاهدين من قبل عبدالله الأحمد العمر وعبدالله السليمان الخميس فبناءً على ما تقدم
من طلب المنهي وما ورد في شهادة الشاهدين وتزكيتهما فقد وكلت عبدالله بن
محمد العبدالعزيز المعتوق على ثلث عمه سليمان بن عثمان بن عواد كما أذنت له بإمضاء
بيع ما استقطعته البلدية لصالح الشارع العام واستلام القيمة وجعلها في [illegible] جرى
تحريره في يوم الثلاثاء الموافق ٢٤/٢/١٣٩٦هـ وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

الصورة رقم (٥)

كتاب «المنتخل» للميكالي (ت ٤٣٦هـ)

قلَّ أن يمرني الأستاذ الحبيب اللمسي صاحب (دار الغرب الإسلامي للنشر) إلاَّ ويتحفني -رعاه الله وحفظه- بكتاب من غرائب ونفائس ما تنشره (دارُهُ)! وكان آخر ذالك كتاب «المنتخل» تأليف أبي الفضل عبدالله بن أحمد بن علي الميكالي المتوفَّى سنة ٤٣٦هـ، وقد خرج هذا الكتاب في هذا العام ١٤٢١هـ (٢٠٠٠م) في جزأين بتحقيق الدكتور يحيى وهيب الجبوري، الأستاذ في (جامعة آل البيت) في عمان بالأردن، والكتاب هو مختارات شعرية انتخلها المؤلف من عيون الشعر العربي؛ الجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي، منتهيًا بمختارات شعرية لمعاصريه، وقد اتخذ اسم الكتاب «المنتخل» من طبيعة اختياره فكأنه انتخل الشعر العربي واختار منه هذه المجموعة الضخمة التي بلغت ما يقرب من ستة آلاف بيت.

لقد عرف المتخصصون هذا الكتاب من خلال اطلاعهم على مختصره الذي عمله الثعالبي -رحمه الله- وسماه: «المنتحل من المنتخل» والمنشور في أوائل القرن الماضي في الإسكندرية ١٣١٩هـ (١٩٠١م) لكنَّ خروج الكتاب الأصل، بهذه النشرة الجديدة، سيهيئ للباحثين مصدراً جديداً ثراًّ لشعراء وشعرٍ لم يذكرا في «مختصر الثعالبي» المطبوع إذ لا يحتوي ذالك المختصر، كما ورد في مقدمة محقق الكتاب، إلاَّ على نصف الكتاب تقريبًا.

لقد اعتمد الدكتور الجبوري في نشرته هذه على مخطوطين للكتاب أحدهما في (استانبول) والآخر في (كيمبرج)، كما اعتمد على مخطوطٍ وافٍ لمختصر الثعالبي إضافة إلى النشرة المطبوعة، فجمع وأوْعَى، وبذل في التحقيق جهداً موفقًا في تحرير النص وتدقيقه وضبطه، وتخريج أشعاره،

ومقارنة نُسَخه، فجزاه الله خيراً على صَنيعه هذا.

الكتاب: يقول المؤلف مقدِّمًا لكتابه: (... فإن هذا الكتاب أودعناه من جيد الشعر ومُحْكَمِهِ، وأمثاله وحِكَمِهِ، وقلائده وفرائده، وشوارده وفوارده... وأخرجناه في خمسة عشر بابًا...).

ثم يعدد الأبواب فيقول: (فالباب الأول: في وصف الخط والكتاب والبلاغة نظمًا ونثرًا.

والباب الثاني: في التهاني والتهادي وما يجري مجراهما.

والباب الثالث: في التعازي والمراثي وما يتصل بهما.

والباب الرابع: في مكارم الأخلاق والمدائح ونحوها.

والباب الخامس: في الاستماحة والشفاعة والبر والاستعانة.

والباب السادس: في الشكر والثناء وما يقاربهما.

والباب السابع: في الاستعطاف والمعاتبات والاعتذارات.

والباب الثامن: في الهجاء والذم وذكر المقابح.

والباب التاسع: في شكوى الزمان والحال.

والباب العاشر: في الأمثال والحكم والآداب.

والباب الحادي عشر: في الإخوانيات وما يشاكلها.

والباب الثاني عشر: في السلطانيات وما يليق بها.

والباب الثالث عشر: في ذكر الحبس والإطلاق والنكبة وزوالها.

والباب الرابع عشر: في العيادة وما ينضاف إليها.

والباب الخامس عشر: في الأدعية وما يقترن بها).

ثم، بعد أن عَدَّد أبواب الكتاب، سَرَدَ أسماء كل الشعراء الذين وردت لهم اختيارات في كتابه - حسب عصورهم - فكانت أعدادهم كالآتي:

الجاهليون: اثنان وثلاثون شاعراً.

المخضرمون: عشرة شعراء.

المتقدمون من الإسلاميين: خمسة وعشرون شاعراً.

المحدثون: ثمانون شاعراً.

الوزراء والكُتَّاب: ثلاثة وعشرون شاعراً.

المولدون: أربعة وعشرون شاعراً.

العصريون: ثمانية وخمسون شاعراً.

إن هذا الكتاب كتاب نفيس، يماري فيه مؤلفه كتب «الحماسة» في انتقائه، إلاّ أنه قد يفضلها، لأنه يغطّي فترة متأخرة ومعاصرة له، إضافة إلى تجديده في اختيار بعض موضوعات أبواب كتابه.

وقد خدم المحقق الكريم هذا الكتاب فوضع ملحقًا ترجم فيه للأعلام والشعراء الذين وردت أسماؤهم في صلب الكتاب، كما عمل أثباتًا عامة، ضمت ثبتًا للشعر، وآخر للأعلام، وثالثًا للقبائل والشعوب والجماعات، ورابعًا للأماكنَ والمواضع والبلدان، وخامسًا للرسائل والكتب التي وردت في متن الكتاب، وختمها بثبت للموضوعات فبلغت صفحاته (١١٣٠) صفحة.

إنه عمل جليل تأليفًا وتحقيقًا.

٤٢٤-٤٢٣

العرب

مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري

فهرس هذا الجزء

(ج٣ و ٤ س ٣٦ رمضان وشوال سنة ١٤٢١هـ)
(كانون ١ و٢ (ديسمبر ويناير) سنة ٢٠٠٠و٢٠٠١م)

اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري
أسسها : حمد الجاسر
رجب ١٣٨٦هـ / تشرين ١٩٦٦م

ج٣،٤ س٣٦ - رمضان وشوال سنة ١٤٢١هـ - كانون ١ و٢ (ديسمبر ويناير) سنة ٢٠٠٠ و٢٠٠١م

شكر .. وعرفان ..

توفي والدي رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه، وكان ذلك في منتصف ليل الخميس في ١٦ / ٦ / ١٤٢١هـ (١٤ / ٩ / ٢٠٠٠م)، ولقد كان ذالك شاقًا عليّ وعلى والدتي وأخواتي وبخاصة أن قدّر الله ذالك ونحن معه خارج الوطن بعيداً عن أهلينا وأحبابنا، فأصبح همي بعد أن أفقت من الصدمة العودة بالجثمان إلى أرض الوطن في أسرع وقت لتعجيل الدفن، فبعيد الوفاة اتصلت ببعض الأقارب والإخوة لإفادتهم بما قدر الله، وممن اتصلت بهم أخي الدكتور سليمان بن عبد الرحمن العنقري الذي اتصل بالدكتور عبد العزيز الخويطر والأستاذ عبد العزيز السالم والأستاذ عبد الله النعيم الذين أبلغوا ولاة الأمر بالخبر فوجه **خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، حفظه الله** المسؤولين بالسفارة لتيسير إجراءات عودتنا واستئجار طائرة خاصة لتقلنا إلى الرياض، فما هي إلا ساعات حتى كانت كل المستندات المطلوبة من السفارة والجهات الرسمية المحلية قد تم استكمالها، ومن قبل في رحلة ذهابنا وجه صاحب السمو الملكي النائب الثاني الأمير **سلطان بن عبد العزيز** بنقل الوالد بطائرة إخلاء طبي خارج المملكة.

خلال تلك الساعات انهالت المهاتفات، التي لم تنقطع حتى ساعة صعود الطائرة وإقفال الجهاز، بعضها مكالمات من بعض أفراد الأسرة والأحباب، وبعضها من ولاة الأمر، والحق يقال : لقد كان لمكالمة كل من صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير **عبد الله بن عبد العزيز** وصاحب السمو الملكي أمير منطقة الرياض الأمير **سلمان بن عبد العزيز** وقع كبير في نفسي، إذ أن هذين الأميرين الجليلين كانا خارج البلاد يؤديان مهام تتعلق بالأمة الإسلامية كافة، فجزاهما الله خيراً عن ذلك، أما الأمير الجليل **فيصل بن بندر بن عبد العزيز** أمير منطقة القصيم، فقد كان يعود والدي في أيامه الأخيرة في المستشفى إذ كان موجوداً في البلدة نفسها وكان آخرها قبل

وفاته بثلاثة أيام، وقد ظل على اتصال هاتفي بعد عودته ليطمئن عليه، إلى أن أخبرته في آخر مهاتفة أنه انتقل إلى رحمة الله قبل ساعات، فجزى الله ولاة الأمر خيراً على هذه الرعاية الكريمة التي اعتدناها منهم، وجزى الله خيراً أولئك الإخوة الأفاضل الذين كان والدي -رحمه الله- يكن لهم الحب والتقدير، فلقد كان لهم فضل عظيم في التنسيق والمتابعة مع السفارة لسرعة إكمال تلك الإجراءات، ولقد كان للأخ الدكتور فهد الماضي مدير المكتب الصحي في واشنطن دور فاعل في الإشراف على تنفيذ التوجيهات السامية وفي المتابعة.

الموت مصيبة، وعندما يحدث في بلاد غريبة مع نسوة ثكالى، فهو أشد مرارة وأقسى، وفي تلك الساعات العصيبة قدر المولى أن يكون الشيخ أحمد زكي يماني وبعض أفراد أسرته في المدينة نفسها، وكان معاليه يتردد على والدي -رحمه الله- حتى آخر يوم في حياته، وحين علم أنه سيخضع للجراحة أوصى كبار الأطباء به ووجههم بنفسه، ولا أزال أذكر كلماته التي وجهها للجراح قائلاً (إن هذا الرجل (يعني أبي) رمز ثقافي وعلم عظيم في بلادنا، فعليك بذل قصارى جهدك لشفائه) ولكن تقطعت الأسباب وقضى الله أمراً كان مفعولاً، ولما علم بوفاته -رحمه الله- قدم مع أم فيصل وابنهما شرف لعزائنا ومواساتنا، وظلوا بجانبنا طوال ذالك اليوم العصيب واستفسر مني عن سير إجراءات العودة، ووجهني برأيه السديد، ومد لي يد العون والمساعدة في كل ما سهل علينا العودة دون تأخير، ولقد عرض عليَّ طائرته الخاصة لتعود بنا، وحين علم أن ولاة الأمر قد أمروا بطائرة لذالك الغرض قال: ولاة الأمر- جزاهم الله خيراً- أولى، فهم أحق بتكريم حمد الجاسر من أي فرد.

أما أصحاب السمو **الملكي الأمراء وأصحاب السمو والعلماء والمثقفون** من كل أنحاء العالم الذين عبروا عن مشاعرهم حضورياً، أو هاتفياً أو كتابياً فلهم مني جزيل الشكر على تلك العواطف التي أشعرتني أن (حمد الجاسر) ليس فقيد أسرته بل فقيد كل بيت علم وفضل، فالحمد لله على قضاء الله والحمد لله الذي أكرم **(حمد الجاسر)** برجال عرفوا قدره في حياته وبعد مماته، اللهم عوضنا خيراً في والدي، وتغمده بواسع رحمتك إنك أنت السمع المجيب.

معن بن حمد الجاسر

فجيعتي فيك .. أبا محمد ..

[فجع قراء مجلة «العرب» وأبناء العرب بانتقال الشيخ حمد الجاسر إلى رحمة الله يوم الخميس ١٦ / ٦ / ١٤٢١هـ، فامتلأت الصحف والمجلات في العالم العربي بكثير من مقالات التأبين، وقصائد الرثاء، وقد اختارت «العرب» مقالين وقصيدة في هذا الجزء، أمثلة للحزن الذي عمّ المثقفين على علامة الجزيرة].

المكان : قرية (البرود) بإقليم السر، في براري نجد، الزمان : أحد أيام العام الهجري ١٣٢٨هـ، أبى تاريخ الفكر والثقافة العربية إلا أن يدونه بمداد من نور، المناسبة : بزوغ نجم من نجوم الفكر والأدب والثقافة في بلادنا.

المكان : إحدى مستشفيات الولايات المتحدة الامريكية.

الزمان : صباح الخميس ١٦ / ٦ / ١٤٢١، أبى تاريخ الفكر والثقافة العربية إلا أن يدونه بمداد من دموع، المناسبة : أفول نجم من نجوم الفكر والأدب والثقافة في بلادنا.

وبين التاريخين رحلة طويلة ومضنية من البحث والتقصي والدرس والتحصيل، كان نتاجها دارًا للفكر والثقافة، تصدر عنها صحيفة ومجلة ملء السمع والبصر، وذالك منذ العام ١٣٧٢هـ، ومجلة «العرب» رائدة الفكر والثقافة في بلادنا منذ العام ١٣٨٦هـ، ومؤلفات ومساهمات تربو على الألف في التاريخ والجغرافيا والأدب وغيرها من ضروب الفكر، ومساهمات أخرى هنا وهناك، يضيق عنها الورق وينفد المداد.

نيف وتسعون عامًا من العطاء، قضاها أبو محمد وهو يبحث وينقب، ويقرأ ويكتب، ويجول أرض الجزيرة من أسفلها إلى أعلاها، ومن أدناه إلى أقصاها، كانت جزيرة العرب قفارًا وصحاري، حتى جاء (حمد الجاسر) يطلع جبلاً ويهبط سهلاً، ويقتفي واديا، فجعل من قفارها وجبالها وسهولها وأوديتها معالم للباحثين، وأهازيج للمترنمين، فهو حامل عبء التعريف بجزيرة العرب، وصاحب النفس الطويل في البحث والتنقيب، ومعلّم من جاء بعده في هذا المجال، جعل من نفسه رهنًا له ومن وقته وقفًا عليه، فألف فيه وحقق، ونقد ودقق، متمثلاً في ذالك قول الشاعر :

إذا أنت لم ترع العهود لمنزل ... فلست براع حق أهل المنازل

وعلى الرغم من أنني منذ شدوت وأنا أعشق من جزيرة العرب مغانيها

وأتشوق لسهولها وأحن إلى مرابعها ومراتعها، أخصها برحلات متواترة وبزيارات متكاثرة، وأبحث وأستقصي وأسأل وأحفظ - إلا أنني أدين لأستاذي الراحل بالسبق، وأعترف له بالفضل، وما اضطلعت بمهمة وضع «معجم اليمامة» إلا لأسباب منها : تحقيق رغبة الراحل صاحب «معجم البلاد العربية السعودية» الذي رشحني لهذه المهمة.

فجيعتي فيك يا أبا محمد كبيرة، وطاقتي على ما اعتورها من ضعف ووهن لعاجزة عن احتمالها، أأبكيك أستاذًا ومعلمًا، تعلمنا منه الكثير، وأخذ بأيدينا أكثر، أم أبكيك أخًا وصديقًا تجده دومًا في ملمات عالم الأدب والصحافة، وما أكثرها؟ هل أبكيك أبا محمد رفيقًا في درب المهنة.. أحسست بفقده وكأن نصفًا مني قد شل، وباتت (الرياض) مدينة وصحيفة تبكي فيك علمًا ومؤسسًا، وأضحت (الجزيرة) موطنًا وصحيفة تبكي فيك فارسًا ورفيق درب؟!!

رحل الجاسر فارس الجزيرة المغوار، وسابر أغوارها ومعلم أجيالها، رحل وفي مخلاته دواة وقلم وصحيفة، ووراءه أكثر من ألف من الأعمال، جغرافية وتاريخًا وأدبًا وفكرًا، رحل أبو محمد و«الرياض» و«اليمامة» شوامخ ملء السمع والبصر، رحل أبو محمد ومقعداه في مجمعي اللغة في (القاهرة) و(دمشق) شاغران يبكيانه .. رحل علامة الجزيرة ونسابتها وجائزة الدولة التقديرية للأدب للعام ١٤٠٣هـ تنعي صاحبها قائلة عنه : (غني بجهوده العلمية عن كل تعريف، وتقصر أي كلمات عن أن توفيه حقه من الإشادة والتكريم، لقاء جهوده العلمية والأدبية، والتي يحق للمملكة العربية السعودية أن تعتز بها كل الاعتزاز) حسبما جاء في دليل حفل الجائزة لذالك العام، رحل الجاسر بعد كل هذا الإنجاز وهو يردد :

منى إن تكن حقًا تكن أحسن المنى
وإلا فقد عشنا بها زمنًا رغدًا

رحل رفيق الدرب وفي النفس لوعة، وفي الفؤاد حزن كبير.. ولكننا لا نقول إلا ما يرضي الرب، فإنا عليك يا أبا محمد لمحزونون و(إنا لله وإنا إليه راجعون).

عبد الله بن محمد بن خميس

وداعًا أيها الحبيب

كان حديثه إلينا يتسم دائمًا بالحب.. في الحفاوة واللقاء، وفي المخاطبة والمباحثة.

كان كثيراً ما يقدم لحديثه بكلمة (حبيبنا) أبو صالح يرى كذا.. حبيبنا أبو عمرو قال كذا.. أحبتنا في مصر يرون كذا.. أحبابنا في العراق لديهم كذا.. ولكن يا حبيبنا الموضوع كذا وكذا.. هكذا كان حمد الجاسر يدير الحديث بين تلاميذه ومريديه، والحبيب هو كل من اتصل بالعلم بسبب وعرفه حمد الجاسر، ومع أدبه الجم، وعلمه الغزير، لم يكن يفرض رأيًا على أحد، ولكنه لم يكن يتنازل عن رأيه إلا بالحجة والبرهان.

الجاسر في حياتنا أشبه ما يكون بالظاهرة الكونية التي لا تنتهي العلاقة بها بمجرد ظهورها، ولكنها تستحق الدراسة والتحليل، لقد عبر دنيانا الثقافية شهابًا مضيئًا وملأها نوراً، وأسهم بفكره وجهده في مجالاتها المختلفة لأكثر من سبعين سنة، والآن وقد خطفه الموت منا، آن لنا نحن الذين عشنا ظاهرة حمد الجاسر أن نقف أمامها متأملين، وأن نكب على تجربته دراسين ومستفيدين، آن لنا أيضًا أن نقول له : وداعًا أيها الحبيب، الذي غمرنا بالحب، وأهدى إلينا أغلى ما يملك من ثمار التجربة الزاخرة بالعطاء والنابضة بالوفاء.

ومن تمام التأمل بعد أن صمت صوتك ورحل جسدك أن نتذكر مواقفك وأن نستحضر صورة أعمالك الجليلة.

ولا شك أن كل واحد من محبيك- أو أحبابك كما كنت تفضل أن تدعوهم- قد عرفك أول ما عرفك عند نقطة معينة من حياته، ولعله بقدر الزمن الذي عرفك به تكون خسارته بفقدك، وحزنه عليك، وخاصة إذا كان من المنتمين إليك ثقافيًا وعلميًّا، بالنسبة لي فإن الخسارة كبيرة، والحزن فادح بهذا المقياس، فقد عرفتك منذ وقت مبكر، منذ كنت طفلاً في العاشرة من العمر، رأيتك مع والدي، صديقين تلتقيان في سكننا قرب (باب الزيادة) من أبواب الحرم المكي الشريف، أو في حصوات الحرم، أو في منزلك، أو (قهوة

عصمان) بظاهرة المعابدة، التي شهدت بعض جلساتها الثقافية، كنتم مجموعة من المشايخ والمثقفين تخرجون عصر كل خميس إلى ذالك المكان من العمران في ذالك الوقت، وتديرون أحاديث دينية وأدبية وثقافية، وأذكر في مثل هذه الندوات المصغرة من أصدقاء والدي - رحمه الله- الإمام التقي الشيخ عبد الله بن عبد الغني خياط، مدير (مدرسة الأمراء) في الرياض، وإمام الحرم المكي الشريف، وعضو هيئة كبار العلماء فيما بعد، والأستاذ أحمد علي أسد الله الكاظمي، الكاتب المؤرخ الأديب، وعميد كلية الشريعة فيما بعد، وأخاه الجليل الفاضل الأديب، عبد الحميد حامد أسد الله، وكان على قدر كبير من الثقافة والعلم مع روح ظريفة وأسلوب في الكتابة جميل، وإن لم يخلف آثارًا منشورة، والأستاذ عبد الله المزروع، وغيرهم- رحم الله الجميع، ورحمك معهم- .

لقد تحدثت عن هذه الجلسات في مقدمة كتابك «مع الشعراء» وذكرت أنكم قرأتم في بعض هذه الجلسات قدرًا من كتاب «الأغاني». كنت معجبًا بك من تلك الأيام، يغذي هذا الإعجاب والدي، الذي كان يتابع مقالاتك في «أم القرى»، ولست أنسى مشواري الأسبوعي صباح كل جمعة لشراء هذه الجريدة من مكتبة أظنها (مكتبة الثقافة) في مكة المكرمة.

وأذكرك يا سيدي -أيام طفولتي- وقد استقبلتنا خير استقبال في (الظهران) حين وصلناها بعد رحلة جوية، هي بمقياس هذه الأيام من أشق الرحلات، ولكنها كانت في تلك الأيام من أجملها وأكثرها سرعة وراحة، وأذكر أننا غادرنا جدة في الصباح ووصلنا الظهران في المغرب، بعد توقف في مطار الرياض المتواضع، لقد قضينا في الظهران أيامًا سعيدة بوجودك، قبل أن نتابع الرحلة إلى البحرين، ثم بغداد، لإجراء عملية في العين للوالد، ثم بعد ذالك لست أنسى لقاءاتي بك المتقطعة في القاهرة، عندما كنت أدرس فيها، ومنها لقاء حميم جمعك بوالدي في منزلنا، وسجلته بالصور التذكارية، ولم تنقطع صلتي بك وإن تباعدت بيننا فرص اللقاء، وخصوصًا في فترة بيروت،

التي أصدرت منها مجلة «العرب» فقد كنت كثيراً ما أسعى إليك حبًّا في قربك والاستفادة منك، ولست أنسى أريحيتك حين طلبت منك تعريفي بصديقك العلامة الأستاذ خير الدين الزركلي، بعد أن أهدى مكتبته إلى (جامعة الملك سعود) فاهتممت بالموضوع، ورتبت موعد الزيارة، وذهبت بمعيتك إلى الأستاذ الزركلي، وتلك زيارة ثرية لا يمحوها النسيان، كانت تلك الزيارة قبل أحداث لبنان وكان الشيخ الزركلي في صحة حسنة، وقد أبديت له شكر الجامعة وتقديرها لإهدائه المكتبة، ثم حادثته في أمر مكتبته في بيروت، فأشار إلى أن هذه المكتبة مهداة أيضًا إلى (جامعة الملك سعود)، وإنه عندما يفرغ من بعض أعماله التي يشتغل بها فإنه سيطلب منا في الجامعة تسلمها، لكن الأستاذ -رحمه الله- عندما توفي لعبت في رؤوس بعض ورثته المطامع فأنكروا على الجامعة هذا الحق، وامتنعوا عن تسليم المكتبة إلا بثمن ضخم، لم يكن في طاقة الجامعة آنذاك أن تدفعه.

في تلك الزيارة التي كنت فيها بمعيتك أذكر أن الأستاذ الزركلي أخرج لنا من درج مكتبه أوراقًا مكتوبة بالقلم الرصاص، قال: إن كاتبها جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز، يصف فيها إحدى الحملات العسكرية التي قادها، وقد كتبها بخطه بناءً على طلب من الزركلي، ثم كانت لنا لقاءات أخرى زاخرة بالفائدة والمتعة معك خارج المملكة في (باريس) وفي (استانبول) و(عمّان)، ولكن أجمل تلك اللقاءات وأمتعها بالنسبة لي كانت في زيارتك الأخيرة للقاهرة التي شهدت فيها (مؤتمر مجمع اللغة العربية)، في هذه الزيارة الأخيرة انفردت بك على مدى عشرة أيام، كنت أراك فيها يوميًّا تقريبًا، ولساعات طويلة، وكنت فيها كعادتك أبويًّا حانيًا تسأل عني أين كنت إن غبت عنك، فإذا قلت لك: إني كنت أزور المكتبات لأبحث عن الكتب سألتني عما اقتنيت منها، وأدرت حديثًا حولها أو حول مؤلفيها، وأحيانًا كنت -كالطفل الجميل- تسألني عن الموضوع الذي أفضل أن نتحدث حوله، معللاً بتواضعك المعروف -أن كبار السن قد يثرثرون، فلا بد من ضبطهم، وكنت أرد عليك

بأنني لم آت إلا لسماع ثرثرتك التي هي في صميم العلم، وكان قصدك الذي أعرفه إمتاع جليسك بما يحب من الحديث، لاجرّه إلى أحاديث تجلب السأم، ذالك حديث اللقاءات خارج المملكة، أما عندما استقررت في الرياض فقد أصبحت قريبًا في المكان كما كنت قريباً في القلب.

تلك هي المعرفة الشخصية التي جعلتك بمرتبة الوالد والمربي، وهنالك المعرفة العلمية التي تمتزج بها ولا تنفصل عنها، ولها شأنها من المشاعر والأحاسيس وفيها عرفتك عالمًا كبيراً، وأستاذًا جليلاً، ورائدًا من رواد الثقافة والتراث في بلادنا.

كنت يا سيدي مغامراً وجريئًا عندما أدخلت الطباعة والصحافة إلى المنطقة الوسطى من المملكة، فأصدرت «اليمامة» سنة ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م) وأشهد أن طريقك لم يكن مفروشًا بالورود، بل كنت تنحت في الصخر، ولا شك أن ندرة المواد الصحفية هي التي جعلتك تحرر كثيراً من مواد العدد الأول، ولكن ما إن وصلتك المشاركات من الكُتّاب حتى فسحت المجال لهم، وقلت في كلمة صدَّرت بها العدد الثاني من «اليمامة» مخاطبًا القارئ: «وسترى في هذا العدد أيضًا أننا حصرنا رئيس التحرير في دائرة ضيقة من الصحيفة بعد أن تحجر واسعًا في العدد الأول بكتاباته التي وإن أفادت الخاصة أو خاصة الخاصة من الباحثين إلا أننا إلى كتابات ذات صلة وثيقة بحياتنا المعاصرة أشد حاجة، وقد رأينا أن بعض المؤلفين أو الناشرين يحتاجون إلى الدفاع عن أنفسهم وإلى تبيين آرائهم التي قد تتعرض الصحيفة لنقدها ففتحنا باب (من حديث الكتب) وسننشر فيه كل نقد أو دفاع مهما بلغ من الشدة والعنف بشرط إفادته للقراء، وصلته بهذه الصحيفة التي من أهدافها (قل الحق وإن كان مُرًّا)» وأشهد أن هذا كان رأيك إلى آخر عمرك، وقد كررته في أحد أعداد السنة الأولى من مجلة «العرب» قائلاً: (وإن كلمة نقد قائم على أساس مهما بلغت من الشدة والقسوة، لهي أوقع في نفسي وأعمق أثرًا وأكبر تقديراً من تلك الكلمات الطيبة الكريمة، إنها والحق يقال هي الأثر الباقي العميق في النفس،

والذي سيكون له المحل الملائم في صفحات مجلة لا يريد صاحبها إلا أن تكون على خير ما يريده قارئها إمتاعاً وفائدة وحسن أثر) . وأشهد أنك لم تكن مجاملاً لأحد في مطبوعاتك، فقد نشرت في أحد أعداد «اليمامة» المبكرة نقداً عنيفًا كتبه قارئ مطلع لبحث نشره أحد أعضاء أسرة التحرير لديك، ولم تجد غضاضة في نشره، بل لم تجد غضاضة في نشر رسالة تهجَّم عليك فيها أحد القراء تهجمًا لا يليق، واتهمك فيها بخديعة الشعب، والعبث بكرامته، ومحاولة تضليله بأعمال مرتجلة، ثم قال : (أنا لا أنتظر نشر كتابي هذا ولا أريده، فمستوى التفكير لديك ولدى كثير من أمثالك أضيق وأخفض من أن يتسع لسماع مثل ما جاء فيه من كلمات صريحة)- (اليمامة العدد ١٠ السنة الأولى) ومع ما فيه من قسوة غير متوقعة في حقك فقد نشرتَ ما قاله، وعددته نوعاً من (الثناء) المحبب إلى القائمين على الصحيفة، وجعلت القارئ حكماً بينك وبينه.

وأمر آخر يلحظه المتابع لمسيرتك الغنية الطويلة، أنك مع اهتمامك بالتراث وانصرافك التام له إلا أنك لم تقع أسيراً له، مقيداً به، مشدوداً إليه وحسب، وإنما كنت دائماً متأملاً في الحاضر مستشرفًا للمستقبل، مفكراً في مصير أمتك، كنت نهضويًا تنويريًا تقدميًا، ولكن بمفهومك الخاص، المعتمد على ثوابت الإسلام الخالدة، ومرتكزات الثقافة العربية الإسلامية، ومع أنك عرفت كبار المنظرين العرب لشروط النهضة والتقدم إلا أنك كنت تختط لنهجك الخاص شروطًا، أهمها الخلاص من الاستعمار الظاهر والمستتر عسكريًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا وثقافيًّا، لم تكن تنويريًا على طريقة المستغربين الذين يجرون وراء كل ما هو غربي، وإنما كنت تنويريًا بأسلوب الاعتماد على الذات، واستنفار القوى الكامنة في الشخصية العربية، واستثمار المخزون الذاتي الإيجابي للأمة العربية.

ومن الجدير بالذكر القول : إنك من أوائل من دعا إلى التوجه الوحدوي على صعيد الثقافة والفكر، لتكوين ثقافة عربية موحَّدة، -بفتح الحاء-موحِّدة-

بكسر الحاء- نجد ذالك واضحًا في مقال مؤثر مطول نشرته في «اليمامة» سنة ١٣٧٤هـ (١٩٥٤م) بعنوان (شباب حائر) ومما قلته فيه : (حينما استيقظت هذا الأمة رأت نفسها في مؤخرة الركب، ورأت الأمم الأخرى قد قطعت المراحل الطوال في ميدان التقدم نحو حياة أفضل من حياتها، ورأت نفسها بعد أن كانت قوية مرهوبة الجانب، موفورة الكرامة، نافذة القول، مسموعة الكلمة في عهدها الماضي، قد أصبحت مثلاً للضعة والهوان، والذل والضعف، فماذا تفعل لاسترداد عزتها وكرامتها؟، ماذا تعمل لكي تلحق بالركب فتبلغ الغاية؟. أترجع القهقرى إلى غابر عهدها أم تقطع صلتها بذالك الماضي؟ أصبحت هذه الأمة مترددة حائرة وقد اختلف قادتها العلماء والرؤساء فمن داع إلى الرأي الأول، وآخر يرى الخير كله في تنكب هذا والأخذ بالرأي الثاني، وثالث يحاول التوفيق بين هذين بالتلفيق، ورابع يغط في نومه لا يشعر بما حوله من ضجيج، وخامس مذبذب لا يلتزم حالة ولا يلازم طريقة، بل يتلون بكل لون، ويسير وراء كل ناعق، وأصبح لكل واحد من هؤلاء أتباع وأشياع، فتشعبت الطرق بتشعب هذه الآراء المتناقضة، وانتشر في صفوف الأمة من الاختلاف والفوضى ما زاد في تفريقها وتمزيقها، في وقت هي في أشد الحاجة إلى التآلف والتئام الشمل فأصبح الشباب- وهم أمل الأمم في الملمات على الدوام- لا يدرون كيف يسيرون، ولا أين يقصدون، فالمدارس متعددة متغايرة الأهداف والمناهج بتغاير الأقطار العربية، بل بتغاير آراء أولئك الذين يسيطرون على توجه تلك الأقطار. إلخ).

لقد نعيت على القابضين على زمام التربية في البلاد العربية تشتتهم، وعدم اتفاقهم على زاد موحد يغذون به أبناءهم لمواجهة المستقبل، وكأنك كنت تفكر في ذالك الزمن المبكر في الاتفاق على حد أدنى من الاستراتيجية الثقافية الموحدة للبلاد العربية، الأمر الذي لم تنتبه إليه (الجامعة العربية) إلا بعد أكثر من ثلاثين عامًا من دعوتك، ومع ذالك فإن تلك الاستراتيجية الثقافية بعد أن توصلوا إليها منذ مدة لم تستطع دولة عربية واحدة أن تضعها موضع

التنفيذ ! ! وها أنت ترحل عنا هذه الأيام من عام ١٤٢١هـ وما زالت أسئلتك التي سألتها قبل ٤٧ عامًا لم يُجب عليها، وما زال كل حزب في أمة العرب (بما لديهم فرحون) ما زالت الرؤية غير واضحة، والتخبط يضرب أطنابه في كل مجال، والمستقبل غير مستشرف، في ظل أحداث جسام تستهدف الأمة حضارة ووجوداً، والأخطر من ذالك أن موجة التغريب لم تنشط في أي وقت نشاطها هذه الأيام، والتغلغل الأجنبي أصبح واقعًا معاشًا.

وكنت تنويرياً يا سيدي عندما أردت أن توقظ الناس وتبث فيهم روح مقاومة الغزو الأجنبي بكل صوره، فأعلنت عن مسابقة «اليمامة» سنة ١٣٧٤هـ (١٩٥٤م) للكتابة في موضوع (أنجع الوسائل لتحرير الشرق من نير الاستعمار سياسيًّا كان أو اقتصاديًّا أو فكريًّا) وجعلت المسابقة مفتوحة لجميع أبناء الوطن العربي، وجعلت الجوائز بالريال السعودي والجنيه المصري أو ما يعادلهما.

تلك جوانب قد لا يعرفها أبناء الجيل الحاضر عنك، فقد ألفوك دارسًا ومحقِّقًا للتراث، مهتمًا بتاريخ أمتك وجغرافية بلادك، تعيش في الماضي وتعتني به، ولكن الواقع أنك مع ذالك كله كنت متعدد الجوانب، وهي جوانب مضيئة تكوِّن في مجموعها شخصيتك الفذة.

فيا حبيبنا (الجاسر) ما أعظم خسارتنا بفقدك، وما أحوجنا إليك ولكن، وقد مضى أمر الله بما أراد، لم يبق لنا إلا أن ندعو لك، راجين الله أن يجزيك عما بذلته في سبيل أمتك وحضارتك ووطنك خير الجزاء، وأن يشملك بعفوه، ويمن عليك بغفرانه، وأن يسكنك فسيح جناته، إنه على ما يشاء قدير.

أ.د. أحمد بن محمد الضبيب

التصحيف في أسماء المواضع
الواردة في الأخبار والأشعار

(٣٥)

مَنَابِضُ : (مُبَايِض)

قال ياقوت في «معجم البلدان» : (مَنَابِض : موضع بنواحي الحيرة، قال المسيب بن علس، وقيل المتلمس :

ألك السدير وبارقٌ ومنابضٌ ولك الخورنق) انتهى

وقال أيضًا في رسم مبايض : (بالضم وآخره معجم : موضع كان فيه يوم للعرب، قتل فيه طريف بن تميم فارس بني تميم، قتله حميضة بن جندل، وقتل فيه أبو جدعاء الطهوي، وكان من فرسان تميم، وقال عبدة بن الطبيب :

وقلت لها يومًا بوادي مُبَايض ألا كل عان غير عانيكِ يُعتَق

وقال البكري في «معجم ما استعجم» : (مُبَايض بضم أوله وبالياء أخت الواو مكسورة، والضاد المعجمة، علم وراء الدهناء في منازل بني أبي ربيعة بن ذُهل بن شيبان، ويقال : أُبايض، بالهمز، ويقال : هو في ديار بني سعد بن زيد مناة بن تميم، وقال علقمة بن عبدة :

وقلت لها يومًا بوادي مُبَايض أرى كل عان غير عانيك يعتق

وقال أيضًا : وبمبايض أغارت بنو ذُهل بن شيبان ورئيسهم هانيء بن مسعود، على بني عمرو بن تميم، ورئيسهم طريف بن تميم العنبري، فقتل حَمَصِيصة بن شوحبيل ويقال : حَمَصِيصة بن جندل بن قُنافة الشيباني طريف ابن تميم، وانهزمت تميم، وتخلت عما كان في أيديها، قال أبو عبيدة : سألت عبد الله بن زرعة الذهلي عن قول جرير يعير بني مالك بن حنظلة يوم مبايض :

خَيْلي التي ركبتْ غداة مُبَايض فرجعن سَبْيَكمُ وكل سَوام
ألحقننا ببني ربيعة بعدما دَمِيَ الشكيمُ وماج كلُّ حزامَ

فقال : كذب عليهم، لأنا غزوناهم ولم تكن معهم ظعائن ولا أموال) انتهى.

مُبَايض يطلق على موضعين : موضع في بلاد نجد في منطقة سدير ذكره صاحب كتاب «بلاد العرب» بعد أن عد من مياه الرباب ومواضعهم، أسماء كثيرة، ذكر من بينها حرمة والخيس، ثم بعد ذالك ذكر مُبايض تُمَيْر ومواضع أخرى، وحينما تحدث عن الرباب مرة أخرى قال : لهم بالوشم قرية يقال لها تُميـر، ولهم مُبَـايض، ولهم القُصَيبة، وذكر مواضع أخرى، وعند حديثه عن طريق حَجر لمن يريد الكوفة، قال بعد أن ذكر العتك وهو لبني سعد : وكنتَ مصعداً فيه كأنك تريد الفقْء، فإن ما عن يمينك وعن يسارك لعدي والتيم وبني سحيم، وإن أردت تَمَر وتُمير وردتهما وهما ماءان لعدي والتيم عليهما نخيل ومياه، ويُرى أحدهما من الآخر، وإلا مضيت فوردت مبايض وهو ماء لضبة عن يمين الوشم، وبين مُبايض وحجر أربع ليال منطلقات، فمبايض هذا الوادي الوارد في نصوص صاحب كتاب «بلاد العرب» هوفي منطقة سدير وما حولها، وقد يعد بعض المتقدمين هذه المنطقة من الوشم، ويقع مبايض هذا في منبسط من الأرض يدعى البطين، ويقع جبل مجزل شرقيه وجبل العرمة غربيه، وسيول البطين تنحدر من مجزل مشرقاً، وقد أنشيء فوق ماء مبايض هجرة لأناس من قبيلة مطير سنة ١٣٣٤هـ، ويقع مُبايض (بقرب خط الطول : ٥٠َ / ٤٥° وخط العرض : ٥٠َ / ٢٥°) وله مصور جغرافي خاص باسمه في اللوحة رقم ١١- ٤٥٢٥٦ من مصورات وزارة البترول والثروة المعدنية (إدارة المساحة الجوية).

أما الموضع الثاني الذي يعرف بمبايض والذي تحدث عنه صاحبا «معجم البلدان» و«معجم ما استعجم» فهذا يقع في شرق المملكة بالقرب من منازل بني شيبان بن ثعلبة من بكر بن وائل، الذين غزوا فيه بني تميم، فهزموهم على ما نقل ياقوت والبكري. وأراه هو الموضع المعدود من نواحي الحيرَة، إذ الحيرة كانت منازل المناذرة، ونفوذهم يمتد إلى أطراف بلاد بني تميم.

وعلى هذا فأرى أن كلمة منابض في «معجم البلدان» هي مبايض الذي ورد ذكره فيه مرة أخرى، وأن الشاعر يمدح الملك الحيري لسعة سيطرته، وأنها تشمل هذه المواضع كلها وهي متقاربة.

منزل : (مَبْرك)

ورد في «معجم البلدان» في رسم (قاعس) : وقاعس : من جبال القَبَليَّة، وقال ابن السكيت : قاعس والمناخ ومنزل أنقب يؤدِّين إلى ينبع إلى الساحل) انتهى، ولم يفرد اسم (منزل) بمادة، ولكنه تكرر في مطبوعات «المعجم»، والمقصود به (مَبْرِك) الذي تحدث عنه ياقوت فقال في حرف الميم : (مَبْرِكان : قال كثيِّر :

إليك ابن ليلى تمتطي العيسَ صحبتي
ترامى بنا من مَبْرِكَيْن المناقلُ

قال ابن حبيب في تفسيره : مبركان قريب من المدينة، وقال ابن السكيت : مبركان أراد مبركاً ومناخًا، وهما نقبان ينحدر أحدهما على ينبع بين مضيق يَلْيَل، وفيه طريق المدينة من هناك، ومُناخ على قفا الأشْعَر، والمناقل : المنازل، أحدها منقل) . انتهى.

وقد ورد الاسم صحيحًا في كتاب «بلاد العرب» - ص٤٠٨ - إذ قال : (نقب عباثر ينحدر من جبل جهينة، يسلك فيه من خرج من الحجاز[1] وهو يريد ينبع وهي عَباثِر وقاعِس والمناخ ومبرك، وهن أنقب يؤدين إلى ينبع، الساحل) انتهى.

وقال في كتاب الهجري : عباثر واد من الأشعر بين نَخْلى وبُواط به نقب يؤدي إلى ينبع، إلى آخر ما ذكر.

وقال في كلامه على الأشعر : ومن أودية الأشعر طَاشَا، وهو يصب على الصفراء وعباثر، وهي لبني عَثْم[2] من جهينة، ثم أورد شاهداً شعريًا وقال : وفي عباثر طريق يفيض إلى ينبع ومن أودية الأشعر الغَوْرية نخلى تصب على ينبع) . إلى آخر ما ذكر.

ومبرك رِيعٌ يسلك بين ينبع ووادي الصفراء، يبتدئ من وادي طاشا، وفيه شعْبان كل منهما يدعى مبركا، وطاشا وادٍ لا يزال معروفًا من أودية الفقْرة (الأشعر قديماً) (بقرب خط الطول ٥٤َ / ٣٨° وخط العرض : ٠٢َ / ٢٤° على ما ذكر الدكتور أسعد عبده، قال : إنه كتب في الخريطة باسم (تَسْحَة) وهذا تحريف.

مِيثب : (تَيْأَب)

قال البكري في «معجم ما استعجم» : أنشد ابن إسحاق :

فإنك عهدي هل أُريتَ ظعائنًا

سلكْنَ على ركن الشَّظَاة فميثَبَا

وأقول : البيت للعباس بن مرداس السلمي، من قصيدة أوردها ابن هشام في «السيرة» وجاء فيها :

ولو أن أهل الدار لم يتصدعوا — رأيتَ خلال الدار ملهًى ومَلْعبا
فإنك عَمْري هل أُريك ظعائنًا — سلكن على ركن الشظاة فتَيْأبا
عليهن عِينٌ من ظباء تَبالة — أوانس يُصْبِين الحليم المجرِّبا
إذا جاء باغي الخير قلن فجاءةً — له بوجوه كالدنانير : مرحبا
وأهلاً فلا ممنوع خير طلبته — ولا أنت تخشى عندنا أن تؤنَّبا

ومن هنا يظهر خطأ البكري في رواية الشعر، وفي تحديد المكان، فالشظاة هنا وادي قناة الواقع في شرق المدينة، وليس في خيبر، ومِيثَب صوابه (تَيْأَب) وهو جبل مطل على الشظاة شرقها، لا يزال معروفًا ويشاهد من (سد العَاقُول) ولكنه يدعى الآن باسم (تيم) وقد اختلف المتقدمون في ضبط هذا الاسم بين (تَيَب) أو (تَيْأَب) أو (تيم)، وليس هذا محل التفصيل، وقد كُتب اسمه في إحدى المصورات الجغرافية : (تيام) خطأ.

فالاسم كما ترى اعتراه التحريف، فأصبح يسمى الآن (تيب) وقد تبدل الباء ميما (تيم) عند العامة، ويقع هذا الجبل على مقربة من المدينة المنورة شرقها، بمسافة قريبة بعد المطار (ويقع بقرب خط الطول: ٤٥َ / ٤٠° وخط العرض : ٣٠َ / ٢٤°) ولهذا الجبل ذكر في حدود الحرم.

وبهذا الاسم ذكره الحازمي (تيب) بفتح التاء بعدها ياء تحتها نقطتان تشدد وتخفف : جبل قريب من المدينة. انتهى

(للحديث صلة)

حمد الجاسر

الحواشي :

(١) لعل المراد سلسلة الجبال المتصلة بها، وعبارة ابن حبيب توضح المراد

(٢) قد يكون الاسم مصحفاً عن (عنمة) فرع من جُهينة معروف.

هوامش حول كتاب :
«رحلات حمد الجاسر للبحث عن التراث»
(١٠)

في المكتبة السليمانية بالآستانة وقف شيخنا عند فهرس (كتبخانة لاله لي) وشدّ نظره مخطوط عنوانه «كتاب المقالات الجوهرية على المقامات الحريرية» للشيخ أبي بكر بن عبد العزيز الزمزمي من أدباء مكة وعلمائها البارزين في آخر القرن العاشر الهجري ورقمه في الفهرس ١٨٥٠ . قال : وقد رأيت نسخة أخرى من هذا الكتاب في مدينة (قونية) وقد جاء في أولها : أن مؤلفها خير الدين بن تاج الدين إلياس المدني، اطلع على شرح المقامات للزمزمي، فوجده ناقصاً، فقام بإكماله، فأتمه في شهر رمضان سنة ١١٢٦هـ في مكة المكرمة. ثم ذكر اسم الناسخ ووصف النسخة، وقال : وقد أشار البغدادي في «إيضاح المكنون» إلى هذا الشرح ٢ / ٥٣٦[1].

يقول هلال بن ناجي : إن مخطوطات هذا الكتاب توزعت بين نسبتين، فمخطوطة (لاله لي) الملحقة بالسليمانية والتي وقف عليها شيخنا الجليل ورقمها فيها ١٨٥٠ نسبت لأبي بكر بن عبد العزيز الزمزمي وكذالك مخطوطة مكتبة (مكرم) في القاهرة المرقمة ٥٧ ، ومثلهما مخطوطة مكتبة (خان بهادر خدابخش) في باتنة بالهند وهي برقم (٢٥٨٩ - ٢٥٩٠) كلها نسبت لأبي بكر بن عبد العزيز الزمزمي، وكذالك مخطوطة الحرم المكي الشريف المرقمة (١٨٣) وإن وقع تحريف وسقط في الاسم فنسبت هكذا : أبو بكر عبد العزيز الزمني. والصواب : أبو بكر بن عبد العزيز الزمزمي، وفئة أخرى من مخطوطات هذا الكتاب بالعنوان نفسه نسبت لخير الدين بن تاج الدين إلياس المدني (ت ١١٣٠هـ) وهي :

مخطوطة كمبردج ببريطانيا ذات الرقم (١٠٨٥ - ١٠٨٧) .

ومخطوطة دار الكتب المصرية بالقاهرة ٣ / ٣٦٧ .

ومخطوطة مكتبة بلدية الإسكندرية المرقمة (١٦٣) أدب.

ومخطوطة خان بهادر خدابخش في باتنة بالهند المرقمة ١٨٢٩ .

والصواب ما ذكره صاحب "إيضاح المكنون"(٢) من أن المدني أكمل شرح المقامات للزمزمي، وهو ما انتهى إليه العلامة الجاسر أيضًا، وما زال هذا الشرح مخطوطًا حتى اليوم رغم توافر مخطوطاته.

(١١)

غير أن كتب التراجم التي وقفنا عليها ووقف عليها شيخنا الجاسر قد خلت من ترجمة هذا الأديب العالم الجليل ولم تحفظ لنا تاريخ مولده ولا تاريخ وفاته، بل ولم تذكر لنا حتى اسمه، فهل هو ممن غلبت كنيته على اسمه فنُسي اسمه؟.

إن كتب التراجم ذكرت والده الشيخ عبد العزيز الزمزمي المكي وترجمت له فصاحب "النور السافر عن أخبار القرن العاشر" (الشيخ محيي الدين عبد القادر بن عبد الله العيدروسي) ذكره في وفيات سنة (٩٧٦هـ)(٣)، وأثبت وفاته بشطر من الشعر ضمن بيتين بحساب الجمَّل وقال مولده سنة تسع مئة، وأنه كان من أعيان علماء مكة وفضلائها وأكابرها ورؤسائها، وله قصيدة في مدح النبي (صلى الله عليه وسلم) أجاد فيها كل الإجادة وسماها «الفتح التام في مدح خير الأنام» عارض فيها البردة، والأخرى عارض فيها أم القرى وسماها «الفتح المبين في مدح سيد المرسلين» وقال العيدروسي عنه : إنه كان أوحد الفضلاء، وبقية العلماء، حسن الشعر والإنشاء، وقد مدحه الشيخ الكبير جمال الدين محمد بن أبي الحسن البكري الصديقي بأبيات أوردها، ثم أورد العيدروسي نماذج من شعر الشيخ عبد العزيز الزمزمي.

جديرٌ بالذكر هنا أن علامة الجزيرة وقف على نسخة فريدة من ديوان الشيخ عبد العزيز الزمزمي في المكتبة الوطنية بباريس برقم 3228، لكنه لم يتمكن من الاطلاع عليها لضيق الوقت.(٤).

يقول هلال بن ناجي : في خواتيم عام ١٩٧٣م وقفت في باريس على مخطوطة هذا الديوان، وهي فريدة حقًا وتقع في (١١٠) ورقات مقاس الورقة ٢٢ X ١٤سم ومعدل سطورها ١٩ سطرًا.

واسم شاعرها : عز الدين عبد العزيز بن علي بن عبد العزيز الزمزمي

المكي، ولعل بعض شداة الأدب من أبناء المملكة ينهد لتحقيقها فيحيي بذالك أثرًا مهمًا خفي على الدارسين منذ قرون.

وقد ترجم له أيضًا الشيخ نجم الدين الغزي في «الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة»(٥)، وزاد أنه كان شافعي المذهب وله كتاب «فيض الجود على حديث شيبتني هود» وقال: إنه دخل بلاد الشام مارًّا بها إلى بلاد الروم سنة اثنتين وخمسين وتسع مئة، ثم قال: وكانت وفاته بعد الستين وتسع مئة، رغم أن الغزي ذكر سنة وفاته بدقة.

وأعاد أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي بعض ما ذكره الغزي في كواكبه وذكره في وفيات عام ٩٦٣هـ، وهو خطأ فيما أرى(٦).

لكن الغزي ذكر لنا ولدًا من أولاد الشيخ عبد العزيز اسمه محمد الزمزمي قال عنه: كان مفتي مكة أخذتُ عنه واستجزتُ منه لنفسي ولولديَّ البدري والسعودي في سنة سبع وألف، وأن محمدًا هذا توفى في سنة تسع وألف، أخذ عن والده عبد العزيز وعن العلامة شهاب الدين ابن حجر المكي، وكان شاعرًا وأورد له بيتين(٧).

أما صاحبنا شارح مقامات الحريري أبوبكر بن عبد العزيز الزمزمي المكي فلم نظفر بترجمته، رغم علمه وأدبه ولم يظفر بها شيخنا الجاسر.

وبين ذخائر مكتبتي مخطوطة عنوانها «تنبيه ذوي الهِمَم على مآخذ أبي الطيب من الشعر والحِكَم» تصنيف أبي بكر بن عز الدين عبد العزيز بن علي ابن عبد العزيز الزمزمي المكي الشافعي، تقع في ثلاث مئة وثلاثين صحيفة في آخرها ما نصه (قال مؤلفه رحمه الله: فرغت من جمعه في يوم السبت المبارك السادس والعشرين من شهر ربيع الثاني أحد شهور سنة ثلاث وتسعين وتسع مئة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم).

ورغم أن النسخة تفتقد اسم الناسخ إلا أنها نسخت بعد وفاته بدليل ترحمه على المصنف، ولأن الفراغ من نساخته كان يوم الخميس المبارك الخامس والعشرين من شوال من سنة ٩٩٩هـ. فإنه يغدو من الثابت استنتاجًا أن

وفاته وقعت قبل هذا التاريخ، أي قبل نهاية القرن العاشر - والله العالم-.

وقد رأيت أن أذكر طرفًا من مقدمة المخطوطة: "... وبعد فإني كلفت بقراءة ديوان أبي الطيب المتنبي مع بعض الإخوان مدة من الزمان، وطالعت شيئًا من شروحه وحواشيه فرأيت شراحه .. تتبعوا مآخذه وآخذوه عليها مع أنه غير حقيق بالمؤاخذة، وذكروها في كتبهم متفرقة فأضحت النفس بجمع ما فرّقوه متعلقة، ولم أزل أحجم وأقدم وأؤخر وأقدّم لأني لست من أهل هذا الشأن، ولا من فرسان هذا الميدان، وأقمت على ذالك برهة من الزمان، ثم استشرت أحد الأصدقاء بل أعز الإخوان الأشقاء، فأنشدني على الارتجال ما طابق الحال:

قد يدرك المجد الفتى ورداؤه   خَلِقٌ وَجَيْبُ قميصه مرقوعُ

فاستخرت الله تعالى وشمرت عن ساعد الجد، وشرعت فيما كنت أحجمت عنه بجد، ورتبت الديوان على حروف المعجم ترتيبًا لم يسبقني إليه من تقدم، فإني قدمت في كل حرف ما قاله في صباه على غيره، واتبعته بقصائده السيفية والمصرية والفارسية، على إثره، وجمعت على جمودٍ من ينبوع القريحة وخمود من زناد الفكرة الجريحة هذا المجموع من حواش مفردة وشروح متعددة، ورقمت بالقرب من اسم كل شاعر سابق لأبي الطيب تعريفه إن كان من شعراء الجاهلية أو المخضرمين أو المتقدمين في صدر الاسلام أو المحدثين أو المولدين، والمعول في ذالك على الميكالي والمرجع إليه والعمدة في معرفتهم ومراتبهم عليه، ومن لم أقف على مرتبته رقمت بالقرب من اسمه من ذكره من الشراح أو ابن قتيبة إن كان ذكره في طبقته فإن كل من ذكره على أبي الطيب متقدم لأنه توفي في عام مئتين وستة وسبعين من الهجرة، وأبو الطيب مولده في عام ثلاث مئة وثلاثة من الهجرة، فبموجب ذالك كان التقدم لمن ذكره متحتم، ومن أطلعت على مولده أو وفاته أو أحدهما أو وصف من صفاته رقمته بالقرب من اسمه ليمتاز عن غيره بوسمه، واعتمادي في ذالك على تاريخ ابن خلكان، وكتاب الحلية والصفات وهما غاية في هذا الشأن، وسمّيته «**تنبيه ذوي الهمم على مآخذ أبي الطيب من الشعر والحكم**» وخدمت به خزانة سيدنا ومولانا .... (وبعد أوصاف للممدوح تقارب الصفحتين)

صرح باسم سيده ومولاه سيف الدين ثَقَبَة بن أبي نميّ بن بركات[8]، لا زالت آي المجد بألسنة أقلامه متلوّة، وأبكار الأفكار بمديح معاليه مجلوة» ثم قدم ترجمة موجزة لطيفة لأبي الطيب، ثم شرع فيما هو بصدده مبتدئًا بحَرْف الهمزة.

وهذه المخطوطة لم تطبع ومصنفها عالم أديب من أسرة علم وأدب زمزمي مكي، فعسى أن يشمر أحد أبناء المملكة ساعد الجد فيحققها، وينشرها خدمة لأدب بلده وتراث شعبه.

(١٢)

وذكر شيخنا حمد الجاسر نسختين من كتاب "شرح النجديات" -لعمر بن عثمان الجندي- في أيا صوفيا[9]. ثم قال: والنجديات هي قسم من ديوان الأبيوردي الأموي الشاعر المعروف ضمنها غزلاً رقيقًا، ووصفًا لبلاد نجد، وقال: ولا أدري لماذا انصرف المحققون والناشرون عن ديوان الأبيوردي مع فحولة هذا الشاعر، وجودة شعره، وصلته بكثير من حوادث العالم الإسلامي في عهده.

يقول هلال بن ناجي: وكأن الله -جلت قدرته- قد سخّر من عباده مَنْ استجاب لرغبة شيخنا، فنهد عالم محقق جليل هو الدكتور عمر الأسعد فأصدر "ديوان الأبيوردي" في مجلدين ضمّا العراقيات والنجديات، صدرا في مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، الجزء الأول عام ١٩٧٤م والثاني عام ١٩٧٥م.

وقد اعتمد هذا المحقق الجليل في تحقيقه عدداً ضخماً من المخطوطات، واتخذ من نسخة دار الكتب المصرية أصلاً في نشره قسم العراقيات، ونسخة (كوبرلي) أصلاً في تحقيقه النجديات، واعتمد إلى جانبهما عدداً من النسخ المعتمدة، محفوظة أصولها الخطية في مكتبة عاشر أفندي ومتحف طوب قبو وباريس الوطنية والفاتح والأسكوريال والمتحف البريطاني وليدن وبودليان وتوبنجن، مضافًا إليها مطبوعة الديوان الصادرة عام ١٣١٧هـ في طبعة غير علمية، فَسدَّ بعمله هذا ثغرة في ديوان الشعر العربي القديم.

أما شرح النجديات لعمر بن عثمان الجندي فلمّا يزل مخطوطاً - حسب علمنا -.

وذكر شيخنا الجليل مخطوطة للصلاح الصفدي رآها في مكتبة أيا صوفيا[١٠] عنوانها «تصحيح التصحيف وتحرير التحريف» وهي بخط المؤلف، عليها إجازة منه مؤرخة سنة ٧٥٩هـ - أي قبل وفاته بخمس سنوات، لكنه أثار الشجن إذ قال : إن هذه النسخة قد سطت عليها يدٌ أثيمة فنزعت أكثرها بحيث لم يبق من الكتاب إلا من حرف الألف إلى نهاية حرف الزاي، في تسعين ورقة.

إن هذا الذي أثار أسى الشيخ، ويثير شجن كل غيور على التراث العربي الإسلامي، قد أصاب عدداً غير قليل من نفائس مخطوطاتنا، وأذكر على سبيل التمثيل أن كتاب «قلائد الجمان» لابن الشعَّار الموصلي، وهو أوفى مرجع في تراجم شعراء القرن السابع الهجري، وعدته عشرة مجلدات، كانت إحدى المكتبات التركية تحتفظ بثمانية أجزاء سلمت منه، فصورها معهد المخطوطات بالقاهرة، ومرت سنون فراجع بعض الباحثين أصول تلك المخطوطات الثَّماني، فاكتشف أن اثنتين منها قد اختلستا، ودست كتب أخرى مكانها ! ! فتأمل أيها القارئ هذه المحنة في عصرنا هذا.

وأما كتاب الصفدي - المختلس أكثره- كما أشار علامة الجزيرة فقد كان من حسن التوفيق، أن وُجدت منه نسخ أخرى صَلُحت بمجموعها لتحقيق الكتاب ونشره في الأعوام الأخيرة، وكانت أكمل نسخة، نسخةَ دار الكتب المصرية (المكتبة الزكية) وهي في جزأين وقد وقعت في ٣٣٧ لوحة، وعيبها الوحيد طمس شمل الورقات الأخيرة منها وكانت نسخة أيا صوفيا - المختلس أغلبها - والمنتهية بحرف الزاي، قد صورت في جامعة الملك سعود بالرياض فاعتمدها المحقق.

ومن عجائب الصدف أن نسخة ثالثة ناقصة هي الأخرى - محفوظة في الأسكوريال تحمل عنواناً مغلوطاً هو (أغلاطي) ونسبت ضلَّة للصفي الحلي (كشف أمرها صديقنا العالم المحقق رمضان عبد التواب وأوضح أنها قطعة من كتاب الصفدي المعنون تصحيح التصحيف وتحرير التحريف) والغريب في

الأمر أنها تبتدئ بحرف السين (حيث انتهت مخطوطة الرياض المنقولة عن أيا صوفيا) وهكذا توافرت لمحقق الكتاب السيد دسوقي إبراهيم الشرقاوي مخطوطتان كاملتان : مخطوطة دار الكتب المصرية، ثم مخطوطة ملفقة تضم مخطوطتي الرياض والأسكوريال المكملتين لبعضهما.

وقد طبع هذا الكتاب النفيس وهو من أجود كتب لحن العامة في مطبعة المدني بالقاهرة سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(١٤)

وذكر أستاذنا حمد الجاسر مخطوطة رسالة ألفها علي بن بالي الحسيني القسطنطيني هي من كتب التصحيح اللغوي لما تلحن فيه العامة، وقف عليها في مكتبة الفاتح - المكتبة السليمانية العامة - برقم ٣٧٥٧ وعنوانها «خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام» قال : إنه ألفها سنة ٩٧٨هـ وتقع في ٢٧ ورقة من القطع الصغير وبالخط الفارسي الدقيق، وتقع ضمن مجموع(١١).

يقول هلال بن ناجي : هذه الرسالة نشرها د. حاتم صالح الضامن سنة ١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م ضمن كتابه المعنون «أربعة كتب في التصحيح اللغوي»، واعتمد في نشرته مخطوطة تحتفظ بها المكتبة الظاهرية بدمشق ضمن مجموع برقم ٦٣٨٦، وقال حاتم في مقدمة تحقيقه ما نصه : (وتعد هذه المخطوطة فريدة لا أخت لها، إذ لم يشر إليها أحد ممن بحث في لحن العامة وبهذا أكون أول من أشار إليها).

وأقولُ : إنَّ نسخة مكتبة الفاتح تنفي كونها فريدة، وإنَّ الشيخ الجاسر نشر رحلاته سنة ١٤٠٠هـ وذكر الكتاب، ونشرة الضامن صدرت سنة ١٤٠٧هـ، فهو ليس أول من ذكرها قطعًا، بل الجاسر هو المُجَلِّي وحاتم المُصلِّي.

(١٥)

وذكر علامة الجزيرة كتاب «التنبيه على غلط الجاهل والنبيه» لابن كمال باشا، قال : إنه يشغل الصحائف ٥٤ - ٧٤ من مخطوطة الفاتح المتقدم

ذكرها. ثم قال: إنها كتبت سنة ٩٧٠هـ ويظهر أنها ناقصة.

يقول هلال بن ناجي: طبع هذا الكتاب أولاً بتحقيق الشيخ عبد القادر المغربي ثم أتيح لصديقنا العالم المدقق د. رشيد عبد الرحمن العبيدي الوقوف على خمس نسخ مخطوطة جيدة من الكتاب المذكور في مكتبة الحرم المكي الشريف، فاستعان بها في تحقيق الكتاب وإخراجه إخراجةً علمية نفيسة، وقد نشر تحقيقه في العدد الرابع من المجلد التاسع من مجلة "المورد" الصادر سنة ١٤٠١هـ= ١٩٨١م[١٢].

(١٦)

وخصلة نادرة امتاز بها الشيخ حمد الجاسر تتلخص في قدرته على كشف التزييف الذي يصنعه بعض الوراقين فيُظهرون به مخطوطاتهم كاملة وهي ناقصة، واضرب لذالك مثلاً واحداً تجسَّد في مخطوطة ديوان شعر جران العود النميري، المحفوظة في مكتبة أيا صوفيا برقم ٣٩٧٨.

وكانت المخطوطة التي اعتمدها العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي عند نشره هذا الديوان في القاهرة سنة ١٩٣١م بدار الكتب المصرية، محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٧ أدب (ش) خطَّتها يراعة العلامة الشيخ محمد محمود بن التلاميد الشنقيطي نقلاً عن أصلها المحفوظ بتركيا.

العلامة الشيخ الميمني الراجكوتي لم ير نسخة الأصل في أيا صوفيا، واعتمد في تحقيقه نسخة الشنقيطي المنقولة عنها، فهو معذور إذ لم يكشف تزييف الوراق في خاتمة النسخة، وفي الثمانينات ظفر صديقي المحقق الجليل د. نوري القيسي بمخطوطة الديوان المحفوظة في مكتبة أيا صوفيا، فوصفها وصفاً جيداً وحققها ثم عارضها بما أثبته محمد بن مبارك الشهير بابن ميمون في مخطوطته "منتهى الطلب من قصائد جران العود" وتعداد أبياتها مئتان وأربعة وعشرون بيتاً، وهي قصائد صرح ابن ميمون بأنها منقولة من ديوانه، فصلحت أصلاً ثانياً، ثم صنع ذيلاً للديوان ضم ثلاثة وثلاثين بيتاً تلقطها من شتيت المصادر القديمة، وصدرت نشرته هذه في بغداد سنة ١٩٨٢م في ١١٢ صحيفة.

إن نوري القيسي -رحمه الله- على جلالة علمه وفضله- لم يتنبه للعبث الذي صنعه وراق في خاتمة الديوان، وهو أمر كشفه العلامة الجاسر بفطنته ودقته المتناهية وحسن انتباهه. قال الجاسر : (جاء في الصفحة الأخيرة من مخطوطة أيا صوفيا في شرح قول الشاعر :

إذا الفلاة تلقتها جواشنها وفي الأداوي عن الأخراب تشويلُ

(الفلاة : القفر التي بعد ماؤها، وإن كان فيها جبال كأنها فلقة، أي نحتة وجواشنها : صدورها. يقول : إذا صارت في أوساطها أسرعت. والأخراب واحدتها خربة وهي). وهنا تنتهي الصفحة ولكن العابث **أضاف كتابة حديثة** هي : (معروفة، والحمد لله وحده، وسلم تسليمًا كثيرًا أبدًا) وبهذه الفعلة بدت النسخة وكأنها كاملة، وهذه حيلة من حيل الوراقين) (انتهى كلام الجاسر).

وهذا الأنموذج الذي قدمناه، والذي فات أخانا القيسي، دليل فطنة الشيخ لتغير الخط وحداثة الإضافة، وبالتالي فإن مخطوطة الديوان التي وصلتنا ناقصة غير كاملة لسقط في آخرها.

وتعزيزًا لما ذهب إليه علامة الجزيرة يقول هلال بن ناجي : إنه قد ورد بعد هذا الشرح الذي أثبته المحقق في هامش الديوان، بيتان آخران من القصيدة نفسها هما :

ناست بأذرعها الغول الذي طلبت والماء في سُدُفات الليل منهولُ

فناشحون قليلاً من مُسوّمةٍ من آجن ركضت فيه العواميل

لكننا لا نجد في المخطوطة شرحًا لهما، وليس يعقل هذا من محمد بن حبيب شارح الديوان، فلابد أن سقطًا اعتور الديوان في آخره، فعمد الوراق إلى التزييف الذي كشفه شيخنا الجاسر.

(١٧)

وكتاب «التبيين في أنساب القرشيين» الذي صنفه أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي المتوفى سنة ٦٢٠هـ، وقف الشيخ الجليل في مكتبات تركيا على ثلاث نسخ منه، واحدة في مكتبة علي أميري كتبت سنة

١٠٤٠هـ وهي في مجموع واحد مع "جمهرة أنساب العرب" لابن حزم[١٣].
والثانية في مكتبة الفاتح وهي قديمة الخط وتقع في ٣٨٠ صفحة[١٤].
والثالثة في مكتبة عاشر أفندي ورقمها فيها ٥٩٣[١٥].

يقول هلال بن ناجي: إن كتاب «التبيين في أنساب القرشيين» قد طبع في بغداد سنة ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م في منشورات المجمع العلمي العراقي بتحقيق صديقنا المحقق الفاضل محمد نايف الدليمي الموصلي[١٦]، وقد اعتمد في تحقيقه المطبوع على مخطوطتين محفوظتين في مكتبة الأوقاف العامة في الموصل آلتا إليها من مكتبة الحاج زكر(؟) الموصلي.

وأقدم النسختين كتبت سنة ثمان مئة وسبعين للهجرة، والأخرى سنة ١١٥٦هـ منقولة عن الأولى على الراجح، وإن محقق الكتاب اكتفى بهاتين النسختين ولم يطلع على المخطوطات التي ذكرها الشيخ الجاسر في رحلاته، ولم يحاول الرجوع إلى تاريخ بروكلمان للوقوف على مخطوطات أخر للكتاب، ولكنه ذيّله بفهارس مفيدة.

(١٨)

وتحدث العلامة الجليل عن مخطوطة كتاب «المذكر والمؤنث» لأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت ٢٥٥هـ) المحفوظة نسختها الفريدة في الدنيا في مكتبة يوسف أغا في قونية بتركيا، وذكر أنها نسخة جيدة متقنة الخط، خطها قريب من القاعدة الكوفية، وأورد الشيخ نقولاً منها من أولها[١٧].

يقول هلال بن ناجي: والذي عرفته من مقدمة كتاب «المذكر والمؤنث» لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري المتوفى سنة ٣٢٨هـ بتحقيق د. طارق الجنابي أن مخطوطة كتاب السجستاني تقع في أربع ومئتي صفحة، وأن صديقنا المحقق الفاضل الجنابي وقف على كتاب السجستاني محققًا ومقدمًا بدراسة ضافية، حققه الدكتور نهاد چتن رئيس قسم اللغة العربية بآداب جامعة إستانبول، وقد اطلع على تحقيقه حين زاره صيف عام ١٩٧٥م[١٨].

ولست أدري هل تم طبع هذا الكتاب أم لا؟

(١٩)

ووقف الأستاذ الجليل عند مخطوطة نفيسة لقدمها، مكتوبة بالخط الكوفي من كتاب «الفصيح» لأبي العباس ثعلب (ت ٢٩١هـ). رقمها ٥٠٠٨ في مكتبة يوسف أغا في قونية، ولم يستبعد الشيخ أن تكون النسخة من مخطوطات القرن الرابع الهجري[١٩].

يقول هلال بن ناجي: وكتاب "الفصيح" طبع طبعة علمية بتحقيق ودراسة د. عاطف مدكور - القاهرة - ١٩٨٤م.

وقد اعتمد محققه في تحقيقه على خمس نسخ، منها مخطوطة في مكتبة الفاتح كتبت سنة ٥٢٠هـ وأخرى في مكتبة أحمد الثالث، كتبت سنة ٦٧٣هـ أما النسخ الثلاث الأخر فمحفوظة في دار الكتب المصرية وتواريخ نسخها تعود للقرنين الثاني عشر والثالث عشر، فالمخطوطة التي وقف عليها العلامة حمد الجاسر أقدم من هذه النسخ جميعاً ومحقق الكتاب لم يقف عليها، وهو أمر نأمل أن يتداركه في طبعة قابلة.

(٢٠)

ووقف شيخنا الجاسر عند نسخة كاملة من كتاب «الفسر» وهو شرح ابن جني لديوان المتنبي في مجلدات ثلاثة رقمها ٥٤٩٠ - ٥٤٩٢ بمكتبة يوسف أغا في قونية، وقال: وقد طبع الكتاب في العراق طباعة نقدها بعض الباحثين[٢٠].

يقول هلال بن ناجي: إن مخطوطة "الفسر" الوحيدة في قونية تقع في ١٤٤٤ صفحة من الحجم الكبير، وقد نشر د. صفاء خلوصي -رحمه الله- جزأين منه، صدر الأول في بغداد سنة ١٩٦٩م ووقع في أربع مئة صفحة ذُيلت بتعقيب للدكتور كمال إبراهيم انتهى بالصفحة ٤١٦، ثم صدر الجزء الثاني من الكتاب سنة ١٩٧٨م في منشورات وزارة الثقافة والفنون العراقية، ووقع في ٣٥١ صفحة.

وكان ما نشره صفاء خلوصي من (الفسر) قليلاً لضخامته، غير أن محقق الجزأين تعرض لحملة شعواء شنها زميل له هو الدكتور عبد الأمير الورد، ربما

كانت سبباً في إحجام (خلوصي) عن إتمام عمله.

وأذكر للتاريخ أنني حبرت مقالة عن الجزء الأول من «الفسر» ضمها كتابي المعنون "هوامش تراثية"(٢١)، حيَّيت فيه المحقق الفاضل لإقدامه على عمل رائد، ونبهت على عدد من هناته وأخطائه وأبرزها في نظري ظنه بأن هذا الذي نشره هو مختصر الجزولي لكتاب "الفسر" !! فإذا كان ما نشره خلوصي هو مختصر الجزولي للفسر فلماذا إذن نشر الشرح باسم "الفسر"، وحقه أن يسمى "مختصر الفسر"؟ ولماذا لم يذكر اسم الجزولي عليه؟؟ ثم من أين جاء للمحقق العلم بأن هذا المختصر هو مختصر الجزولي بالذات، وليس في المخطوطتين اللتين اعتمدهما ما يشير من قريب أو بعيد إلى ذالك ؟ وقد أخذت عليه فيما أخذت إقحامه هوامش كتبها شخص رمز لنفسه بحرف (ح) (وهو ناقد بغدادي عاصر المتنبي واسمه سعد بن محمد الأزدي المعروف بالوحيد)، أقحمها المحقق في متن كتاب "الفسر" الذي نشره، وهي هوامش ناقد حاقد مغرض حاول جاهداً الانتقاص من قدر المتنبي وابن جني معاً وليس يخلو هامش من هوامشه من سمّ هذا الحقد فهي في الأصل تعليقات مغرضة حاقدة كان يجب أن يصان عنها شرح مهم كالفسر.

وإذا كانت الأمانة العلمية تقتضي إثبات ما يوجد على هوامش مخطوط ما، فقد كانت الأمانة العلمية أيضاً توجب فرزها عن المتن وإثباتها في الهوامش - إن كان لذالك موجب - لأنها ليست من أصل الكتاب أبداً، ورغم ذالك فقد كان عمل الدكتور صفاء عملاً رائداً، كشف فيه درباً، وعبّد طريقاً، ووطأ موطأ.

ومن المحزن حقاً أن يهتم عالم جليل هو الفقيد محسن غياض -رحمه الله- بهذه التعليقات الحاقدة فيصنف حولها كتاباً نشره في بغداد عام ١٩٩٨م بعنوان «المتنبي كأنك تراه» نصوص نادرة عن سيرته ونقد شعره، وقد اعتمد في كلامه عن المتنبي تخرصات (الوحيد) وأقواله الغائلة، وذهب إلى أنها وثيقة ممتازة لا يمكن لباحث أن يتجاهلها أو يغض من قيمتها(٢٢)، ومن المؤسف أن صديقنا الفقيد محسن أغفل في تقويمه لأقوال الأزدي كل المقاييس القانونية والشرعية في وزن الشهادة، وقديماً قال بعض كبار الفقهاء

: (الشهادات توزن ولا تعد).

ولم يزل الأمل معقودًا على جيل المحققين العرب الطالع في نشر سفر «الفسر» كاملاً نشرة علمية تسدّ فراغًا في المكتبة العربية، فلقد طالما قال المتنبي :ابن جنّي أعرف بشعري مني»، وقال مرة حين سُئل عن بعض دقائق شعره : (سلوا صاحبنا أبا الفتح). -رحمهما الله.

(للبحث صلة)

هلال بن ناجي

الحواشي :

(١) "رحلات حمد الجاسر" ص ١٣٩. (٢) "إيضاح المكنون" ٢ / ٥٣٦.

(٣) "النور السافر" ص ٢٧٦ / ٢٩١. وفي هامش "رحلات حمد الجاسر" وقع (تطبيع) في رقم الصفحة فغدا هكذا ص ٣٢٢٠ / ٣١، وهو وهم مطبعي. (٤) "رحلات الجاسر" ص ٣٢٢.

(٥) "الكواكب السائرة" بتحقيق جبرائيل سليمان جبور ٢ / ١٧٠. (٦) "شذرات الذهب" ٨ / ٣٣٦ - ٣٣٧.

(٧) "الكواكب السائرة" ٢ / ١٧٠.

(٨) لم يذكره زامباور في ولاة مكة وأشرافها لكنه ذكر أباه (أبا نمي محمد (الثاني) بن بركات .وأنه شريف فخري من سنة ٩٧٤هـإلى ٩٩٢، ينظر زامباور ص ٣٣ (اعتزل أبو نمي الحكم سنة ٩٧٤ وولي مكانه ولده الحسن وتوفى أبو نمي سنة ٩٩٢هـ) وثقبة ذكره السنجاري في "منائح الكرم" ٢ / ٨٩ - ٩٠. [والعصامي : "سمط النجوم" ٤ / ٣٥٩ والشهاب الخفاجي: "ريحانة الألباء" ١ / ٣٩٣ وفيه مصادر أخرى. عائض الردادي] (٩) "رحلات حمد الجاسر" ص ١٥٠.

(١٠) "رحلات حمد الجاسر للبحث عن التراث" ص ٢٤١. (١١) "رحلات حمد الجاسر" ص ١٤٣.

(١٢) "شغل الصحائف" ٥٥١ - ٥٩٨. (١٣) "رحلات حمد الجاسر" ص ١٤٥. (١٤) "رحلات حمد الجاسر" ص ١٧٠.

(١٥) "رحلات حمد الجاسر" ص ١٧٥. (١٦). وقع الكتاب في ٥٩٠ صفحة. (١٧) "رحلات حمد الجاسر" ص ١٩٢ - ١٩٤.

(١٨) "المذكر والمؤنث" للأنباري - بيروت ١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م بتحقيق د. طارق عبد عون الجنابي ص ٥٧.

(١٩) "رحلات حمد الجاسر" ص ١٩٧ - ١٩٨. (٢٠) "رحلات حمد الجاسر" ص ١٩٨.

(٢١) "هوامش تراثية" - هلال ناجي - بغداد ١٩٧٣م ص ٧٠-٨١. (٢٢) "المتنبي كأنك تراه" ص ١١.

أشهر الرحالة من الأطباء العرب الذين زاروا شبه الجزيرة العربية من القرن العاشر حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري

[عقدت في الرياض، في دارة الملك عبد العزيز ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية، من ٢٤-٢٧ رجب ١٤٢١هـ، الموافق ٢١-٢٤/٩/٢٠٠٠م، وكان من بحوثها هذا البحث الذي تنشره مجلة "العرب" لقرائها لما فيه من جِدة]

تعد منطقة الخليج العربي من أكثر المناطق التي شغلت اهتمام الجغرافيين والرحالين من العرب والمسلمين وغيرهم، وتطالعنا كتب أدب الرحلات بأسماء الكثيرين ممن رحلوا إلى منطقة الخليج العربي وذلك لأهداف مختلفة وغايات متعددة، وبالرغم من وجود الكثير من الكُتَّاب المعاصرين ممن بحثوا وتحدثوا عن أدب الرحلات، إلا أنه من المعتقد أنه لا زال يوجد الكثير مما لا نعرفه مما سطره الأوائل في هذا المجال، وهو ما زال مخطوطًا قابعًا في خزائن المكتبات العامة أو الخاصة ينتظر أن يرى النور.

ولعل من الموضوعات التي لم تفرد بالبحث والتمحيص هي الرحلات التي قام بها بعض الأطباء من العرب والمسلمين إلى شبه الجزيرة العربية، وما كتبوه عن ذالك، أو ما كتبه غيرهم عن رحلاتهم تلك، وقد تعددت أهداف رحلاتهم؛ فمنهم من رحل بقصد الحج ثم بقي هناك لسنوات لعلاج الناس من سكان المنطقة، ومنهم من استدعي من قبل بعض حكام تلك المناطق لأغراض علاجية، ومنهم من كان الغرض من ترحاله حب الاطلاع على تلك المناطق الهامة من العالم الإسلامي، وأخيراً منهم من سافر بقصد إنجاز مهمة طبية محددة كان قد كلف بها.

الهدف من هذا البحث هو التعرض بالذكر لبعض الأطباء العرب أو ممن اشتهروا بالطب ورحلوا إلى منطقة شبه الجزيرة العربية خلال الفترة الممتدة من القرن العاشر حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري، مع ذكر نشاطات

وأخبار بعضهم هناك، وما هذا البحث إلا محاولة للفت الانتباه إلى ضرورة القيام مستقبلاً بمزيد من الأبحاث لإغناء هذا الجانب الهام من أدب الرحلات.

عبد الفتاح القزويني: طبيب ماهر، ولد سنة ٨٧٤هـ (١٤٧٠م) واشتغل بالمعقوليات والطب وغير ذلك، رحل إلى الهند وصار من أصحاب خداوند خان وزير السلطان مظفر الكجراتي، ثم رحل إلى مكة فحج وجاور بها، ويروى أنه كان ضنيناً بالمعالجة مع حسن تصرف فيها، استمر في المدينة المنورة إلى أن مات فيها سنة ٩٤٢هـ (١٥٣٥م)[١].

زين العابدين الطرابلسي الطبيب: هو محمد بن يوسف بن علي الطرابلسي الطبيب، جاور بمكة أربع سنين، وحظي عند سلطان مكة وأهلها، كان حاذقاً بارعاً في الطب، وله معرفة تامة بمعرفة النبض ومعرفة العلاج، أخذ الطب عن مهرة بن مكي وابن الفريضي وغيرهما، عاد أواخر حياته إلى دمشق وتوفي فيها سنة ٩٩٣هـ (١٥٨٥م)[٢].

إسماعيل بن عبد الحق بن محمد: حمصي الأصل، دمشقي الإقامة، ويعرف أيضاً بالحجازي لمجاورة جده محمد بالحجاز، ولد سنة ٩٥٠هـ (١٥٤٣م). قرأ على العلامة فضل الله بن عيسى البوسنوي نزيل دمشق وعلى العلامة عبد الرحمن العماري المفتي، وأخذ فقه الشافعية عن الشرف الدمشقي والطب عن جده محمد نزيل الحجاز، وقد صار رئيساً للأطباء في عهده، وكان شاعراً رقيقاً حسن الأسلوب، توفي سنة ١٠٠١هـ (١٥٩٣م) ودفن بباب الصغير بجانب أبيه وجده[٣].

الشيخ داود الأنطاكي: هو داود بن عمر الأنطاكي، عالم بالطب والأدب، كان ضريراً، انتهت إليه رياسة الأطباء في زمانه، وهو صاحب الكتاب الطبي المشهور "تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب"، ولد في (الفوعة) وانتقل به والده إلى (أنطاكية) فنشأ بها، ثم منها إلى الشام ثم إلى مصر فقطن بها، وكانت له خلوة بالمدرسة الظاهرية تجاه البيمارستان، وفي سنة ١٠٠٨هـ (١٥٩٩م) رحل إلى مكة وأقام بها دون سنة وتوفي فيها بمرض الإسهال بعد

تناول عنب، كان قوي البديهة، يسأل عن الشيء من الفنون فيملي على السائل الكراسة والكراستين[٤].

ويروي الشيخ عبد الله العياشي في رحلته "ماء الموائد" أن الشيخ عبد العزيز الزمزمي رئيس المؤذنين بمكة أخبره أن الشيخ داود كانت له وجاهة عظيمة عند أمراء مكة، قال : وكان يحضر مجالس والدي في التدريس، وكان الوالد يجله وكنت أنا في نفسي أبغضه وأستثقله وأعاتب الوالد على إجلاله إياه وتعظيمه وأقول : كيف تجل رجلاً فيلسوفًا من شأنه كذا وكذا فيقول لي : إن الرجل من حكماء الإسلام وله مهارة في العلوم العقلية وعقيدته سليمة، وله وجاهة عند الدولة، قال : ثم عرض لي عارض مرض ذات يوم واشتد عليّ ولم أحضر الدرس أيامًا، فحضر الشيخ داود وسأل الوالد عني فأخبره بحالي، فلما تفرق المجلس قال للوالد : اذهب بنا لعيادة ولدك، فدخلي عليّ وأنا في أشد ما يكون المرض فجس يدي ثم قال لوالدي : ليس هذا وقت معالجة هذا الولد، ولكن خذ هذا الدواء لشيء استخرجه في جيبه (يسقى أو يدهن به) يخف عنه ما هو فيه، وأنا راجع إليه غداً في الوقت الذي ذكر، واستحضر حجّامًا وقال : هيىء آلة الفصادة وأراه العرق الذي يفصده ومحل الفصد منه، وقال : إذا سمعتني قلت : الله رافعًا صوتي به فافصد المحل الذي ذكرت لك، وإذا قلته ثانيًا فحل رباط العضد وأمسك عن إخراج الدم، فهيأ الحجّام الآلة وربط المحل فبقي ينتظر إذن الشيخ والشيخ مطرق رأسه، وقال : أخرجت لك دمًا مخصوصًا في وقت مخصوص لأمر مخصوص، وذلك أن الأمر المخصوص قرب الثمانين سنة، فوجد الشيخ عبد العزيز الراحة من حينه ولم يعاوده المرض إلى قرب الثمانين كما ذكر رحمه الله[٥].

ويروي المحبّي في كتابه «خلاصة الأثر»[٦] أن شريف مكة الشريف حسن ابن أبي نمي كان يلهج بتذكاره ويستهدي من الحجاج تفاريق أخباره، وهزه الشوق إلى استقدامه إليه واستحضاره ليجعل السماع عيانًا والخبر برهانًا، ويُحكى أن الشريف حسن استدعاه لعلاج بعض نسائه، فلما دخل قادته جارية،

ولما خرجت به قال للشريف حسن : إن الجارية لما دخلت بي كانت بكراً، ولما خرجت بي صارت ثيباً، فسألها الشريف حسن وأعطاها الأمان من المعاقبة فأخبرته أن فلاناً استفضها قسراً، فسأله فاعترف بذلك.

محمود بن يونس بن يوسف الأعرج الحنفي الطبيب : هو الشيخ شرف الدين رئيس الأطباء وخطيب الخطباء، قرأ في الفقه على عبد الوهاب وفي الطب على أبيه، وفي القراءات والتجويد على الشهاب أحمد الطيبي، وولي إمامة المقصورة بالجامع الأموي في دمشق، رحل سنة ٩٦٧هـ (١٥٦٠م) إلى الحجاز، وأخذ بمكة عن شيخ الإسلام الشهاب أحمد بن حجر الهيتمي وغيره، ودرس بالحاتونية والجقمقية وكان حسن الصوت والقراءة وله شعر وسط، مرض بالفالج نحو سنتين ثم مات سنة ١٠٠٨هـ (١٥٩٩م)، ودفن بمقبرة باب الصغير.

الملا صفي الدين بن محمد الكيلاني : أديب وطبيب رحل إلى مكة وتوفي فيها سنة ١٠١٠هـ (١٦٠١م) أتقن العلوم العربية والمنطق، ثم درس الطب وبرع فيه، أخذ بمكة عن عبد الرؤوف المكي وروى عنه كثيراً، وله مؤلفات عديدة في الطب وغيره، وقد انتفع جماعة من طبه.

ويحكى عنه في الطب غرائب منها أنه مرت عليه جنازة في مكة فدعا بها وأخذ من دكان بعض العطارين شيئاً نفخه في أنف الطريح فجلس وعاش مدة، فتعجب الناس من ذلك وسأله بعض أصحابه عن ذلك فقال : رأيت أقدامه واقفة فعلمت أنه حي، ومنها أن بعض التجار كان يطعن فيه ويتكلم عليه فلما بلغه أرسل بعض الفقراء بغصن من نبات له رائحة طيبة فلما شمه التاجر انتفخ بطنه وعجز الأطباء الموجودون عن علاجه فاضطر إلى صاحب الترجمة فأرسل إليه واستعطفه فأعطاه سفوفاً من ذلك النبات فعوفي مما به، وكان يأمر من مرض أن يخرج من مكة ولو إلى المنحنى لأن رائحة البالوعات تفسده، ولهذا بنى بيتا بالمُحَصّب يسكن فيه من به مرض(٧).

شمس الدين الحجازي الحمصي الدمشقي : هو محمد بن محمد بن

أحمد، يعرف في حمص بابن سمّاقة، ولد سنة ٩٣٠هـ (١٥٢٤م)، وتوفي سنة ١٠٢٠هـ (١٦١١م). كان ضليعًا بالعلوم الفقهية والعربية وكان ينظم الشعر، أخذ الطب عن الشيخ يونس بن جمال الدين رئيس الأطباء في دمشق، واختص بصحبته زمانًا، وكان يحاضر بأخباره كثيرًا، وفي دمشق كان يعرف بالحجازي لمجاورته بمكة بضع عشرة سنة، وقد أخذ العلوم عن الشيخ الإيلاقي القاطن في المدينة المنورة.

عوض بن يوسف بن محي الدين المعروف بابن الطباخ الدمشقي : ولد عام ١٠١٤هـ (١٦٠٥م) ومات أبوه وأمه حامل به، بدأ حياته بدراسته للطب حتى ألم به إلمامًا تامًا حتى اشتُهر بمعرفته الطب ودرّسه، وكان يُراجع في المسائل الصعبة فيعرفها ويعالجها، تولى القضاء بمدينة فلبّة وبغداد والمدينة المنورة، ابتلي بالاستسقاء وعولج فلم يفد علاجه، وكان استحكم فاقترح هو دواء لنفسه بقوة الحدس فكان يستعمل في كل يوم قدرًا وافرًا من الخربز (البطيخ الأصفر) وينام في الشمس وداوم على ذلك أيامًا حتى حمّ فبريء، توفي بمدينة القسطنطينية في سنة ١٠٨٠هـ (١٦٦٩م)[٨].

أحمد بن صالح بن إبراهيم الدرعي : هو أديب، عالم بالطب، ولد سنة ١١٢١هـ (١٧٠٩م) في زاوية (أكتاوة) بدرعة في المغرب الأقصى، له نظم كثير في ديوان سماه "شفاء المريض في بساط القريض" وله كتاب "الهدية المقبولة"، وهو عبارة عن أرجوزة في الطب، قام برحلة إلى الديار الحجازية وكتب عنها كتابًا سماه "الرحلة الشافية"، وله مؤلفات أخرى أكثرها لا زال مخطوطًا، توفي في (درعة) سنة ١١٤٧هـ (١٧٣٤م)، ولابنه العباس بن أحمد، تصنيف في أخباره سماه "الدرر اللامعة في السيرة الحسنة الجامعة"[٩].

أحمد الأركلي بن إبراهيم الأركلي الطبيب : ولد سنة ١١١٠هـ (١٦٩٨م)، كان يطالع في كتب الطب كثيرًا، وله في ذالك كتابات كان يكتبها على هامش كتبه في الطب، وله أيضًا من التآليف شرح على الشمائل ومقامات ضاهى بها "مقامات الحريري"، جاور في المدينة المنورة وتوفي بها

سنة ١١٦٢هـ (١٧٤٩م) ودفن بالبقيع[١٠].

محمد صالح الرضوي : مُحَدِّث رحال وطبيب، ولد في سمرقند ونشأ في بخارى ورحل إلى الهند واليمن والحجاز وتونس والجزائر والمغرب ومصر، ثم استقر في المدينة المنورة وتوفي فيها سنة ١٢٦٣هـ (١٨٤٧م)، له "مسلسلات" لا زالت مخطوطة، وهي تروي أسفاره، ويقال إنها أول مسلسلات عرفت ورويت[١١].

علي بن عبد الله المسلمي : باحث، متطبب من فقهاء النجف، ولد فيها سنة ١١٨٢هـ (١٧٦٨م)، نسبته إلى قبيلة بني مسلم في الفرات، صنف كتبا منها "قواعد الطب : كليات ومعالجات"، رحل إلى مكة وألف فيها كتاب "الشمسين في العلوم الطبيعية"، توفي في النجف سنة ١٢٧٧هـ (١٨٦٠م)[١٢].

حسن هاشم بك : هو ابن السيد هاشم بن السيد علي هاشم، ولد بالقاهرة سنة ١٢٤١هـ (١٨٢٥م)، درس الصيدلة في قصر العيني، ثم أرسل إلى فرنسا سنة ١٢٦٤هـ (١٨٤٨م) فدرس الطب وتخصص في أمراض النساء، وعاد إلى مصر ليدرِّس في مدرسة الطب، وفي سنة ١٢٧٨هـ (١٨٦١م) انتدبه الخديوي إسماعيل باشا للسفر إلى الحجاز للنظر في أسباب تفشي الكوليرا بين الحجاج فقام بمهمته خير قيام، توفي سنة ١٢٩٧هـ (١٨٨٠م)[١٣].

الدكتور سالم باشا بن سالم الشرقاوي : ولد في بلدة (القنيات) غربي مدينة الزقازيق، وكان والده الشيخ سالم سافر إلى الشام واعظًا سنة ١٢٤٨هـ (١٨٣٢م)، وهي السنة التي ولد فيها ابنه سالم، تعلم القرآن وجوَّده في الأزهر الشريف، ثم دخل مدرسة الألسن بالأزبكية وذالك حتى سنة ١٢٦٠هـ (١٨٤٤م)، بعدها التحق بمدرسة الطب واستمر فيها حتى سنة ١٢٦٥هـ (١٨٤٩م)، وكان إلى جانب دراسته للطب يدرس الفقه الشافعي بالأزهر، بعد ذلك توجه إلى فرنسا لاكتساب العلوم الطبية فيها، وبعد رجوعه إلى مصر، بُعِثَ إلى ميونيخ وظل فيها أربع سنوات يدرس الطب أيضًا، ثم في سنة

١٢٧١هـ (١٨٥٤م) عاد إلى مصر ثانية وعين طبيبًا للعساكر السعيدية بالقناطر الخيرية، وفي سنة ١٢٧٧هـ (١٨٦٠م) اختاره سعيد باشا طبيبًا خاصًا له في سفره إلى الحجاز لأجل الزيارة، توفي سنة ١٣١٢هـ (١٨٩٤م)(١٤).

محمد عبد السميع بك : ولد في بلدة بني مزار في مصر سنة ١٢٤١هـ (١٨٢٥م)، ودرس الطب في قصر العيني بالقاهرة، ثم أرسل إلى باريس للتخصص ثم عاد سنة ١٢٨٠هـ (١٨٦٣م) وعين أستاذًا للجراحة بمدرسة الطب، ورحل إلى الحجاز مع ركب الحج ولبث فيها ثلاث سنين انتفع فيها أهل الحجاز بطبه، ثم عاد إلى مصر، ألف كتابًا في الولادة من ثلاثة أجزاء، وكتابًا في علم الأربطة، توفي في مصر سنة ١٣١٨هـ (١٩٠٠م)(١٥).

الدكتور صلاح الدين القاسمي : ولد الدكتور صلاح الدين القاسمي في دمشق عام ١٣٠٥هـ (١٨٨٧م)، وكان والده الشيخ محمد سعيد القاسمي إمام الشافعية في جامع السنانية بدمشق، توفي أبوه وهو في الثانية عشرة من عمره، فكفله أخوه علامة الشام الإمام جمال الدين القاسمي، وكان قد عرف في الفتى نبوغه المبكر، فأحاطه بكثير من عنايته ورعايته، تعلم التركية والفارسية والفرنسية ومبادئ العلوم الكونية، إلى جانب ما تعلمه في بيته من علوم الدين والعربية، ولما أتم دراسته الثانوية دخل كلية الطب في دمشق (وكانت تسمى المعهد الطبي) وتخرج فيها طبيبًا عام ١٣٣٢هـ (١٩١٤م) وأسس مع بعض من إخوانه جمعية النهضة العربية ولم يكن يتجاوز التاسعة عشرة من عمره، ثم أصبح أمين سرها، وفي عام ١٣٣٤هـ (١٩١٦م) سافر إلى الحجاز، وبعث برسائله منها، وقد توفي في تلك السنة هناك ودفن في الطائف في المقبرة المجاورة لمسجد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

كتب الدكتور صلاح الدين القاسمي أربع رسائل كلها مرتبطة بزيارته إلى الحجاز، سماها برسائل الحجاز، وقد جمعها مع غيرها من أعماله ابن أخيه الدكتور مسلم القاسمي ونشرت في كتاب بعنوان "الدكتور صلاح الدين

القاسمي" قدم له وحققه محب الدين الخطيب.

الرسائل الحجازية:

الرسالة الأولى - من دمشق إلى تبوك : في هذه الرسالة يتحدث القاسمي عن خط رحلته بدءاً من دمشق وصولاً إلى تبوك، ففي البداية عبر عن شوقه لزيارة بلاد الحجاز، فقال : (كنت أود منذ أمد بعيد أن تكتب لي الرحلة إلى الديار الحجازية، لأرى بلاداً كانت مبعث الحياة والنور والعلم، ومن آفاقها الصافية الزرقاء انبثق فجر الحضارة العربية وطلعت شمس النهضة الإسلامية فأضاءت الخافقين)[١٦].

بعد ذلك تحدث عن بدء رحلته على القطار الحجازي من دمشق التي غادرها في السابع عشر من ذي الحجة(؟) سنة ١٣٣٤هـ(١٩١٦م)، حيث كانت الوجهة الأولى تبوك التي تبعد حوالي ٦٩٣,٢ كيلاً من دمشق، وقطع القطار هذه المسافة في ثلاثين ساعة، بما فيها ساعات الوقوف، وأعلى نقطة يرتفع بها القطار عن سطح البحر هي عَقَبة الحجاز التي تقع بين بئر الشدية ووادي الرتم، وهي على بعد ٥١٤,٦ كيلاً من دمشق ويبلغ ارتفاعها ١١٥١م، ثم يبين القاسمي أن المحطات الأساسية هي ثلاث : القدم ثم درعا ثم معان، والمحطات مؤلفة من عدة أبنية تحتوي على مكان للطبيب وصيدليته، وهو عبارة عن غرفتين واحدة يفحص فيها الطبيب المرضى من مستخدمي الخط وغيرهم، وفيها منضدة للكتابة ومنضدة للعمليات وبعض الآلات، والغرفة الأخرى هي عبارة عن صيدلية يعد فيها ما يلزم من الأدوية والعقاقير، وقد توجد غرفة أخرى يبيت فيها الصيدلي، أما الطبيب فيبيت في دار أخرى على نفقة إدارته.

تجول الدكتور القاسمي في ذلك المكان فوجده كما يقول لا يليق بمكانة الطب وشرفه، ثم يصف بقية رحلته فيذكر أنَّ المسافر بعد أن يقطع في القطار زهاء ساعة تنقطع عنه آثار العمران، ولا يعود يرى نباتاً ولا ماء إلا شجيرات بادية في العراء، كما قد تشاهد بعض القلاع المبنية على الطراز الشامي تتراءى

فخمة إذا ما قورنت بتلك البيوت التي لا تزال على الطراز البدائي.

الرسالة الثانية – تبوك (نفوسها، سكانها، بنو عطية وشيخهم، هواؤها، ماؤها، الحالة الصحية، أوضاعها، قابلية أراضيها للزراعة، درجة الحرارة، المحجر الصحي، البعثة الطبية):

هذه الرسالة هي الأهم من تلك الرسائل الأربع، لذلك أرى أن أسردها كاملة.

يقول الدكتور القاسمي: (وصلنا تبوك في اليوم الثاني من مبارحتنا دمشق الساعة الثامنة والنصف عربية [الثانية والنصف زوالية] وقد كان يدلنا عليها قبل أن نصل إليها ببرهة يسيرة منظر نخلها الأخضر الكثيف.

هذه الكورة لم تكن شيئًا مذكورًا قبل مسيرة القطار، فهو الذي أعاد لها ذكرها القديم، على أنها لا تزال متأخرة في العمران، وسكانها قلائل جداً، وهي ناحية من أعمال معان، وفيها ثلاثون بيتًا أو أربعون، ومجموع نفوسهم بأسرهم يتراوح بين المئة والخمسين إلى المئتين، أما سكانها الأصليون فلا يبلغون الأربعين نسمة.

ومن هنا يعلم أن سكانها قسمان: أصليون وطارئون، أما الأصليون فيدّعون أنهم من قبائل الحميدات، غزاهم بنو عطية منذ مدة فاستولوا عليهم ولم يبقوا منهم سوى ذلك النفر القليل، وأصبح لبني عطية الكلمة العليا، وهم على ما يظهر أغنى من أهل البلد الأصليين، ولشيخ هذه القبيلة -الشيخ حرب- حديقة مسماة باسمه ولأقربائه أمثالها أيضًا، وقد توفي شيخهم منذ عهد قريب وخلفه ابنه محمد، وقد اجتمعتُ به فرأيته لا يبلغ العاشرة من العمر، والوصي عليه ابن عمه ويدعى سليم، وهو شاب في مقتبل العمر وشرخ الصبا، وله وكيل يسمى الشيخ صالح المقبلي، أما الطارئون على تبوك فقد أتوا من جهات تيماء وحائل واستوطنوا هنا، وفيهم غرباء أيضًا يأتون من الأطراف في زمن الحج ويطلبون مرتزقًا لهم فيُستخدمون إما في المحجر الصحي أو في الخط الحجازي.

وأهلها يعتاشون بنخيلهم وزرعهم وماينال المستخدمين منهم في المحجر، وبعضهم يشتغلون بالبيع والشراء، يبيعون من بني عطية بالدين ثم يستوفون ما لهؤلاء من المرتبات التي تنقدها لهم الحكومة، وراتب شيخهم - على ما ذكر لي وكيل الشيخ الصغير- ٧٥ ريالاً مجيديًا في الشهر.

وهواء هذه الكورة نقي جداً، لا يشعر بذلك إلا المقيمون في خارجها من أطباء المحجر، ومستخدمو الخط وموظفوه، لأن هواءها يفسد من مائها الراكد، وهذا الماء يترشح من الأرض فيجتمع في حوض كبير أقيم على أطرافه وأمامه حوض آخر، وبجانبهما حوض ثالث وقد كان الحوض الكبير يُسَدُّ فيمتليء ويصب في الحوض المقابل والمجاور له، وقد بنيت بإزائه منذ القديم قلعة كان يقيم فيها جنود موكلون بحفظ هذا الماء ليستقي منه الحجاج، ومنذ سار القطار إلي المدينة زالت الحاجة إلى ذلك الماء ولم يعد يُعْنَى به، فأصبحت تلك الأحواض مستنقعاً وخيمًا تنمو فيه أنواع الجراثيم ولا سيما جراثيم الحمى المتقطعة (الملاريا) وتنبعث منه روائح خبيثة، وهو مملوء بالأوحال، ومع ذلك فلا يزال بعضهم يستقي منه مع وجود بئر الجامع الذي في البلدة، ووجود بئر الخط وهو على قيد غلوة(؟) منها، وذلك ما دعا إلى فساد هواء تبوك وانتشار الأمراض المنوعة بين أهلها، وضعف نسلهم وتقليل عددهم، وهذا يفسر لنا الرمز الذي يعتقدونه من أنهم لا يزيدون ولا ينقصون، بل كلما ولد لهم واحد مات آخر.

وفي الكورة جامع ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم جدده كاظم باشا لما كان ناظراً لإنشاءات السكة، ومدرسة شيدت على عهده أيضًا، وفيها نحو ٣٠ تلميذاً، نصفهم من أبناء العشائر والباقون من أبناء الموظفين، ويقوم بتثقيفهم معلم دمشقي عربي يتقاضى في الشهر من الحكومة خمس مئة قرش، وفيها دار للحكومة تتألف من غرفتين ودائرة للبرق، وهما مبنيتان على الطراز الذي يبني به أهالي هذه الكورة بيوتهم، وهو لبن يصنع من رمل أرضها، ويرى منظره الترابي، وفي جدرانها كوى يبلغ طول الكوة زهاء ٩٠ سنتيمتراً وعرضها

٣٠ سنتيمتراً، وجدران الغرف واطئة وضعيفة، تسقف بسعف النخيل على الحالة البدائية.

وحكومة هذه الناحية رأت أن هذه الدار لا تليق بالحكومة، فاستفزتها الحمية وافتتحت قائمة إعانة اكتتب بها مشايخ بني عطية وأطباء المحجر والخط وموظفوه لتبني لها داراً خططتها منذ أسبوع، وستباشر البناء بعد مدة، ولكن هذه النفقات ستذهب فيما أحسب سدى، لأن الدار الجديدة لا تخرج عن حد الأولى من حيث البناء إلا أنها ستكون أوسع، ومن العار أن يكون لحكومة تبوك بناء على هذا الطراز، بينما تقوم أمامه صباح مساء أبنية الخط الحجرية المبنية على الطراز الحديث.

وفي هذه الكورة ثكنة عسكرية تقيم فيها كتيبة لمحافظة الخط، ومستشفى عسكري يسع أكثر من ستين سريراً يداوى فيه الجنود المرضى من أفراد الكتيبة وممن يشتغلون منهم بإصلاح الخط أيضاً، وله طبيب عربي غيور حلبي الأصل، ومعاون صيدلي، وقد زرت هذا المستشفى فرأيت فيه عدة مرضى مصابين بأنواع الأمراض، ولذالك الطبيب البارع عناية خاصة بهم، وللمستشفى حديقة جميلة في الجملة، عُني بها طبيب المستشفى المذكور، وقد زرع فيها أنواع النباتات، وتشاهد الآن الفول نامياً فيها مزهراً، وتنشق أريج زهره وأنت في أيام الخريف كأنك في فصل الربيع، ولولا جراد انتشر صيف هذا العام فالتهم بعض النباتات لرأيت الحديقة على غير ما هي عليه الآن.

وهنا لابد لي أن أقول : إن هذه الأراضي قابلة للزراعة جداً، إلا أنه يعوزها شيء من العناية بالأرض، يدلك على ذالك ما تراه في هذه الحديقة وفي غيرها من الحدائق كحديقة حرب وأقربائه، وهي مزروعة بالتين والعنب والتين الشوكي (الصبارة) والطماطم (البندورة)، وقد بدأ بعض الأهالي هنا يزرعون الشعير في بعض الأراضي وتراه الآن آخذاً في النمو.

وتبوك حارة جداً في أيام الصيف، حتى أن درجة الحرارة بلغت هذه السنة ٤١ مئوية في الظل على ما أخبرني أحد الأطباء بل ارتفعت إلى الـ٤٣، لذالك لا

عجب إذا كنا الآن ونحن في (تشرين الثاني) لا نشعر ببرد مطلقاً إلا عند الفجر، بل كأنما نحن في أواخر الربيع وأوائل أيام الخريف، فالهواء يهب طلقاً رخاء، والسماء مصحية لا تغيم إلا في النادر كما وقع هذا العام والعام الماضي مما لم يشاهد في السنين الغابرة، فقد أمطرت السماء منذ عشرة أيام رذاذاً وبدأت تتساقط على رمالها المحرقة قطرات دافئة كقطرات الدموع، وتهب في الأحايين ريح شديدة تحمل معها ذرات الرمل، ويصاب المتعرض لها بالرمد الحبيبي وغيره من أمراض العيون، والبرد لا يبلغ أشده هنا إلا في كانون الأول والثاني.

والذي يجدر بالذكر هنا المحجر الصحي، وهو يبعد عن المحطة زهاء عشر دقائق، وقد شيد منذ سار القطار إلى (المدينة) ويبنى بالتدريج، وهو مؤلف من أبنية خشبية منظمة مصبوغة بصباغ بنفسجي ومبثوثة هنا وهناك، اثنان منها لأطباء المحجر وكتبته، وآخر للمستشفى وفيه زهاء عشرين سريراً ينقل إليه الحجاج المرضى من الموبوئين وغيرهم، وفيه صيدلية تحوي معظم ما يلزم من الأدوية والعقاقير، ودار للجراثيم وفيه مكبرتان (ميكروسكوبان) ومكان خاص فيه آلتان كبيرتان لتطهير ألبسة الحجاج وحوائجهم وغير ذالك، وإدارته منظمة، صرف عليها حتى الآن زهاء سبعة وعشرين ألف ليرة[١٧].

وتخرج إليه كل عام بعثة صحية تصل في العشر: الأول والثاني من ذي الحجة، وفي الأحايين قبل ذلك بحسب الحاجة، وذالك للإشراف على حالة الحجاج الصحية وضرب النطاق عليهم ومداواة المرضى منهم، ويعين أعضاء تلك البعثة من قبل إدارة الصحة في العاصمة، ويتقاضى الواحد منهم راتباً قدره ٣٠ ليرة عثمانية كل شهر ويعطون نفقات طريق من الأربعين ليرة عثمانية - إلى الستين، وبعضهم يتناول أكثر من ذلك، وللمحجر مدير دائم، مركزه دمشق، ويأتي إلى هنا قبل البعثة لإعداد المعدات في هذا المحجر وإصلاح ما أفسده الزمان والإنسان.

والبعثة الصحية في هذا العام كانت مؤلفة من سبعة أطباء ثلاثة منهم

سوريون يأتون من العاصمة، وفيهم صيدلي ويرأسهم المدير، وللمحجر ثلاثة كتّاب وحراس يأتي جلهم كل سنة من العاصمة ووظيفتهم ومهمتهم حفظ المحجر ومراقبة الحجاج خشية أن يفروا، وله مستخدمون وطنيون أيضاً.

وللمحجر رسم يتقاضاه من كل حاج عن كل يوم سبعة قروش أميرية ونصف، ويعفى منه الفقراء، ومدة الحجر في حال الصحة ثلاثة أيام وفي حال المرض خمسة، ويتجدد إذا تعددت الإصابات والوفيات.

وقد بلغ عدد الحجاج الذين مروا بتبوك هذا العام زهاء ستة وعشرين ألفا، ومما يبعث على السرور أن صحة الحجاج العامة هذا العام على غاية ما يرام والحمد لله)[١٨].

الرسالة الثالثة – على ذكر الكلية الإسلامية في المدينة المنورة : في هذه الرسالة يشير الدكتور القاسمي إلى أنه أثناء مكوثه في تبوك التقى بأعضاء الجمعية الإسلامية العاملين[١٩]، وأخبروه بأنهم قد أوفدوا من قبل الحكومة العثمانية إلى المدينة المنورة لدراسة إنشاء كلية إسلامية أو ما سموه بدار الفنون الإسلامية فيها ووضع حجر الأساس لها، وهنا شكك الدكتور القاسمي في مقاصد الحكومة العثمانية من إنشاء تلك الكلية الإسلامية في المدينة المنورة، ورأى في ذلك منفعة سياسية أكثر منها علمية، حيث عبر عن ذالك بقوله : (وما كان الله ليبقي عمل قوم لا يكون الإخلاص رائدهم، ولا التدبير قائدهم)[٢٠].

الرسالة الرابعة – درس في التغرب : في هذه الرسالة الأخيرة من رسائل الحجاز يذكر الدكتور القاسمي أنَّه كان من بين أطباء البعثة الصحية في تبوك طبيب أرمني في الخمسين من العمر، كان قد فارق أهله وأسرته وأتى إلى تبوك مع من أتى من دمشق ليقوم بوظيفة عهدت إليه إلى أجل مسمى، لقاء راتب كاف واف، ثم يعود إليها وقد قضى واجبه وظفر بأمنيته (كما يعلق الدكتور

القاسمي) ، ومن خلال هذا الموقف يعرض الدكتور القاسمي أفكاره عن الحياة الوظيفية وكيف يجب أن ينبري لها الأشخاص الأكْفَاء وأن يتحملوا مشاق الغربة وصعابها ويضرب على ذلك مثل الأوربيين الذين يعملون في بلاد بعيدة حيث يقول : (وإلا فكيف يعيش الأوربيون من إنكليز وألمان وفرنسيين في بادية الأناضول وصحاري السودان ومجاهل إفريقية ، وكيف يتناءون عن وطنهم فيوغلون في الأقطار العربية عراقيها ويمانيها وحجازيها ، فيستخدم من يستخدم منهم في السكك الحديدية ، ويقوم بعضهم بوظائف عهد بها إليهم ، ويذهب بعضهم لاكتشاف الآثار والعاديات فيكتبون عنها المجلدات ، وتناط بآخرين وظيفة التعليم في الإرساليات ويطوفون البلاد من أدناها إلى أقصاها دعاة ومبشرين)[٢١] .

الدكتور أمين باشا بن فهد بن أسعد المعلوف : طبيب من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق ، ولد ١٢٨٨هـ (١٩١٠م) في (الشويفات) بلبنان ، وتخرج طبيباً في الجامعة الأمريكية في بيروت ولما شبت الثورة في الحجاز على العثمانيين رحل إلى جدة ، فعين مديراً للصحة فيها ، وعقب الحرب العالمية الأولى عاد إلى سوريا فعينته حكومتها العربية أستاذاً في المدرسة الطبية الدمشقية ، ثم مديراً للإدارة بوزارة الخارجية ، توفي في القاهرة بعد إصابته بشلل سنة ١٣٦٢هـ (١٩٤٣م)[٢٢] .

سوريا - جامعة حلب : د. عبد الناصر بن إحسان كعدان

الحواشي :

(١) "معجم الأطباء" لأحمد عيسى بك ، ط٢ ، دارالرائد العربي ، بيروت ، ١٤٠٢هـ ، ص ٢٧١ "السنا الباهر" ص ٤١٩ .

(٢) "الكواكب السائرة" للغزي المطبعة الأمريكية ، بيروت عام ١٩٤٩م ، ج٣ ، ص ١٢٢ "معجم الأطباء" ، ٤٤٩ .

(٣) "خلاصة الأثر" للمحبي، ج١، ص ٤٠٦. "معجم الأطباء"، ص ١٤١ - ١٤٢.

(٤) "معجم الأطباء"، ص ١٨٥، "الأعلام"، للزركلي، ج٢، ص ٣٣٣.

(٥) "معجم الأطباء"، ص ١٩٤ - ١٩٥. (٦) "خلاصة الأثر"، ج٢، ١٤٧.

(٧) "خلاصة الأثر"، ج٢، ص ٢٤٤ - ٢٤٥. "معجم الأطباء"، ص ٢٢٥-٢٢٦.

(٨) خلاصة الأثر، ج٣، ص ٢٣٤، معجم الأطباء، ٣٢٤-٣٢٥.

(٩) "الأعلام"، ج١، ص ١٣٨. "دليل مؤرخ المغرب"، ج١، ص ١٩٥.

(١٠) "سلك الدرر" للمرادي، مصر، ١٣٠١هـ، ج١، ص٨٢. "معجم الأطباء"، ص ١٠٢.

(١١) "الأعلام"، ج٦، ص ١٦٤، "فهرس الفهارس"، ١: ٣٢٢-٣٢٥.

(١٢) "الأعلام"، ج٤، ص ٣٠٨. "معارف الرجال"، ٢: ٩٦.

(١٣) "معجم الأطباء"، ص ١٦٩-١٧٠. (١٤) "معجم الأطباء"، ص١٩٧. "الأعلام" ج٣، ص٧١

(١٥) "معجم الأطباء"، ص٤٦٧-٤٦٨. "البعثات العلمية" ص٥٥١.

(١٦) كتاب "الدكتور صلاح الدين القاسمي"، ص ١٩٨. [ولعل هناك خطأ في مغادرته الآتية، فتكون في ذي القعدة بدلاً من ذي الحجة. العرب].

(١٧) كانت الليرة العثمانية في ذلك الوقت هي الليرة الذهبية، وهي تنقص نحو العُشْر عن قيمة الجنيه الإنكليزي الذهب.

(١٨) كتاب "الدكتور صلاح الدين القاسمي" ص ٢٠١-٢٠٥.

(١٩) وهي كما يقول محقق الكتاب محب الدين الخطيب جمعية أنشأتها الحكومة التركية كان حزب الاتحاد والترقي وعلى رأسه أنور باشا قد أسسها لأغراض حزبية كان من مقاصدها مقاومة روح القومية العربية.

(٢٠) كتاب "الدكتور صلاح الدين القاسمي"، ص ٢٠٧، [ومبنى هذه الكلية هو مبنى مدرسة طيبة الثانوية الآن، المقابل لمبنى سكة حديد الحجاز من الشمال (عائض الردادي)]

(٢١) كتاب "الدكتور صلاح الدين القاسمي"، ص ٢١٢

(٢٢) "الأعلام"، ج٢، ص ١٩. "مجلة المجمع العلمي العربي"، ١٨ -٢٥٨.

«خصائص اللغة» لأبي منصور الثعالبي

[تحقيق خالد فهمي، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م،١٣٦ص]

المرضى باقتناء الكتب -مثلي- وحدهم يعرفون المشكلات التي أُعاني منها في سبيل الظفر ببغيتي من هذا القطر العربي أو ذاك البلد الأجنبي، فالمكتبات العربية القليلة الموجودة في بلاد الفرنجة -حيث أقيم- تقتني مطبوعاتها على مزاج أصحابها مما يعتقد أنه مطلوب أو مرغوب، ونادراً ما تلبي رغبات الباحثين أو القراء، وإذا فعلت ذلك فبأسعار ترهق الجيوب وتدمي القلوب.

وعندما بلغني مؤخراً صدور عدة كتب تراثية جديدة في القاهرة استطرت فرحًا، وجندت معارفي واتبعت أكثر من وسيلة حتى لُبي طلبي فسكن قلبي، وكان من ضمن ما طلبت :

- «خصائص اللغة» لأبي منصور (عبد الملك بن محمد) الثعالي المتوفى سنة ٤٢٩هـ تحقيق خالد فهمي، منشورات مكتبة الخانجي، القاهرة.

والثعالبي صاحب «يتيمة الدهر» أشهر من أن يعرَّف، فهو الأكثر تصنيفًا، وصف بأنه (جاحظ نيسابور)، رصيده العلمي يبلغ نحو ١٢٠ عنواناً وصل إلينا نحو نصفها.

أما (مكتبة الخانجي) فهي من معالم قاهرة المعز، لها أيادٍ بيض على تراث العرب والمسلمين، تتوارثها أسرة كريمة حريصة على نشر العلم وخدمة الثقافة والباحثين.

وخالد فهمي محقق مصري، اختار «فقه اللغة وسرّ العربية» للثعالبي موضوعًا لرسالته العلمية (الماجستير) ثم نشره (القاهرة - ١٩٩٨م)، للمحقق إذن عناية بالثعالبي، و"خصائص اللغة " التجربة الثانية له وهو دليل العناية، يقول الدكتور رمضان عبد التواب في تقديم كتاب تلميذه : إن الثعالبي كان يحلو له أن يختصر أحد كتبه اختصاراً غير مخل كما صنع في «خصائص

اللغة» فقد اختصر فيه كتابه «فقه اللغة» إلى حوالي الثمن، وتوخى الثعالبي في مختصره هذا حذف كل الشواهد من القرآن والحديث والشعر والنثر، كما حذف بعض الألفاظ الغريبة، وأضاف ألفاظًا أخرى قليلة، لا توجد في «فقه اللغة» ولم يذكر في المختصر سوى أربعة أسماء من الرواة، ثم يقول : ومحقق الكتاب الأخ (خالد فهمي) لم يترك شاردة ولا واردة في إضاءة النص إلا أفاد منها ، كما قابل بين الأصل وهذا المختصر .. الخ، نستخلص من هذا الكتاب :

١ - إنه ينشر أول مرة.

٢ - إن أحداً ممن ترجم للثعالبي -على كثرتهم - لم يذكره.

٣ - إن مخطوطة الكتاب التي اعتمدها المحقق (الظاهرية بدمشق ١١٨ لغة) هي يتيمة (أي وحيدة لا أخت لها) مكتوبة في حدود سنة ١١٧٧هـ، وقبل أن أناقش هذه الأمور، أود أن أشيد بالجهد المشكور الذي بذله الأستاذ فهمي في تحقيق الكتاب وإضاءة نصوصه، ووضع فهارس فنية له، لكن كل هذا لا يمنع أن نضع بين أيدي المحققين والباحثين والقراء الحقائق الآتية :

١ - إن هذا الكتاب طبع مرتين في العراق، قبل الطبعة القاهرية وهاك التفصيل :

الأولى : نشر بعنوان «نسيم السحر» بتحقيق (الشيخ محمد حسن آل ياسين) ضمن العدد الأول من المجلد الأول للسنة الأولى من مجلة «الكتاب»، بغداد، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م وأفرد في مستل.

الثانية : نشر بالعنوان المتقدم نفسه بتحقيق (الدكتورة إبتسام مرهون الصفار) ضمن العدد الأول - من المجلد الأول - السنة الأولى في مجلة «المورد» - بغداد ،١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

وللنشرتين إشارة في :

«المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع" للدكتور محمد صالحية (القاهرة ١٩٩٢م) ج١ ص ٣٠٩ وانظر «الذخائر الشرقية» لكوركيس عواد ج١ ص ٥٤١.

الجدير بالتنويه أن (السيدة الصفار) اعتمدت نسخة واحدة وجدتها ضمن

مجموع (برقم ٤٠٤) في معهد الدراسات الإسلامية العليا ببغداد، وانظر ملاحظات الدكتور محمود عبد الله الجادر حول هذا الكتاب في: «الثعالبي ناقداً وأديباً" (بغداد ١٩٧٦م ١٣٩٦هـ) ص ١٣٩-١٤٢.

"نسيم السحر":

وإذا كان لا وجود لذكر "خصائص اللغة" في قوائم مؤلفات الثعالبي كما يفيدنا المحقق في مقدمته، فإن الأمر مختلف بالنسبة لـ"نسيم السحر" فله ذكر صريح في «الوافي بالوفيات» للصفدي ضمن ترجمة الثعالبي (ج١٩ ص ١٩٧) وعنه في «طبقات النحاة واللغويين» لابن قاضي شُهبة (مخطوط) ج٢ ص ٢٨٨.

مخطوطة أخرى:

قال أفقر البرية (جليل بن إبراهيم العطية): وفي مكتبتي مصورة من المجموع المخطوط (٢٠٥٢ أيا صوفيا، مكتبة السليمانية) إستانبول قوامه ٢١٦ ورقة، يشتمل على نصوص صوفية وأدبية ولغوية باللغتين العربية والفارسية، يتضمن النص المنشور نفسه باسم رسالة «نسيم السحر» يشغل الورقات ما بين ١٨٧-١٩٩ جاء في ختامه: [تم .. خصائص اللغة من كتاب "نسيم السحر" بعون الله وحسن توفيقه على يدي الضعيف (مبارك بن أصيل ابن محمد بن النجيب الملقب نجم القرطاسي) .. في يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ٩٨٩ هجرية).

لهذه النسخة مزايا فإضافة إلى قدمها هي مشكولة ومكتوبة بخط فارسي متقن، تنفرد بإضافات وخلافات، وفي الهوامش فوائد لغوية مهمة، وفي النسخة ثلاثة فصول جديدة ونقدم أدناه نماذج من الزيادات التي تنفرد بها هذه النسخة:

المقدمة: جاء في المطبوع: فألفت واختصرت له هذا الكتاب الصغير الجرم، الكبير الغنم، الخفيف الحجم في (خصائص اللغة) ..

الزيادة من مخطوط (آيا صوفيا) :

– وأسرار مجاري كلام العرب المستشهد عليها بالقرآن ولطائف الكتاب وبدائع الشعراء.

وإني حينٍ أتحفه بهذا، كمن يهدي الخضاب إلى الشباب، وكمن يهدي إلى القمر نوراً، ويزيد في البحر نهراً، ولكن ما على الناصح إلا جهده، ولي أسوة فيمن قال : لأبي الحسن بن طباطبا العلوي :

لا تنكرنْ إهداءنا لك منطقًا ... منك استفدنا حسنة ونظامه

فالله عز وجل يشكر فِعلَ مَنْ ... يتلو عليه وحيه وكلامه

والآخر :

لا تنكرنّ إذا أهديتُ نحوك من ... علومك الغرّ أو آدابك النُّتفا

فقيّم الباغ قد نهدي لمالكه ... برسم خدمته من باغه التحفا

والله تعالى أسأل أن يقرّ عينه ويشرح صدره ويعلي أمره، ويلقيه من العيش أرغده، ويجعل خير يوميه غده، وهذا حين استفتاح الكتاب، وما توفيقي إلا بالله.

[قلت : إن البيتين الأخيرين هما لأبي الفتح البستي : "يتيمة الدهر" : ٤ / ٣٣٠]. [الباغ : البستان، فارسية معربة. "العرب"].

زيادات في فصول الكتاب :

١ – فصل في التنزيل والتمثيل : والأكاسرة لفارس كالقياصرة للروم والخواقين للترك.

[قلت ، الخواقين جمع خاقان]

٢ – فصل في أشياء تختلف أسماؤها باختلاف أحوالها : ولا يقال قلم إلا إذا كان مبريًا، وإلا فهو قصب.

٥ – فصل في تقسيم اللِّين : امرأة لميس

٨ – فصل في تقسيم القلة : ثمد : شيء تافه وطفيف . نزر : مال قليل.

٩ – فصل في تقسيم السعة : درع فضفاض.

٩ – مكرر – فصل في تقسيم الضيق : مكان ضيق، صدر حرج، معيشة ضنك، طريق لزب.

[لا وجود لهذا الفصل في المطبوع]
١٧- فصل في تقسيم ما لا خير فيه من الأشياء والفضالات : خِشاش الطير.
٢٠- فصل في تقسيم الخلو : أرض موت وموات ليس بها نبت، شجرة سليقة : ليس عليها ورق.
٢٤- فصل في تقسيم البياض على ما يوصف به : رجل أزهر.
٢٦- فصل في تقسيم السواد والبياض على ما يجتمعان فيه : سحاب : أسحم.
٢٨- فصل في تقسيم الأشياء على اليد : ومن السمن وضرة ومن الدهن زنخة.
٢٩- فصل في تقسيم الأنوف على الحيوان : نخرة الفرس. مرمة السّبع.
٣٩- فصل في تقسيم ما يخرج من الحيوان : جيهبوق الفأرة عن الأزهري.
٤٨- فصل في تقسيم المشي على ضروب من الحيوان : الإنسان يمشي ويسعى.
٥١- فصل في تقسيم الوثب : قفز الصبي.
٥٨- فصل في تقسيم القطع على أشياء مختلفة : صُلم الأذن، جبّ بالمقراض الذكر، قلّم الظفر.
٥٨- مكرر : فصل في تقسيم القطع المضمومة والمجموعة : ضغث من الحشيش، باقة من بقل، حزمة من حطب، كارة من ثياب، إضبارة من كتب.
[الفصل لا وجود له في المطبوع].
٦٢- فصل في تقسيم الثقب : جُراز الفأس.
٦٣- فصل في تقسيم الكسر : دَقّ الحَبّ والنوى.
٦٦- فصل في تقسيم الخيوط : السِّمطُ للدُّرِ.
٧١- فصل في تقسيم جماعات شتى : جَوقَة من الغلمان، ثلّةٌ من النساء.
٧٤- -مكرر- فصل في ترتيب الأنهار : أصغرها الجدول ثم السَّريُّ ثم الجَعْفَر ثم الطِّبع ثم الخليج.
[لا وجود لهذا الفصل في المطبوع].
٧٥- فصل في تقسيم بيوت العرب وتفصيلها : طراف من أدم، قبة من لبن.

نسختان :

إضافة إلى نسخة (آيا صوفيا) توجد نسخ أخرى من النص المقصود في هذا

المقال بينها :

١ - نسخة آفيون بمدينة آفيون قرة حصار التركية رقمها ١٧٥٢٩ كتبت في القرن العاشر في ٦٣ ورقة، عنوانها : "خصائص اللغة وأسرار الكلام العربية".

أولها : أما بعد حمد الله على آلائه .. فإن من أحب الله تعالى، أحب رسوله...

["نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركية" للدكتور رمضان ششن (دار الكتاب الجديد)، بيروت، ١٩٧٥م) ج١ ص ٣٩٦-٣٩٧].

٢ - نسخة راغب باشا (بمدينة إستانبول) رقمها ١٤٨٦ كتبت في القرن الحادي عشر من ١٦٤ب إلى ١٧١أ عنوانها : "نسيم السحر".

أولها : أما بعد حمد الله الذي هو أول القرآن .. فإن لقاء الشيخ نسيم الصبا.

[نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركية ج١ ص ٣٩٩].

صفوة الكلام :

يمكن تلخيص ما تقدم بما يلي :

١ - طبعة كتاب الثعالي بتحقيق الأستاذ خالد فهمي هي الثالثة.

٢ - توجد عدة نسخ من مخطوط الكتاب مبعثرة في خزائن العالم العامة والخاصة لابد من رصدها وتصويرها ودراستها قبل التفكير بتقديم طبعة جديدة جدية للكتاب.

٣ - يبدو من نسخة (آيا صوفيا) - المشار إليها قبل قليل - أن "خصائص اللغة» هو القسم اللغوي من كتاب كبير يدعي «نسيم السحر» - أشار إليه الصفدي وغيره ضمن قوائم مؤلفات الثعالبي، يشتمل على :

١ - لطائف الكتّاب.

٢ - بدائع الشعراء.

وهكذا يبدو أن «نسيم السحر» يشبه -من حيث المنهج- كتاب «لباب الآدب» للثعالبي المطبوع بتحقيق د. قحطان رشيد صالح - منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة خزانة التراث، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٧م.

والله أعلم ،،

باريس : جليل بن إبراهيم العطية

من كتاب «المجموع اللفيف» للأفطسي

(تعليق من كتاب يعقوب بن إسحق الكندي في معرفة الجواهر)

تفضل عليَّ أستاذنا الشيخ حمد الجاسر فأتحفني بورقات مصورة عن مخطوطة كتاب "المجموع اللفيف" للشريف القاضي أمين الدولة محمد بن محمد بن هبة الله الأفطسي (٤٦٢هـ-٥١٨هـ) وتتضمن تلك الورقات تعليقاً من كتاب يعقوب بن إسحق الكندي في معرفة الجواهر، وكان للصديق الدكتور جليل العطية فضل التعريف بمخطوطة كتاب «المجموع اللفيف» (مجلة "العرب" ٣٤ / ٢٠٠) فقد ذكر أن الكتاب محفوظ بالمكتبة الوطنية في باريس رقم AR3388 ويقع في أكثر من مئتي ورقة مكتوبة بخط المؤلف المتقن الدقيق، ويضم أخباراً وحكايات وأشعاراً وطرائف، انتقاها من مصادر ضاع أغلبها اليوم، ولا تحمل المخطوطة تاريخ النسخ لكنها مكتوبة في القرن الخامس الهجري.

ويحتل نص الكندي في معرفة الجواهر الورقات الأربع الأخيرة من الكتاب، وتنتهي بقوله «تمت النسخة المباركة من الجزأين من "المجموع اللفيف" ببقاء مالكها وصلى الله على النبي وآله».

وحينما اطلعت على الورقات المذكورة، وهي خاصة بالحديث عن اللؤلؤ، ظننت أنني لن أجد فيها جديداً بجانب ما ذكره ابن ماسويه أو البيروني أو التيفاشي أو غيرهم ممن عنوا بذكر الجواهر والأحجار.

إلا أن القراءة المتأنية وتحليل النصوص المتناظرة والموازنة بينها تظهر بجلاء أهمية تعليق الكندي الوارد في كتاب «المجموع اللفيف»، وتكشف خطأ الزعم القائل : إن الكندي قد استقى معظم معلوماته من كتاب ابن ماسوية (إما بحرفيها، أو بمعانيها، دون أن ينسبها إلى صاحبها الحقيقي)[1]. كما أن تعليق الكندي يقدم تصحيحاً لعدد من الفقرات المتعلقة باللؤلؤ في كتاب ابن ماسويه، ويؤكد ما التبس منها، ويستكمل نواقصها.

وسنحاول بين يدي هذا النص أن نستجلي باختصار تلك الأمور، ثم نترك

للتعليقات والحواشي المزيد من التوضيح والاستطراد.

أولاً -الكندي وابن ماسويه :

عاش كل من الكندي وابن ماسويه في بغداد في النصف الأول من القرن الثالث الهجري، وقد توفي ابن ماسويه عام ٢٤٣هـ في حين أن الكندي قد توفي أواخر سنة ٢٥٢هـ[٢]. ويعد كتاب «الجواهر وصفاتها» ليحيى بن ماسويه من أوائل الكتب التي وصلتنا في هذا الفن، ويتضمن الكتاب صفة اللؤلؤ وأصنافه وكيفية تكونه ومغاصاته وطريقة الغوص إلى جانب الحديث عن الأحجار والجواهر الأخرى، وذكر الدكتور عماد عبد السلام رؤوف في مقدمة تحقيقه للكتاب فضل ابن ماسويه على من تلاه من العلماء وقرر أن (الكندي الذي كتب كتابه «الجواهر والأشباه» بعده ببضع سنين اعتمد عليه اعتماداً كليًا حتى كاد أن ينقل بعض فقراته نقلاً حرفيًا)، ثم أورد نصوصاً مختارة من كتاب ابن ماسويه ومن كتاب الكندي نقلها البيروني في "الجماهر" للتدليل على نقل الكندي عن ابن ماسويه[٣].

أما الكندي فقد اكتسب كتابه في الجواهر شهرة كبيرة، وكان من المصنفات المعتمدة في هذا الفن، اعتمد عليه من جاء بعده، وقد نقل عنه البيروني والتيفاشي وابن الأكفاني وغيرهم ممن صنف في موضوع الجواهر والأحجار، وتكفي شهادة البيروني له بأنه لم يقع إليه من هذا الفن غير كتاب أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي في الجواهر والأحجار والأشباه قد افترع فيها عذرته وأظهر ذروته، كاختراع البدائع في كل ما وصلت إليه يده من سائر الفنون فهو إمام المجتهدين وأسوة الباقين[٤] وقد سمي ابن النديم كتاب «أنواع الجواهر الثمينة» كما ذكر أن له رسالة في أنواع الحجارة[٥].

ولنا أن نتوقف بعد هذا التقديم للبحث في حقيقة الزعم القائل : إن الكندي قد استقى معلوماته من كتاب ابن ماسويه وإنه قد نقل بعض فقراته نقلاً حرفيًا كما يذكر الدكتور عماد عبد السلام، ولنا على هذا الرأي مجموعة من الملاحظات ندرجها فيما يلي :

١ - إن القول : إن الكندي هو الذي أخذ عن ابن ماسويه لا يسنده دليل بيّن على ذالك، فما دام الاثنان متعاصرين فلابد أن أحدهما أسبق من الآخر في التأليف، وليس من الضرورة الجزم بأن الكندي لكونه قد تأخرت وفاته نحو تسعة أعوام أو عشرة قد ألف كتابه في هذه الفترة، كما أن مكانة الكندي العلمية والاجتماعية تمنعه من السطو على كتاب لشخص معروف في الأوساط التي يرتادها الكندي نفسه، ولا نريد القول أيضاً : إن ابن ماسويه هو الذي سطا على كتاب الكندي، نقول هذا رغم التطابق الكبير في الجزء المتعلق باللؤلؤ والغوص عليه بين تعليق الكندي الوارد في كتاب "المجموع اللفيف"، وما جاء في كتاب «الجواهر وصفاتها» لابن ماسويه، لدرجة كون أحدهما نسخة أخرى للآخر تصححها وتدعو إلى الظن الذي ذهب إليه الدكتور عماد عبد السلام.

٢ - إن البيروني قد اطلع على كتاب الكندي الذي سماه «الجواهر والأشباه»، وقد مدحه بما ذكرناه، ونقل عنه في مواضع كثيرة من كتابه "الجماهر في الجواهر" أما ابن ماسويه فلم يشر إليه إلا مرة واحدة، وذلك حينما نقل عنه نصا في ذكر الأسرب[٦].

وبين أيدينا الآن نص كتاب ابن ماسويه محققًا ومنشوراً وفي مقابلة توجد عشرات النصوص التي نقلها البيروني في "الجماهر" عن الكندي، ونجد فيما ذكره الكندي معلومات كثيرة لم يشر إليها ابن ماسويه، واللافت للنظر أن النصوص المنقولة عن الكندي تدل على أنه كان يقوم بالفحص المعملي للجواهر للتأكد من خواصها ومنافعها، ومثال ذلك في حديثه عن الياقوت حيث ذكر أنه (اشترى كيساً فيه حصيات مجلوبة من أرض الهند غير مصلحة بالنار، وأنه أحمى بعضها فجاد صبغ أحمرها، وكان فيها قطعتان إحداهما شديدة السواد تلوح من شفافها في النور حمرة خفيفة والأخرى تشف بصبغ أقل، وأنه نفخ عليهما في البوطقة مدة ينسبك فيها خمسون مثقالاً من الذهب وأخرجهما منها لما بردا وقد نقى أقلهما صبغًا وقد قارب الوردي قليلاً، وأما المظلم فإنه انسلخ اللون عنه حتى بقي كالبلور السرنديبي امتحنه فكان أرْخَى من الياقوت .. الخ).

ونجد في عدد من النصوص المنسوبة إلى الكندي إشارات إلى أنه قد رأى وعاين واختبر الأحجار التي يتحدث عنها، ومثل ذالك قوله عن البسذ وهو المرجان إنه كان معه شجيرة ارتفاعها شبر ونصف باع كل مثقال منها بأربعة دنانير .. ونقل عنه البيروني فقرات طويلة في هذا الموضوع[٧] ومثل ذلك النصوص التي نقلها البيروني عن الكندي في صفة الدهنج والتي ألحقها بقوله : (وذكر الكندي أنه شاهد من عتيقه صفيحة فيها تسعة أرطال)[٨]. وعن الفيروزج يقول الكندي : إن أعظم ما رأى منه أوقية ونصف مثقال[٩]. وهناك أمثلة كثيرة لا مكان لتفصيلها، ومعظمها لم ترد في كتاب ابن ماسويه، بل إننا نجد أن الكندي يقرن تجربته الشخصية عند الحديث عن تلك الموضوعات خلافًا لابن ماسويه الذي جاءت مادته في معظمها مبنية على النقل ويمكن القول بإطمئنان : إن المادة التي نقلها البيروني عن الكندي نصًّا قد تتجاوز في مجموعها حجم كتاب الجواهر وصفاتها لابن ماسويه.

ثانياً – النص المحقق :

يتضمن النص المحقق ثلاثة موضوعات هي :

١ – محار اللؤلؤ وحيوانه الذي في داخله وأواني الغوص وأصناف اللآلىء بحسب موقعها من المحارة عند النشأة وأثمانها.

ويقابل هذا الجزء الصفحات ٣٠-٣٢ من كتاب "الجواهر وصفاتها" لابن ماسويه، ولا نعني بالمقابلة التماثل فهناك زيادات عند الطرفين، فالفقرة الخاصة بأوقات الغوص من هذا الجزء لا نجدها عند ابن ماسويه وهناك نحو أربع فقرات وردت في نهاية هذا الجزء من كتاب ابن ماسويه لم ترد عند الكندي، ونورد فيما يلي نصًّا لابن ماسويه وما يقابله عند الكندي لنتبين نمط الاختلاف.

ونحيل القارئ إلى مثل آخر في الحاشية الثامنة من التحقيق.

(ابن ماسويه)	(الكندي)
(والصغار الذي قد صار فيه اللؤلؤ يسمى البلبل، وهو يسبح ويرعى فيه بالليل	وهذا الحيوان في بدء نشئه إلى أن يتم وهو حينئذ رخص لم تَجْسُ أصدافه فحينها يسمى البلبل

مجتمعاً لا يتفرق، وبعضه إلى جـــانب بعض وفوق بعض كجمع الجراد).	الرطب، فإذا استحكم ولم يعتق سمي البلبل التام وهو يسبح في الليل في قعر البحر يدب كالجراد بعضه يلي بعضاً، وبعضه فوق بعض.

٢ - السواحل التي يجهز إليها التجار والغواصون أو مغاصات اللؤلؤ، وذكر ستة سواحل هي ساحل بحر البصرة وساحل سيراف وساحل عُمان وساحل مكة وساحل سرنديب وساحل الصين، ويذكر في كل ساحل نوع اللؤلؤ الذي يخرج منه ووزنه المعتاد وثمنه، ويقابل هذا الجزء الصفحات ٣٣-٣٧ من كتاب ابن ماسوية، وفي هذا الجزء نجد أن نص الكندي في كثير من المواضع أوفى من نص ابن ماسويه ومثال ذلك :

■ عند حديث ابن ماسويه (ص ٣٣) عن جهاز البحرين قال : (وهو من كاظمة إلى بحر فارس أربعة مواضع) وبينما لم يذكر ابن ماسويه إلا موضعاً واحداً كانت العبارة تامة عند الكندي.

■ وصف الكندي لمغاص خارك أوفى وأوضح من وصف ابن ماسويه.

■ في النص المتعلق بمغاص سرنديب سقط سطر أو أكثر من كتاب ابن ماسويه دون أن يتنبه المحقق إلى ذلك، ونص الكندي تام غير ناقص (انظر حاشية رقم٣٢).

ونحيل القارئ أيضاً إلى حواشي التحقيق ففيها بيان بالفروق والفوائد التي قدمها نص الكندي لتصحيح ما جاء عند ابن ماسويه (انظر على سبيل المثال الحاشيتين ٢٣ و٢٧).

٣- أشكال حب اللؤلؤ الجيد منها والردئ وأوزانها وتقدير أسعارها، وفي هذا الجزء أيضاً اختلافات طفيفة بين المصدرين، إلا أن نص الكندي أكثر وضوحاً ودقة، فمن ذلك قول ابن ماسويه (ص ٢٧) عن أصناف اللؤلؤ : (ومنه الأصبهاني، وهو الذي يجلب من أصبهان، وهو أشد صفرة ..) ويقول الكندي : (ومنه الأصبهاني، وهو أشد صفرة من المغربي يعجب به أهل أصبهان ويجلب إليهم ..) ونص الكندي هنا أوضح وأصح، فاللؤلؤ يجلب إلى أصبهان ولا يجلب منها كما ذكر ابن ماسوية لكونها مدينة داخلية ليست على البحر.

وهذا الجزء من التعليق يقابله نص ابن ماسويه في الصفحات (٢٦-٢٩) وفي نص ابن ماسويه بعض الزيادات في أصناف اللؤلؤ .

وينقص النص المحقق كل ما جاء في صفة الغواصين والغاصة التي أوردها ابن ماسوية في الصفحات (٣٨- ٤٠) ، وهذا دليل على أن التعليق المنقول من كتاب الكندي الوارد في "المجموع اللفيف" لم يتضمن كل ما كتبه الكندي في موضوع اللؤلؤ ، ويؤكد ذالك أن البيروني قد نقل عن الكندي نصوصًا في صفة الغوص وأحوال الغاصة مما يدل على أن ما جاء في كتاب الكندي عن اللؤلؤ كان كاملاً غير منقوص .

ثالثاً – نصوص أخرى للكندي عن اللؤلؤ :

تعطي نُقُولُ البيروني عن الكندي في موضوع اللؤلؤ صورة واضحة لما تضمنه كتاب "الجواهر والأشباه" من معلومات حول هذا الموضوع ، وسنورد هنا نماذج مما ذكره البيروني ذكراً صريحًا ، مع إغفال تلك النصوص التي توافق (التعليق) والتي أشرنا إليها في حواشي التحقيق .

١- (ونصر يتبع الرأي العامي في قوله إن اللؤلؤ يتولد من المطر ، ثم يربيه الصدف ، فإنه كان كالريق للإنسان يقبله في فمه ويجليه ، ويستدل على ذالك بأن المطر كلما كان أكثر في سنة وأعجل من وقته كان أجود اللؤلؤ فيها أغزر وريعه أوفر .

والكندي يحكي هذا أيضًا عن أصحاب التجارب منهم) ص ٢٣٣-٢٣٤ .

٢- قال الكندي : (إن موضع الحب من البلبل داخل الصدف مع حرفيها ، وما كان مما يلي الأذن والفم الجيد ، ولهذا قالوا في الكبير إنه يكون في حلقومه يديم دحرجته فتصح استدارته ويزداد بالتفاف القشور عليه حتى يعظم ، والدليل على حدوث الطبقة فيه بعد الطبقة أن ما يكون في سطحه الأعلى إذا قشرت منه قشرة شابهت باطنها الصدف من غير رونق له ، ثم يكون وجه المنقشر عنه على مثل وجه الأول ، فيدل على أن وجه هذا الداخل كان وقتًا ما بارزًا منكشفًا كوجه الأول) . (ص ٢٣٥) والفقرة الأولى أشرنا إليها في الحاشية (١٠) من التحقيق والنص طويل ولا نعرف على وجه التحديد موضع انتهاء النص ولهذا

اقتصرنا على فقرتين منه.

٣- قال نصر في كتابه : ذكر الجوهريون أن من أراد تعلم الغوص يقوم بحشو أذنه علي غاية الإحكام حتى تتعفن وتتدود وينفتح له إلى الحلق طريق يتنفس منه تنفسًا ضعيفًا داخل الماء، وأظن سقط منْ النسخة ما به الحشو وأظن العفونة والتدود يكون فيه أو منه.

وذكر الكندي ذلك على صفة أخرى، وهو أن يحبس نفسه في بدء التعلم فيرم لذلك أصل أذنه ويجتمع فيه الدم والمدّة (القيح) ثم يتفجر إلى حلقه ويخرق ما بينهما خرقين إذا اندملا خرج منها النفس خروجًا ضعيفًا يعين على الزيادة في اللبث وإمساك النفس في الأكثر[١٠] من ربع ساعة» (ص٢٤٥-٢٤٦) وقد ورد هذا الخبر باختصار عند ابن ماسويه (ص٣٩).

ومثل هذا القول تكرر عند عدد من الكتاب العرب، وقد انتقد ذالك البيروني بقوله : وأظن هذا الخبر من أساطير الحمقى وتسوّق الغواصين على تجارهم (ص٢٤٦).

٤ - نقل البيروني نصًا طويلاً عن نصر الجوهري عن كيفية الغوص ثم ختمه بالقول : إن نصراً لم يبعد عما في كتاب الكندي، ثم بين الخلاف بينهما، وما أضافه الكندي، ويتجلى ذالك في النص التالي : (وذكر الكندي [في جملة ما ذكر] أنه يقمش (يجمع) - إن لم يجد صدفا- الشبيه بالشعر الذي تعمل منه أسورة الأكراد يسمى شعر الحروبة، وهو نبات في القعر، ولم أُحط بالشبيه والمشبه به.

وأما المستأجرون، فيركبون الزورق مع أمين التاجر، ويكونون ستة أو اثني عشر، فإذا غاص الواحد حفظ الزوج -وهو الرفيق- رَسَنه. ويتوفر الأجر عليهم كل يوم جمعة).

ولم يبعد نصر عما في كتاب الكندي، والخلاف بين كلامهما أن الكندي ذكر بدل بقيرة الدَّوْم رُميثا من خشبات المُقْل مشدودة يجعل فيها كساه شراعاً. وذكر أنه يوقفه بإدلاء حجر يقوم مقام الأنجر للمركب، وصعوده يكون بالتحريك، وهذا لأن ماء البحر غليظ يسهل فيه الطفو، ألا ترى أن بحيرة زُغر

لما تناهت في المرارة لا يرسب في مائها من دخله.

وقال في سد الأنف : إنه بملزام من قرن أو من ذبل أو عاج كالمشقاص يلزم أنفه، ومن حدّث من الشاهدين يزعم أنه شعبتان من قرن يدخل الأنف بينهما فينضمان عليه ويعصران منخريه حتى لا يدخلهما ماء.

وقال في المستأجرين : إنهم يكونون في الزورق من ستة نفر إلى اثني عشر، وأظن هذا بسبب سعة الزورق لا غير.

وذكر في الحيوانات الضارة ما يبلع الغائص، وما يقطعه نصفين وهو القرش، وإن جرها الرمث يكون عند ابتلاع الحجر إذا لم يكن أسود، وربما قطع الحبل بأسنانه فلم يقلب الرمث.

وذكر في تصويب الغائص ونباحه وبما يكون في جوف الماء، وما أظن ذالك ممكنًا في فم ليس له وجه غير الإطباق، والصوت لا يتم إلا بفتحه وخروج الهواء منه، ولن يخرج إلا بدخول بدله من الماء، ولو أمكنه فتح الفم لما صرخ عند بروزه بشوقه إلى استنشاق الهواء. وهذا من قوله أشد استحالة من التنفس بأصول الآذان.

وقال من كان أمين بعض التجار في الزوارق : إن الصدف المخرج يُجعل في خزانة حتى يموت حيوانه ويعفن فيسهل إخراج ما فيه، ثم يُحتال بعد ذالك في إزالة نتن التعفين عنه بما يضاده، وصغار اللآلىء تكون في الأمعاء فلا تحوج إلى تعفين.

ومن عاف هذا، شق عن الصدف ساعة إخراجه بعد أن يموت، فإن الحي يضم الدفتيْن فيعسر فتحها. (٢٤٨-٢٥٠).

ويضاف إلى الأمثلة السابقة ما قاله الكندي عن اللؤلؤ الطبسي (ص ٢٥٦) وقصة طويلة عن جراب من الجوهر سلمه الرشيد إلى يحيى بن خالد (ص ٢٦٠-٢٦١) إضافة إلى النصوص التي لم نستدل على نسبتها الصريحة إلى الكندي.

وكل ما سبق يؤكد أن مادة الكندي في موضوع اللؤلؤ مادة شاملة تفوق في اتساعها ما قدمه ابن ماسويه، وأن من التجني على الكندي القول : إنه قد اعتمد

على كتاب ابن ماسويه اعتماداً كليًا.

أما عن تفسير التشابه في بعض النصوص فسببها يعود إلى أمرين :

أولهما أن الجواهر والأحجار من المواد العلمية التي لا تحتمل الاختلاف في بيان الشكل والخواص ومكان التعدين وطرقه، وإذا ما كانت هناك زيادات فهي متعلقة بالجهود الشخصية التي يبذلها المؤلف والتي تدخل في إطار الدراسة الميدانية والمخبرية، وهذا ما تبيناه بوضوح في نصوص الكندي وأفتقدناه في نصوص ابن ماسويه.

وثانيهما : أن الكندي وابن ماسويه عالمان متعاصران يستقيان مادتهما العلمية من مصادر واحدة، ومن أبرز تلك المصادر كتاب الأحجار لأرسطو، وكتاب بلينوس أوبليناس الملقب بسر الطبيعة في العلل والمعلولات، ورسالة جالينوس في المعادن، إضافة إلى طبقة الجوهريين المشهورين زمن الدولتين الأموية والعباسية مثل عون العبادي، وأيوب الأسود البصري، وبشر بن شاذان وغيرهم. وعلى ذلك، فليس من الغريب أن تتشابه بعض النصوص بين الاثنين، ولو اطلعنا على معظم كتب الجواهر والأحجار لوجدنا بينها شبها واضحًا في المعلومات الأساسية التي لا خلاف عليها.

(للبحث صلة)

الكويت : أ. د : عبد الله بن يوسف الغنيم

الحواشي

(١) مقدمة محقق كتاب "الجواهر وصفاتها" لابن ماسويه (الدكتور عماد عبد السلام رؤوف) : ص١٣.

(٢) حقق أستاذنا المرحوم الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة سنة وفاة الكندي وتوصل إلى هذا التاريخ، وقد أشار إلى الأقوال الأخرى وناقشها مثل قول لويس ماسينيون إن وفاته كانت عام ٢٤٦هـ وقول برركلمان إنه مات بعد عام ٢٥٦هـ بقليل وقول نالينو إنه توفى عام ٢٥٠هـ وذكر أن القول الأخير لا يسنده دليل ولا شاهد. (انظر محمد عبد الهادي أبو ريدة : "رسائل الكندي الفلسفية"، القاهرة ١٩٥٠، ص ٥و٦).

(٣) المصدر السابق ص ١٣، ١٤.

(٤) البيروني : "الجماهر في الجواهر"، ص ١٠٣.

(٥) "الفهرست" : ص ٢٦٢.

(٦) "الجماهر في الجواهر" ص ٤١٩.

(٧) المصدر السابق، ص ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦.

(٨) المصدر السابق : ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥.

(٩) المصدر السابق ٢٧٨.

(١٠) لعل القراءة الصحيحة تكون (في الماء أكثر).

مضمون الفيء في النهج الاقتصادي الإسلامي

(٢)

توزيع الفيء : يخال للباحث أن النهج الاقتصادي الإسلامي كان قد ميّز بين الأموال التي ترد إلى المسلمين دون مجهود قتالي ملموس، وبين أموال ترد بعد أن يخوض المقاتلون المسلمون غمار معارك قاسية، ويحققون من خلالها انتصارات بيّنة وحاسمة على عدوهم، وبذالك يكون لهم القدح المُعلّى من الأموال، أو الغنائم، التي يتم الحصول عليها، ففي هذه الحال يكون نصيب المقاتلين الذين خاضوا غمار الحرب أربعة أخماس الغنائم التي تم الحصول عليها من العدو، جراء بلائهم في القتال، ويذهب الخمس الباقي (فيئًا) إلى بيت المال.

في حين وزعت أموال الفيء في البدايات الأولى من قيام الدولة الإسلامية على وفق تفسير الآية الكريمة : ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾[١]، التي استهدفت المحتاجين فعلاً إلى هذه الأموال، كما أنها استبعدت الأغنياء والموسرين، ولعل ذالك يوحي إلى محاولة التضييق من الفجوة الحاصلة بين الأغنياء والفقراء.

ويذهب المفسرون إلى أن هذه الآية نزلت بشأن الأموال التي يتم الحصول عليها من الكفار (العدو) بلا قتال، فحكمها إلى الله ورسولهﷺ، وأن للرسول الحق في أن يضعها حيث يشاء أو أن يصرفها على شؤونه الخاصة، أو في مصالح المسلمين، وله أن يجعل منها نصيبًا لأقربائه من بني هاشم أو بني المطلب، وله أن يخصص قسمًا منها لليتامى والمساكين من ذوي الحاجة والفقر، وله أيضًا أن يخصص قسمًا منها للغريب المنقطع في سفره، والغرض من هذا التشريع ألا ينتفع بمال الفيء الأغنياء والموسرون ويستأثروا به دون الفقراء واليتامى والمساكين وذوي الحاجة الحقيقية له، إذ أن هاؤلاء أشد حاجة لمال الفيء من الأغنياء[٢].

ويوضح (الماوردي)[٣] حكم أوجه صرف خمس مال الفيء على رأي

أغلب الفقهاء على الوجه الآتي :

١ - سهم منه لرسول الله ﷺ، ينفق منه في مصالحه الخاصة ومصالح المسلمين، وقسم من الفقهاء قال : إن هذا السهم مصروف في ورثته، في حين قال آخرون : إن هذا السهم يكون ملكًا للإمام الذي يقوم بأمور المسلمين بعد الرسول ﷺ، لأن الأنبياء لا يورثون، وذهب فريق آخر إلى القول : إن سهم الرسول ﷺ بعد وفاته يكون مصروفًا في مصالح المسلمين عامة.

٢ - وسهم منه لذوي القربى، وهم بنو هاشم وبنو المطلب.

٣ - وسهم منه لليتامى من ذوي الحاجات.

٤ - وسهم منه للمساكين، وهم الذين لايجدون ما يكفيهم، من أهل الفيء.

٥ - والسهم الأخير لأبناء السبيل[٤].

أما بقية مال الفيء، ففيه للفقهاء قولان، أحدهما : أنه للجيش خاصة، لا يشاركهم فيه غيرهم، والثاني : أنه مصروف في المصالح التي منها أرزاق الجيش وما لا غنى للمسلمين عنه، قال الماوردي[٥] : «لا يجوز أن يصرف مال الفيء في أهل الصدقات، ولا تصرف أموال الصدقات في أهل الفيء، إذ من الضروري أن يصرف كل صنف من المالَيْن في أهله، ومعلوم أن أهل الفيء هم ذوو الهجرة الذَّابّون عن البيضة، والمجاهدون للعدو، في حين يكون أهل الصدقات من لا هجرة له، وليس من المقاتلين، ولا من حماة البيضة»[٦]، ولدينا نص واحد جاء به الماوردي[٧] أشار إلى أن الرسول ﷺ، أعطى من مال فيء (حنين) عيينة بن حصن الفزاري، والأقرع بن حابس التميمي، والعباس بن مرداس السلمي، ليوثق صلاتهم بمصالح المسلمين، على الرغم من أنهم ليسوا من أهل الفيء.

ويجوز للإمام أن يعطي ذكور أولاده البالغين من مال الفيء، في حين لا يجوز له أن يعطي إناث أولاده من مال الفيء، لأنهم من جملة ذريته الداخلين في عطائه، كما لا يجوز له أن يعطي عبيده وعبيد غيره، لأن هاؤلاء لا يعدون من المقاتلين[٨].

وتجمع أموال الفيء من قبل عامل يتصف عادة بالأمانة والصدق والشهامة،

وأن يكون حراً، مسلماً، مجتهداً في أحكام الشريعة، متضلعاً بالحساب والمساحة، ويكون عامَّ الولاية على جباية ما استقر من أموال الفيء كلها، أو قد يكون خاصَّ الولاية على نوع من أموال الفيء خاص[٩].

نضوب موارد الفيء : من الضروري الإشارة هنا إلى أن موارد الفيء لم تستمر بالتدفق على وفق الوتيرة نفسها، وإنما طرأ عليها انخفاض كبير، ولعل ذالك كان متأتياً من عدة مؤثرات؛ تأتي في مقدمتها حالة انتقال ملكية رقبة بعض الأراضي الخراجية من مستثمريها الذميين إلى المسلمين، رغم رفض الفقهاء لهذا الإجراء، ومع ذالك فقد انتقلت ملكيات كبيرة من الأراضي الخراجية إلى المسلمين، واكتفى المالك الجديد بدفع ضريبة العشر بدلاً من الخراج، وفي ذالك فرق كبير، وخسارة عظيمة لبيت المال، ذالك أن موارد الفيء تنخفض في هذه الحال إلى ما يقارب ثمانين في المئة عما كانت عليه في حالة كون الأرض الخراجية مستثمرة من قبل الذمي، ومستوفى من إنتاجها الخراج إلا العشر.

وتقل موارد الفيء أيضاً في حالة إقطاع بعض الأراضي الخراجية إلى رجل مسلم، ويكتفي هذا الرجل بدفع العشر بدل الخراج، إذ قد يَدَّعي المالك الجديد أن ملكيته تشمل الحيازة والانتفاع، وعندئذ تلغى ولاية الدولة على هذه الأرض، في حين كانت ملكية صاحبها السابق ملكية انتفاع فقط، وإن مقدار الفيء الذي يدفعه لبيت المال هو بمثابة أجرة للأرض التي يستثمرها[١٠].

وتنخفض موارد الفيء في حالة تعطيل بعض الأراضي الخراجية وعدم استثمارها، كما تقل موارد الفيء في حالة زراعة الأرض الخراجية بمحصول زراعي ضريبة الخراج فيه قليلة على الجريب[١١]، في حالة معاملة الأرض الخراجية على وفق خراج الوظيفة[١٢]، كما تقل موارد الفيء في حالة دخول عدد كبير من الذميين في الإسلام، وعند توقف حركة الفتوح، وفي حالة تراخي حركة النشاط التجاري، وبخاصة مع تجار دار الحرب الذين يلزمهم النهج الاقتصادي الإسلامي دفع عشرة في المئة من قيمة البضاعة التي يتاجرون بها في دار الإسلام[١٣]، وتقل موارد الفيء في حالة انفصال بعض الأقاليم عن جسم

الدولة، أو في حالة حصول ظاهرة إلجاء بعض الأراضي الزراعية إلى ذوي النفوذ السياسي، أو العسكري، أو الاجتماعي، الذين لا يلتزمون عادة بدفع كل مقدار الفيء المستحق على الأرض التي أُلجئت إليهم.

وأخيراً يمكننا أن نقول: إن الفيء كل مال وصل من العدو من غير قتال ولا بإيجاف خيل ولا ركاب، كما انسحب مضمون الفيء على ما يؤخذ من العدو بعد انتهاء الحرب، وبعد أن تتحول المنطقة المحررة، أو المفتوحة، إلى دار الإسلام، فيصبح الفيء والحال هذه جزءاً من موارد بيت المال، وحينئذ يشمل موارد الخراج والجزية، ووظيفة أرض الصلح التي منعها أهلها حتى صولحوا منها على خراج مسمى، ومنه أيضاً ما يأخذه العاشر من أهل دار الحرب إذا دخلوا بلاد الإسلام للتجارات، والفيء يعم المسلمين غنيهم وفقيرهم، سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة، لأنهم أهل دين قبلة، فيكون في أعطية المقاتلة، وأرزاق الذرية، وما ينوب الإمام من أمور الناس، بحس النظر للإسلام وأهله[١٤].

جامعة بغداد – كلية الآداب : د . حمدان بن عبد المجيد الكبيسي

الحواشي :

(١) سورة الحشر، آية ٧.

(٢) الصابوني : صفوة التفاسير جـ٣، ص ٣٥٠. (ينظر : ابن الأثير «الكامل» جـ٢، ص ١١٩).

(٣) «الأحكام السلطانية» ص ١٢٦-١٢٧. (٤، ٥) الماوردي : «الأحكام السلطانية ص ١٢٧.

(٦) «الأحكام السلطانية» ١٢٧ وينظر ابن زنجويه «الأموال» ج٢ ص٤٧٧ و ٤٧٩.

(٧، ٨، ٩) الماوردي «الأحكام السلطانية» ص ١٢٨ و١٢٩ و ١٣٠ على التوالي.

(١٠) أبو عبيد : الأموال ص ٢٩٥ و ٢٩٦.

(١١) الجريب : مقياس للمساحة يساوي ١٥٩٢ متراً مربعاً. (ينظر : هنتز «المكاييل والأوزان الإسلامية»، ص ٩٦).

(١٢) أبو يوسف : الخراج ص ٣٦ و ٣٨. أبو عبيد : الأموال، ص ٧٤-٧٥. ابن خرداذبة «المسالك والممالك» ص ١٤. قدامة «الخراج» ص ٢٢١-٢٢٢.

(١٣) أبو يوسف : الخراج، ص ١٢٣-١٢٤ و١٣٣ و ١٣٥. أبو عبيد : الأموال، ص ٧٤.

(١٤) أبو عبيد : الأموال ص ٢٣، وابن زنجويه : الأموال ج٢ ص ٤٨٠ - ٤٨١.

(قانون نامة) لواء القطيف لعام ٩٥٩هـ (١٥٥٦م)

(٢)

العثمانيون والقطيف :

إن تاريخ منطقة الخليج العربي لا يزال يكتنفه الغموض في كثير من فتراته، ولا سيما في أواخر القرن الخامس عشر وبدايات السادس عشر الميلادي، وذالك ناتج عن قلة الكتابات، وعدم وجود (أرشيفات) تستطيع أن تلقي بعض الضوء على الفترة المذكورة، وقد أوجد هذا بعض التناقض في أقوال من تعرض لتاريخ المنطقة، وقد خلصت معظم الدراسات التي تناولت الوجود العثماني في منطقة الخليج إلى القول : إن السلطان سليمان القانوني تلقى خضوع وولاء العديد من الحكام المحليين لمنطقة الخليج العربي -بما فيهم حاكم القطيف- أثناء وجوده في بغداد بعد أن استولى عليها وخلصها من سيطرة بلاد فارس وذالك في عام 941هـ / 1534م، إلا أنه لا يوجد دليل مادي يؤكد هذه المقولة. لا يمكن دراسة تاريخ المنطقة في النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي دون التطرق للحوادث التي كانت تدور في المناطق المجاورة لها، وفي ذالك الوقت كانت هناك قوتان تتنافسان للسيطرة على المنطقة أولاهما البرتغال التي ثبتت أقدامها على سواحل منطقة الخليج العربي منذ بدايات القرن السادس عشر الميلادي وبالتحديد منذ عام 913هـ / 1507 م، عندما سيطرت على مدن الساحل العماني وجزيرة هرمز، التي جعلت منها قاعدة لعملياتها في منطقة الخليج، والثانية : الدولة العثماني التي سيطرت على بغداد عام 941هـ/ 1534م والبصرة عام 953هـ / 1546م، واستولت على عدن عام 945هـ / 1538م، وبهذا أخذوا يقتربون من الخليج العربي شيئًا فشيئًا.

وفي عام 957هـ / 1550م وصلت أنباء إلى البرتغاليين بأن عرب القطيف ينوون تسليم مدينتهم للعثمانيين[1]، وهذا ما أجبر البرتغاليين على القيام بعمل ما لوقف التغلغل العثماني في المنطقة ومحاولة إخراجهم منها، لذا قرر

نائب الهند العام (الفونسو دي نورنها ALFONSO DE NORONHA) تجهيز حملة قوامها سبع سفن و1200 جندي تحت قيادة آنتاو دي نورنها (ANTAO DE NORONHA) وطلب منه طرد العثمانيين من الخليج.

توجه (نورنها) إلى جزيرة هرمز وطلب من حاكمها توران شاه 3000 رجل للهجوم على القطيف، وأرسل (نورنها) أحد قواده على رأس اثنتي عشرة سفينة وطلب منه فرض حصار على القطيف لمنع وصول إمدادات عثمانية من البصرة، وأخذت السفن البرتغالية تقصف أسوار المدينة، وبعد شهرين خرج (نورنها) بنفسه على رأس حملة كبيرة مكونة من 1200 جندي برتغالي و3000 جندي من جزيرة هرمز ووصل إلى القطيف في أواخر يونيو 1550م، وفرض حصاراً أشد حول القطيف، وبدأت المناوشات بين الطرفين وبعد عدة أيام من القتال لم يجد المدافعون إلا الاستسلام للقوات البرتغالية، فقام (نورنها) بتدمير أسوار المدينة، وبعد هذا الانتصار خشي (نورنها) من قيام تحالف عربي عثماني ضد البرتغاليين في البصرة، فتوجه بقطع من أسطوله البالغ عددها ثماني سفن إلى شط العرب، ولما لم يجد أي قوات هناك، خشي من أن يقطع عليه الأتراك العثمانيون خط الرجعة في حالة قيام تحالف إسلامي ضده، فأبحر عائداً إلى هرمز[٢]، كما يضيف بعضهم (نذكر على سبيل المثال لا الحصر الدكتور محمد مهدي إلهان والدكتور جنكيز أوهنلو وولسون وغيرهم) أنَّ سكان القطيف ضاقوا ذرعاً بالبرتغاليين وتصرفاتهم، مما دفعهم إلى أن يقوموا بحركة عصيان وانتفاضة كبيرة ضدهم، تمكنوا خلالها من طرد البرتغاليين من المدينة، وسلموها بعد ذالك إلى العثمانيين في عام 957هـ / 1550م[٣]. بناء على ما وقع تحت أيدينا من وثائق نعتقد أنَّ المقولة الأخيرة ليست صحيحة، ونرى أن منطقة القطيف قد فتحت عنوة أي بقوة السيف، ولم تدخل سلماً ولم تعلن ولاءها أو خضوعها للسلطان العثماني، وهناك عدة أدلة تؤيد ما توصلنا إليه وهي على النحو التالي:

١ - تشير الوثائق العثمانية - ولا سيما (دفتر الطابو تحرير) الذي بين أيدينا

- إلى عبارة (الفتح) وذالك في العبارة التالية : (... ديو فتحدن صكره بر بدعت احداث أولنوب...) (وبعد الفتح استحدثت ضرائب غير شرعية..)[٤]، وإن استخدام مثل هذا اللفظ ليدل على أن المنطقة قد خضعت بالقوة للحكم العثماني.

٢ - جرت العادة عند العثمانيين أنه إذا خضعت أية منطقة بقوة السلاح فإن السلطان يعين واليًا عثمانيًا على المنطقة المفتوحة، أما إذا دخلت سلمًا تحت النفوذ العثماني، فيقوم السلطان بمكافأة الحاكم المحلي وذالك بتعيينه حاكمًا أو أميرًا على منطقته، والأمثلة والشواهد على ذالك كثيرة ومتعددة مثال ذالك : ما حدث مع الشريف بركات شريف مكة الذي أرسل مفاتيح الحرمين الشريفين مع ابنه أبي نمي إلى السلطان سليم الأول بعد دخوله القاهرة عام 923هـ/ 1517م، فكافأه السلطان بتثبيته في شرافة مكة، وما حدث مع راشد بن مقامس حاكم البصرة الذي أرسل مفاتيح المدينة مع ابنه مانع، فعينه السلطان سليمان القانوني أميرًا على البصرة، ولكن بعدما قام بتمرده المشهور على الدولة أرسل السلطان قواته وتمكنت من السيطرة على البصرة فعين السلطان بلال محمد أول محافظ عليها، وهذا ما حدث مع كل من علي بن عليان حاكم منطقة الأهوار في شمال البصرة، وحاكم البادية محمد بن راشد[٥].

أما فيما يتعلق بالقطيف فإن أول والٍ عثماني عين عليها هو مراد بك وذالك بتاريخ ١٨ ذي القعدة 959هـ/ 6 نوفمبر 1552م[٦]، وتشير الدلائل إلى أنه كان عثمانيًا ولم يكن من السكان المحليين للقطيف، وكان يشغل منصب سنجاق بك (أمير) قبان من ضواحي ولاية البصرة، وأميرًا على القطيف، ثم أسندت إليه مهمة إرجاع بقية أسطول (بيري ريس) وهو الملاح العثماني المشهور إلى ميناء السويس[٧].

وبناء على ذالك يمكننا القول : إن القطيف خضعت قسرًا للحكم العثماني ولكن لا تتوافر لدينا معلومات كافية عن طريقة الفتح وتاريخه، ولكن من الجائز جدًا أن يكون العثمانيون قد تمكنوا من السيطرة على المدينة بعد

طرد البرتغاليين منها وذالك في عام 958هـ/ 1551م، وهو العام الذي قام العثمانيون فيه ببناء قلعة في القطيف[٨]، وبعد عام واحد قاموا بإجراء تعداد السكان، وتحديد موارد المدينة في (دفتر الطابو) الذي بين يدينا.

المعلومات الواردة في طابو تحرير دفتري (دفتر الطابو تحرير) :

يشير الدفتر إلى أنه لم يكن هناك قانون أو دفاتر سابقة لهذا القانون، وبهذا يمكن القول : إنه ربما سارت الدولة على الأعراف السائدة قبل الفتح العثماني في تنظيم أمور منطقة القطيف، وبهذا فإن الدفتر يزودنا بمعلومات عن الفترة العثمانية وما قبلها، وهناك معلومات كثيرة يمكن للباحث أن يستخلصها من دفاتر (الطابو) منها : الحياة الاقتصادية ونظام الضرائب المتبعة في المنطقة، وتعداد السكان وأماكن وجود التجمعات السكانية، والأقليات سواء كانت دينية أم عرقية، وأسماء القبائل والعشائر وأماكن وجودها، وفيما يتعلق بالدفتر رقم 282 يمكننا أن نستخلص المعلومات التالية عن القطيف.

الحياة الاقتصادية : يشير الدفتر فيما يهم الحياة الاقتصادية في ميناء القطيف إلى أنه كان يزخر بمختلف النشاطات الصناعية والزراعية والرعوية والأنشطة البحرية وسنتناول مختلف هذه المجالات، فعلى صعيد الصناعات والحرف يوضح الدفتر دور مدينة القطيف مركزاً لعدة أنواع من الحرف منها الصباغة، وكانت تغزل عدة أنواع من المنسوجات مثل (كرياس[؟] والاجا [؟][٩] ودستار (مناشف) وبز (قماش)، ومن خلال ألقاب الأشخاص الواردة عند تعداد أسماء المواطنين يمكن الاستدلال على بعض الحرف مثل : النجار والقصاب والخياط والعطار وغيرها[١٠].

أما فيما يتعلق بالنشاطات الزراعية فيوضح الدفتر أهم الزراعات التي كانت موجودة في القطيف وقراها، وتنحصر المحاصيل الزراعية في التالي : الشعير (اربه)، والحنطة أو القمح (بغدادي) والأرز (جلتوك، برنج)، والذرة (زرت)، والتمر (خرما)، والقطن (بنبه)، واللوبيا (لوبياج)، ودخن (-MIL

(LET) والفواكه (ميوه). ويلاحظ من الدفتر أن أعلى عائد من هذه المحاصيل يأتي من التمور، انظر شكل (١) لمعرفة مقدار النسبة المحصلة من هذه المحاصيل.

وعن النشاط التجاري يبرز الدفتر أهمية موقع القطيف على الخليج العربي وهذا دفع بعض سكانها للتوجه إلى البحر، سواء للتجارة أم للبحث عن لقمة العيش، ويوضح (قانون نامة) حجم التجارة الواردة للقطيف من موانيء مجاورة مثل البصرة وهرمز وبوشهر والبحرين، أو من موانيء خارجية مثل الهند، ولحسن الحظ فإن الدفتر يوضح قيمة الضرائب أو الجمارك التي تم تحصيلها من السلع التي وصلت إلى ميناء القطيف (بندر قطيف) وبلغت 35.000 (أقجة) أما عن السلع التي وردت بوابات القطيف أو ما نستطيع أن نطلق عليها السلع البرية فقد بلغت 70.440 (أقجة) إلا أن هذا المبلغ ليس دقيقًا لأنه يدخل معه إيرادات (قصاب خانة).

ويذكر الدفتر تجارة اللؤلؤ ومدى اعتماد أهلها على هذه التجارة بحكم الموقع الجغرافي للقطيف على الخليج العربي الذي يحتوي على مغاصات (وتعرف محليًا باسم: هير، والجمع هيرات، وهو مكان تواجد اللؤلؤ) معروفة لدى أهلها، وهناك نوعان من الضرائب المذكورة في الدفتر فهناك الضرائب المفروضة على عمليات البيع والشراء التي تتم في عُرْض البحر، حيث يقومْ تاجر اللؤلؤ (وهو المعروف محليًا باسم: الطواش، والجمع طواويش) بزيارة المغاصات لشراء ما تم العثور عليه من اللؤلؤ من ربابنة السفن (وهو المعروف محلياً باسم: النوخذة، والجمع: نواخذة) أثناء موسم الغوص الذي يمتد أربعة شهور من شهر مايو وحتى سبتمبر[١١]، وبلغ عائد ذالك 2000 أقجة.

وهذه المبالغ تدل على أن القطيف كان مركزًا تجاريًا هامًا في منتصف القرن السادس عشر الميلادي، وهذه التجارة وحجم العائدات ترد على من يدعي أن الخليج العربي فقد أهميته التجارية بعد اكتشاف البرتغاليين لطريق

رأس الرجاء الصالح عام 893هـ / 1488م.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه رغم احتواء الدفتر على معلومات تجارية هامة جداً، إلا أنه تجاهل تماماً تجارة الخيول العربية، حيث كانت مدينة القطيف من أهم مراكز تزويد العالم بالخيول، كما لم يرد اسم (دارين) من ضمن مناطق القطيف علماً أنَ دارين لعبت دوراً كبيراً لكونها مركزاً تجارياً لصيد وتجارة اللؤلؤ في فترات لاحقة.

(للبحث صلة)

شكل (١) إيرادات ميناء القطيف

نوع التجارة	مقدار الضريبة
البضائع	٦٪
الملابس والمنسوجات	٦٪
الحبوب والمحاصيل الزراعية	٦٪
نبات النيلة : حزمة	١٦ أقجة
الدهون والزيوت	------
التمر : ٨ سلات	١٦ أقجة
القطن والنسيج	٢٪ أقجة
رسوم رسو السفن	٣ محمدي
حمل بعير (للتصدير)	٢,٥ عثماني + ٢ منقور
الأسماك الطازجة : منْ	١ منقور

الحواشي :

(١) مجموعة أبو ظبي ANTT,CC 1-85-105

(٢) لمزيد من المعلومات حول هذه الحملة راجع :

Salih Ozbaran, The Ottoman Turks and the Portuguese in the Persian Gulf, Ph. D. Thesis, University of London, October, 1969, pp. 44-47.

(٣) M. Mehdi Ilhan, "The Katif District (Liva) During the First FEw Years of Ottoman Rule : A study of the 1551 Ottoman Cadastral Survey:, T.T.K. Belleten, cilt (Ankara, 1987, pp. 781-104), p. 783.

(٤) طابو تحرير دفتري، رقم ٢٨٢، ص ١٩٢ .

(٥) لمزيد من المعلومات حول خضوع هذه المناطق للنفوذ العثماني انظر :

Faisal Alkanderi, The Ottomans and the Gulf in the Mid-Sixteenth Century, Ph. D. Thesis, University of Manchester, 1992, pp. 97-102.

(٦) TSMA, Koguslar 888, p. 487b.

(٧) لمزيد من المعلومات حول هذه الشخصيات راجع :

Faisal Alknaderi, The Ottomans and the Gulf, pp. 105-112.

(٨) M. Mehid Ilhan, 'The Katif District (Liva)", p. 783.

(٩) كرياس والاجا (؟) : ربما تكون هذه أنواع من الأقمشة التي كانت تستخدم فى صناعة العباءات الرجالية المشهورة محليا باسم : بشت، وهناك أنواع ثقيلة تستخدم للشتاء، وخفيفة للصيف.

(١٠) M. M. Ehdi Ilhan, "The Katif District)Liva)", p. 791.

(١١) من أجل الحصول على معلومات وافية عن الغوص على اللؤلؤ في منطقة الخليج العربي راجع كتاب سيف مرزوق الشملان «تاريخ الغـــــوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العــــــربي، ج١ الكويت (١٩٧٥م) ج٢ الكويت (١٩٧٨م).

نظرات في تحقيق :

كتاب «التحديد في الإتقان والتسديد في صناعة التجويد»

لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ٤٤٤هـ

(١)

يتألم الباحث وهو يتأمل حال تراثنا المسكين الذي عبثت به أيادي الغزاة تهجيراً وسرقة، وفرقت بينه وبين أوطانه وأهليه، وعبثت به عوامل الضياع وآفات الأرضة والرطوبة في دياره لتهاون أهله في حفظه وصيانته، وعبثت به النزوات الشخصية فسجنته في البيوت الخاصة حيث لا اطلاع ولا خبر، وتعبث به بعض الأيادي منشوراً ممزق الأوصال مضطرب المفاصل، إنها معضلة النص، ومأساة تراثنا الحضاري المكتوب.

إن المقبل على التحقيق من غير عدة يسيء إلى تراث أمته إساءة مزدوجة بتشويه تراثها وإهدار وقتها وضياع جهدها، وليس ما يوجب العجلة في التحقيق إلا ما قد يكون من النفع القريب الذي لا يحسب حق الحساب، وأولى بصاحبه أن يتاجر في غير تراث هذه الأمة وفي مجال غير مجالها العلمي والحضاري.

إن تراثنا الغزير الذي نرجو أن يحقق كاملاً يحتاج إلى عشرات السنين إن لم نقل المئات، مع ما يتطلبه ذالك من حرص على الإتقان والإجادة، وأيما عمل أخل بهذا، فإنه يسهم في تعطيل عملية الإخراج السليم وسيرورة الأمة الراشدة ولسنا في حاجة إلى التنبيه على المصادر التي حُقِّقت أكثر من خمس مرات، لا تجد في تحقيق واحد منها مبتغاك! وقد كان يكفي فيها التحقيق العلمي الواحد!.

ولذالك ما أحوجنا إلى حِسْبَة علمية في دور النشر اقتداء بالمحكَّم من المجلات العلمية الجادة، وإحياء لسنة الناشرين الكبار من أمثال محب الدين الخطيب والمشرفين على المطبعة الأميرية ببولاق .

هذه الشجون أثارها النظر في نصوص كثيرة محققة، ومنها النص الذي أريد أن أعلق عليه، وهو نص علمي مفيد في بابه ألفه أحد علماء القراءات الذين لا يشق لهم غبار، الذين اشتهروا بالضبط والإتقان وهو أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (٤٤٤هـ)، حققه الدكتور أحمد عبد التواب الفيومي، وصدر عن مكتبة وهبة في طبعته الأولى سنة ١٩٩٣م، بعنوان «التحديد في الإتقان والتسديد في صناعة التجويد».

كما تقدمت الباحثة مريم الحضري بتحقيق العمل نفسه لنيل درجة الماجستير من جامعة محمد الأول - شعبة الدراسات الإسلامية بوجدة سنة ١٩٩٤-١٩٩٥م وقد كنت ضمن أعضاء لجنة المناقشة، وبعد فترة وقع بيدي عمل الدكتور أحمد عبد التواب ووجدت نفسي مضطراً إلى الموازنة بين العملين، وفوجئت حقًّا بأن عمل الباحثة مريم الحضري أدق وأنضج من عمل الدكتور، وإن لم يخل عملها بدوره من بعض الهنات التي نُبِّه عليها في أثناء المناقشة، فضلاً عن إغفالها لنسخة القاهرة المحفوظة بمكتبة جامعة القاهرة العامة تحت رقم ٢٦٠١٩ والتي تحمل عنوان «التحديد في علم التجويد».

لقد أخل الدكتور أحمد عبد التواب بقواعد التحقيق إخلالاً لافتًا للنظر فجاء نصه مشوهًا مصحّفًا محرّفًا في عدد لا يحصى من المواضع وسأجمل المخالفات فيما يلي :

١ - **عدم الاجتهاد في الحصول على النسخ المختلفة** : على الرغم من اعتماد المحقق على مجموعة من النسخ إلا أنه فاته اعتماد نسخة المغرب المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع تحت رقم ٩٧٥ بعنوان «التحديد لحقيقة الإتقان والتجويد».

٢ - **عدم مقابلة النسخ بالدقة المطلوبة** : تجلى ذالك في إثبات الصواب في الهامش، والخطأ في المتن مما يدل على أن القراءة كانت سريعة تفتقر إلى التأني، فضلاً عن إهمال إثبات نهاية الصفحات المخطوطة بالعلامة المتعارف عليها حيث تنتهي الصفحة مع ذكر الرقم المناسب في السطر نفسه.

٣ - **إهمال تخريج الآيات القرآنية** في كثير من المواضع وإهمال ضبطها، بل لم تسلم الآيات القرآنية من التحريف والتصحيف (كما سيتضح).

٤ - **إهمال تخريج النصوص** التي اعتمدها الداني في كتابه كنصوص «العين» للخليل بن أحمد.

٥ - **إغفال ترجمة الأعلام إغفالاً كليًا** مما أدى إلى إثبات الأسماء مضطربة محرفة، فالحسن يصير حسينا والعكس وسعير يصير سعيداً، ومجاهد يصير مجامد، والقرشي يصير تجريشيًا، والعلم الواحد يصير علمين بإقحام واو العطف بين جزأيه والعكس!!.

٦ - **إهمال الفهارس الضرورية للعمل**: كغياب فهرس الأحاديث النبوية والآثار وما أكثرها، وغياب فهرس المصطلحات، وغياب فهرس الأعلام، وغياب فهرس الكتب الواردة في المتن، مع اضطراب في ترتيب الفهارس، حيث قدم فهرس المصادر والمراجع على فهرس الآيات القرآنية مثلاً.

٧ - **عدم مراجعة العمل بعد طبعه** لتصحيح ما يُتذرع به عادة من الأخطاء المطبعية، وهذا التفريط الواضح في إهمال أهم قواعد التحقيق جعل النص يخرج في صورة رديئة، إذ تكاد كثير من فقراته لا تُفهم بسبب سوء تنظيمها وما اعتراها من اضطراب وتحريف.

هذا وقد سجلتُ عدداً هائلاً من الملاحظات والأخطاء النحوية والإملائية والتركيبية وعدداً هائلاً من التحريفات، في الآيات والأحاديث والمصطلحات والأعلام، تجاوز المئة والستين حالة! وما أظن أن الداني رحمه الله كان سيرضى عما فُعل بنصه.

وسأجعل هذه الملاحظات تبعًا لتسلسل أرقام الصفحات طلبًا لتيسير عملية القراءة والتصحيح وتتبع مواطن الخطأ، متجاوزًا عن الأخطاء التي لا تؤثر في المعنى مما أعده من قبيل اللمم، كالتبادل الحاصل بين حروف المضارعة والأخطاء التي يمكن ردها إلى الطباعة، وإهمال ألف (ابن) في بداية السطر، وتكرار الكلمات.

وهذا مجمل ما تحصل لدي من الملاحظات :

ص ١٦٥ : وهي توافق أول صفحة في النص المحقق : سطر ٣ : ذي العز الغالب والدين **الواجب**. وصوابه : ذي العز الغالب والدين **الواصب**.

سطر ٩ : ما ندب الله تعالى وحث بنبيه. وصوابه : ما ندب الله تعالى **إليه** وحث بنبيه.

سطر ١١ : في رسم كتاب خفيف المَحَلّ. وصوابه : في رسم كتاب خفيف المَحْمَلِ.

سطر ١١ : في **وصف** علم الإتقان . وصوابه : في **وضع** علم الاتقان.

سطر ١٣ : عن الأئمة السلف. وصوابه عن الأئمة **من** السلف.

سطر ١٤ : وبالغت في إيضاحه **عنايتي**. وصوابه : وبالغت في إيضاحه **غايتي**.

ص ١٦٦ : سطر ١ : –وشاهدناه من الفقهاء عن **علمائه**. وصوابه : وشاهدناه من الفقهاء عن **الأئمة** .

سطر ٦ : وهو الغبي **الفهمة**. وصوابه وهو الغبي **السفيه**.

ص ١٦٧ : – فللدراية ضبطها **ونظمها** وللرواية نقلها وتعلمها. وصوابه : فللدراية ضبطها **وتفهمها**، وللرواية نقلها وتعلمها.

ص ١٧٠ : سطر ٢ : – والعرب تقول **نقراً رَتَلَ** إذا كان **متفرقًا**. وصوابه : والعرب تقول **ثَغْرٌ** رَتَلٌ إذا كان **مفرقًا**.

سطر ٣ : – لأن الترتيل يكون **بالهمزة**. وصوابه : لأن الترتيل يكون **بالهمز**.

ص ١٧٢ : سطر ٥ : – أي علىَ **الترتيل**. أي على ترسُّلٍ.

ص ١٧٣ : سطر ٤ : – واختلاس **حرف** متحرك. وصوابه : واختلاسُ **حركة** متحرك (لأن الحرف لا يختلس).

سطر ١٤ : – وذالك بعد معرفته بالهمز من غير **لكن**. وصوابه : وذالك بعد معرفته بالهمز من غير **لَكْزٍ**.

ص ١٧٥ : سطر ١ : – فهذا معنى التجويد وحقيقة **الرتيل**. وصوابه : فهذا معنى التجويد وحقيقة **الترتيل**.

سطر ٧ : – حدثنا ملك بن **سعيد**. وصوابه : وهو مالك بن **سُعَيرٍ**.

سطر ١١ : - حدثنا علي بن عبد **الملك**. وصوابه : حدثنا علي بن عبد **العزيز**.
سطر ١٧٦ : سطر ١ : حدثنا **علي** بن الحسين. وصوابه : حدثنا **محمد** بن الحسين.
سطر ٢ : - حدثنا **سفين** عن عبيد المكتب عن **مجامد**. وصوابه : حدثنا **سفيان** عن عبيد المكتب عن **مجاهد**.
سطر ٧ : عن أبيه عن أبي لهيعة عن **ابن أبي** الأسود **التجريشي**. وصوابه : عن ابن لهيعة عن **أبي** الأسود **القرشي**.
سطر ١٠ : حدثنا خلف **المكي** حدثنا **علي بن** مسرور. وصوابه حدثنا خلف **المالكي** حدثنا **عبد الله** مسرور.
سطر ١٠ : حدثنا أحمد بن **علي بن** أبي **سليمي** عن **ميمون**. وصوابه حدثنا أحمد بن أبي **سليمان** عن **سحنون**.
ص ١٧٧ : سطر ١ : حدثنا **علي بن أبي** عبيد ... وصوابه : حدثنا **أبو عبيد**...
سطر ٥ : حدثنا أحمد بن محمد **وعبيد** بن محمد. وصوابه : حدثنا أحمد بن محمد **وعبد الله** بن محمد.
سطر ٩ : - فقالوا : **إنها أخبرتنا** : فقرأت. وصوابه : فقالوا : **لها أخبرينا** : فقرأت.
سطر ١٠ : عن **أبي** القشيري. وصوابه : عن **ابن عفاف** القشيري.
ص ١٧٨ : سطر٣ : - فلم **أزيد**. وصوابه فلم **أزد**.
سطر ٦ : عن علقمة الأسود. وصوابه عن علقمة **بن** الأسود.
سطر ١٠ : حدثنا جرير بن مغيرة. حدثنا جريرة **عن** مغيرة.
ص ١٧٩ : سطر ٢ : حدثنا أحمد **بن يحيى**. وصوابه : حدثنا أحمد **بن يزيد**.
سطر ٣ : - عن عبد الله بن **عمر**. وصوابه : عبد الله بن **عمرو**.
سطر ٥ : فإن **منزلك** عند آخر آية. وصوابه : فإن **منزلتك** عند آخر آية.
سطر ١٣ : إذ فيها كفاية **ومنتفع**. وصوابه إذ فيها كفاية **ومقنع**.
ص ١٨١ : سطر ١ : حدثنا **الحسين** بن أبي **الحسين** العسكري. وصوابه : حدثنا **الحسن** بن أبي **الحسن** العسكري.

سطر ٢ : حدثنا أبو **محمد الحسين** بن عمير . وصوابه : حدثنا أبو **أحمد حدثنا الحسن** بن عمير .

سطر ٨ : وأخبره أنه قرأه على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وصوابه : وأخبرني أبي أنه قرأ على رسول الله .

سطر ١١ : وهذا الخبر الوارد ... لا توجد **رواية** إلا عند المكثرين. وصوابه : وهذا الخبر الوارد .. لا توجد **روايته** إلا عند المكثرين .

ص ١٨٢ : سطر ٩ : **وإيفائها** على صيغتها : وصوابه : **وإيتائها** على صيغتها .

سطر ١١ : على مقدار الصيغة وطبع **الخلف** . وصوابه : على مقدار الصيغة وطبع الخلقة .

سطر ١٣ : حدثني أحمد بن إسحاق **بن أحمد** بن إبراهيم المروزي. وصوابه : حدثني أحمد بن إسحاق بن إبراهيم المروزي .

سطر ١٥ : عن عمر بن عمران **العدوي** حدثنا **اباهيم**. وصوابه عن عمر بن عمران **العدري** حدثنا **إبراهيم** .

ص ١٨٣ : سطر ١ : معنى ذهب **أبوك** في قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . وصوابه : معنى ذهب **أبو بكر** .

سطر ٢ : – فقال : ليقرأ عليّ **فأخذوا** ألفاظه . وصوابه : ليقرأ عليّ **فآخذ** ألفاظه .

ص ١٨٤ : سطر ٣ : حدثنا قاسم بن **أصبع**. وصوابه : حدثنا قاسم بن **أصبغ** .

سطر ٤ : حدثنا هشام. وصوابه : حدثنا هُشيم .

سطر ٦ : ليسجننه **حتى** حين . وصوابه : ليسجننه **عتى** حين .

سطر ٧ : بلفظ **عتي** حين . وصوابه بلفظ **عتّى** حين .

سطر ١٠ : فإذا جاءك كتابي هذا فاقرأ الناسَ .. وصوابه : فإذا جاءك كتابي هذا فاقرئ الناس .

سطر ١٣ : أن يأخذ من **يقرأه**. وصوابه : أن يأخذ من **يقرئه** .

سطر ١٤ : الحروف المتشابهة في المخرج. وصوابه : الحروف المتشابهة في اللفظ المتقاربة في المخرج .

ص ١٨٥ : سطر ١٣ : حدثنا أبو عبيد **نعيم** بن حماد. وصوابه : حدثنا أبو عبيد **حدثنا نعيم** بن حماد.
ص ١٨٦ : سطر ١ : سمعت **شيخنا** يُكْنَى أبا محمد. وصوابه : سمعت **شيخًا**
سطر ١٥ : - إن الرجل يقرأ القرآن فما يلحن حرفًا. وصوابه : إن الرجل ليقرأ..
ص ١٨٧ : سطر ١٠ : وأخبرت عن محمد بن الحسين أيضًا **حدثنا** علي..
وصوابه : وأخبرت عن محمد بن الحسين أيضًا **قال : حدثنا** علي..
سطر ١٤ : حدثنا الحسين **بن مهران** الجمال.. وصوابه : حدثنا الحسن **بن أبي مهران** الجمال.
ص ١٨٨ : سطر ٢ : ولم **توفي** الحروف حقها. وصوابه : ولم **توف** الحروف..
سطر ٤ : على **التوكيد على** التجويد. وصوابه : على **توكيد علم** التجويد.
ص ١٨٩ : سطر ١ : حدثنا بن مجاهد حدثنا **الحسين بن** أبي مهران.
وصوابه : حدثنا **ابن** مجاهد حدثنا **الحسن** بن أبي مهران.
سطر ٣ : - ويحقق القراءة ولا **يشد** ويقرب. وصوابه : ويحقق القراءة ولا **يشدد** ويقرب.
ص ١٩٠ : سطر٢ : حدثنا محمد بن **هشام**. وصوابه : حدثنا محمد بن **بسام**.
سطر ٤ : حدثنا **أبو جعفر** بن محمد. وصوابه : حدثنا **جعفر** بن محمد.
ص ١٩١ : سطر ٢ : أخبرني إبراهيم **بن الأزرق**... وصوابه : أخبرني **إسحاق الأزرق**.
سطر ٥ : حدثنا عبد الله بن **الحسين** : وصوابه : حدثنا عبد الله بن **أحمد**.
ص ١٩٢ : سطر٤ : كانوا يهمزون **ويشقلون**. وصوابه : كانوا يهمزون **وينقلون** (أي ينقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها).
ص ١٩٣ : سطر ٢ : - فأما ما يذهب إليه بعض أهل **العبارة**.. من الإفراط في التمطيط والتعسف.. وصوابه : فأما ما يذهب إليه بعض أهل **الغباوة**..
ص ١٩٤ : سطر ١٠ : حدثنا محمد بن يحيى **النشابوري**. وصوابه : حدثنا

محمد بن يحيى **النيسابوري**.

ص ١٩٥ : سطر ٢ : حدثنا **عمر بن علي**. وصوابه : حدثنا **محمد بن علي**.

سطر ٣ : حدثني علي بن **الحسين**. وصوابه : حدثني علي بن **الحسن**.

سطر ٩ : وكان حمزة يكره هذا **وينهي** عنه. وصوابه : وكان حمزة يكره هذا **وينهى** عنه.

ص ١٩٥ : سطر ٢ : حدثنا أبو **عَمْرو**. وصوابه : حدثنا أبو **عُمَر**.

سطر ١٠ - لترتاض به ألسنة المبتدئين وتتحكم **فيهم** طباع **المعلمين**. وصوابه : لترتاض به ألسنة المبتدئين وتتحكم **فيه** طباع **المتعلمين**. (فيه) تناسب (به). والصواب في الهامش ص ١٩٦.

ص ١٩٧ : سطر ٥ : - وقف حمزة على الساكن قبل **الهمز**. وصوابه : وقف حمزة على الساكن قبل **الهمزة**.

ص ١٩٨ : سطر ١٠ : حدثنا أبو بكر **الآدمي**. وصوابه : حدثنا أبو بكر **الأدمي**.

ص ١٩٩ : سطر ١ : محمد بن **إشتة**. وصوابه : محمد بن **أشته**.

سطر ٢ : - عن إبراهيم **بن الحسين** النقاش. وصوابه : عن إبراهيم بن **الحسن**..

ص ٢٠٠ : سطر ١ : وهذا كلام ممن أيَد **وَوَقفَ ونُصرَ** وفهِمَ. وصوابه : وهذا كلام ممن **أيِّد ووُفِّق وبُصِّرَ** وفُهِّمَ.

سطر٨ : حدثنا أبو محمد سليمان **بن أبي الوليد** الإمام. وصوابه : حدثنا أبو محمد سليمان **بن الوليد** الإمام.

سطر ١٣ : والذي **أقرأه** وأقرِئُ به. وصوابه : والذي **أقْرَؤُه** وأقْرِئُ به.

سطر ١٦ : كان أبو عمرو **يسهل** القراءة غير متكلف يؤثر التخفيف. وصوابه: كان أبو عمرو **سَهْلَ**..

(للبحث صلة)

كلية الآداب (جامعة محمد الأول) وجدة : د. رشيد بلحبيب.

«من اسمه عمرو من الشعراء»

بين نشرتين

(٢)

ثالثاً : الفهارس : خدم د. عبد العزيز المانع الكتاب بصنعه ستة فهارس متنوعة، شملت الصفحات ٢٣٥-٢٩٤، وهي خاصة بالشعراء العَمْرين حسب الترتيب الأبجدي (كذا)، والأعلام والأمم والقبائل والطوائف والأماكن والأيام، والبلدان والقوافي، والمصادر والمراجع.

ويلاحظ على فهرس الأعلام : ما جاء ص ٢٤٤ : (إبراهيم المهدي، انظر المهدي)، والصواب : (إبراهيم بن المهدي : ٢٣١). ويحذف : المهدي فالاثنان مختلفان. وسقط : (الخريمي ٢٣٢)، ووجوب حذف السطر ٢٢ الوارد ص ٢٥٦. أما المهدي، فقد ورد رقم الصحيفة : ١٠٧، والصواب ١٧٠، مع حذف الرقم ٢٣١. وبخصوص فهرس المصادر والمراجع، فيلاحظ أنه بُني على أساس اسم المؤلف، مع سنة وفاته ثم اسم الكتاب، وهنا رجع المحقق إلى ١٤٥ كتاباً..

ويلاحظ : ١ - سقط : (الأخفش الأصغر، علي بن سليمان (ت ٣٥١هـ). الذي يجب أن يُذكر قبل : كتاب «الاختيارين».

٢ - رجع إلى طبعة مختار الدين أحمد لكتاب «الحماسة البصرية»، والصحيح الرجوع إلى تحقيق د. عادل سليمان جمال، القاهرة، كما أنه رجع إلى طبعة محمد مرسي الخولي لكتاب «البرصان والعرجان» للجاحظ، والصحيح الرجوع إلى طبعة المرحوم عبد السلام هارون، بغداد، ١٩٨٢م.

٣ - وردت سنة وفاة ابن الجوزي، ص ٢٨١، ٥٩٨هـ، والصحيح : ٥٩٧هـ، ووردت ص ٢٩٣ سنة وفاة ابن النديم : ٤٣٨هـ. والراجح ٣٨٥هـ.

٤ - ورد ص ٢٨٢ و ٢٨٣ : محمد علي البجاوي، والصواب علي محمد البجاوي.

٥ - رجع إلى الطبعة الأولى من شعر ربيعة الرقّي، والمفضّل : الطبعة الثانية،

بيروت، دار الأندلس، ١٩٨٤م فضلاً عن رجوعه إلى ديوان عمرو بن قميئة، بتحقيق حسن كامل الصيرفي، والمفضّل أن يرجع إلى تحقيق المرحوم خليل العطية، بغداد، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م. ورجع إلى الطبعة الأولى من: «التذكرة السعدية» للعبيدي، والمفضّل: الطبعة الثانية، ليبيا، ١٩٨١م.

أما النشرة البغدادية، فكانت فقيرة، إذ اكتفت بقائمة المصادر، وقائمة الشعراء العَمْرين.

فأما (المصادر) فهي مرقمة، وتنتهي بالرقم ١٢١، ولكن هذا ليس رقماً نهائياً، إذ حدث سهو بعدم ترقيم: (رسائل الجاحظ)، إضافة إلى أنني وجدت (١٣) كتاباً في حواشي التحقيق، لم تثبت هنا، وهي: أسد الغابة، أشعار الخليع، تاج العروس، تأريخ الطبري، تهذيب التهذيب، الحماسة البصرية، الحيوان، شعر ربيعة الرقي، العمدة، الكامل لابن الأثير، المنمّق، الفاخر، معجم الأدباء، فيكون المجموع ١٣ كتاباً. وهو رقم يقل عن قائمة د. المانع. ورجع محققا النشرة إلى عدد من الطبعات غير العلمية، أو المفضولة مع وجود طبعات أفضل، منها: الأنوار للشمشاطي وخزانة الأدب للبغدادي والتعليقات والنوادر للهجري بتحقيق د. حمود عبد الأمير، وشرح التبريزي للحماسة، وطبقات فحول الشعراء، ط ليدن - مع أنها لا تحمل اسم (فحول)! وطبعة ١٩٥٢ بتحقيق الشيخ محمود محمد شاكر، الذي لم يعترف بها، ونص على ذالك، والصواب طبعة ١٩٧٤م، والنوادر في اللغة تحقيق الشرتوني، على الرغم من وجود طبعة د. محمد عبد القادر أحمد، بيروت، ١٩٨١م!. وذكرا: نور القبس للمزرباني. والصحيح: نور القبس لليغموري! أما المرزباني فان اسم كتابه "المقتبس".

رابعاً: الأخطاء المطبعية: تفشت الأخطاء المطبعية (التطبيع) في النشرة العراقية بشكل ملحوظ ومؤلم، ومنها:

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٧	١٠	بنشرهما	ينشرِهما
٢٨	(هامش ٣)	تمامة	تمامهُ
٣٥	١٢	جرّول	جرْول
٥٢	١٠	الحنّ	الجِنْ
٨٢	١١	أيو	أبو
٨٥	(هامش ١٧)	المحتر	المحبَّر
٨٦	١	خجر	حجر
٩٢	١٣	فادفنَيَ	فآدفِّني
٩٥	٤	يقوا	يقول
٨٧	١٥	شهر	شهد
١٠٧	ما قبل الأخير	فطيفة	قطيفة
١١٣	ما قبل الأخير	النمام	النحام
١١٧	١	مسكيراً	سكّيراً
١٢٢	٣ (الهامش)	الجوارح	الخوارج
١٢٣	الهامش	للمرزوق	للمرزوقي
١٢٨	٥	مسعد	مسعدة
١٢٨	٧	محمد	محمده
١٣٠	١٥	مولي	مولى
١٣١	هامش	البرهان	البرصان
١٣٣	البيت الأخير	ما لام وقاق	حا ، لامٌ وقاف
١٣٨	هامش	خليقاً	خليعاً
١٤٣	١٤	هلى	على
١٥٩		فياض	غياض

أما طبعة د. المانع فقد ندرت من التطبيع ومنها : ص ٧١- السطر ٧ : حدتني، وصحيحه : حدثني، وأورد في هامش ١٢٢ : المستعز، وصوابه : المستوعِز، وسقوط الألف من : الأصبهاني، ص ٢٧٨.

خامساً : فائت التحقيق :

على الرغم من الجهد الكبير والواضح الذي بذله محققا النشرتين، فقد رأيت من المفيد أن ألقي دلوي في الدلاء، وأثبت - هنا بعض ما فاتهم :

١ - الترجمة الأولى : ورد فيها شعر لمطرود بن كعب الخزاعي، وكان من المفضل الإشارة - أو الرجوع - إلى شعره الذي جمعه محمد نايف الدليمي، بمجلة «البلاغ»، بغداد، العددان ١-٢، ١٩٧٧م، السنة السابعة، ص ١١-١٩.

٢- عمرو بن الحارث بن الشريد السلمي (رقم ٢٩). أقول : جمع شعره د. عبد [رب] الحسين حداد كنيهل، ضمن رسالته : (شعر سليم في عصر ما قبل الإسلام، وجمع ما لم يجمع من شعر شعرائها)، جامعة بغداد، ١٩٨٩م، ص ٢٠٣-٢٠٨.

٣ - بيتا عمرو بن خالد بن الشريد السلمي (رقم ٣٠)، ورد البيتان في «الأنوار ومحاسن الأشعار» (ط. بغداد ٦٣).

٤ - عمرو بن حرملة (المرقش الأصغر) (رقم ٣٧). جمع شعره د. نوري القيسي، مجلة كلية الآداب / بغداد، العدد ١٣، ١٩٧٠م، مع العلم أن البيت الأخير أخل به عمل د. القيسي.

٥ - عمرو بن لأي بن موألة (رقم ٤٥). أقول : جمع د. حميد آدم ثويني شعره، ضمن : (شعر بكر بن وائل قبل الإسلام، وجمع ما لم يجمع من شعر شعرائها)، جامعة بغداد، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص ٥٢٦-٥٣٣.

٦ - عمرو بن كلثوم التغلبي (رقم ٥٢). أقول : ينظر ديوانه بتحقيق أيمن محمد ميدان، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ١٩٩١م.

٧ - عمرو بن حُنيّ التغلبي (رقم ٥٤). أقول : جمع شعره أيمن محمد ميدان، ضمن : (شعر تغلب في الجاهلية)، معهد المخطوطات العربية، القاهرة،

١٩٩٥م، ص ١٤٢-١٥٥ . ورواية صدر الأخير فيه : أنِفْتُ لهم من عقل قيس ابن مرثدٍ.

٨ - عمرو بن الإطنابة (رقم ٧٥) : أقول : جمع شعره حميد آدم ثويني، مجلة «المورد»، مج ١٤، العدد ٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ص ٨١-١٠٤.

٩ - عمرو بن براقة الهمداني (رقم ٨٨) . أقول : جمع شعره د. حميد آدم ثويني، بغداد، ١٩٩٥م، مخطوط[1] مع العلم أن قصيدته الميمية نشرها د. يحيى الجبوري في مجلة «المورد»، مج٩، العدد الأول ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ص ١٥٨، ضمن : «قصائد جاهلية نادرة من كتاب منتهى الطلب» لابن ميمون، وأعاد نشر ذالك في بيروت، مؤسسة الرسالة ١٩٨٢م - ١٤٠٢هـ، ثم ١٩٨٨م.

١٠ - عمرو الرحال بن النعمان (رقم ١٣٧) . البيتان الأخيران له نُسبا إلى المثنى بن حارثة بن سلمة في : «الإصابة» ٦ / ٤١.

١١ - عمرو بن شقيق (رقم ١٣٨) له ترجمة في : «جمهرة نسب قريش وأخبارها» للزبير بن بكّار ٩٨٥.

١٢ - عمرو بن أبي بكر العدوي (رقم ١٨٨ - المانع / ١٨٧ البغدادية)، أقول : ورد اسمه في «الأغاني» ١١ / ٣١٨ : محمد بن عبد الله الخلنجي، وفي «رحلة ابن معصوم المدني»، («المورد» ١ : ١٩٨٠م، ص ٢٥٢) . عبد الله بن محمد ابن أخت علوية المغني، عن : «تمام المتون» للصفدي ٢٢٦، وينظر : «كفاية الطالب». ٤٨.

١٣ - عمرو بن عبد الملك الوراق (رقم ١٩٨ المانع، ١٩٧ البغدادية) . أقول : جمع شعره ودرسه د. محسن غياض، ضمن : الكتاب التكريمي للأستاذ هلال ناجي، بيروت، ٢٠٠٠م.

١٤ - عمرو بن حويّ السكسكي (رقم ٢٠١ المانع - ٢٠٠ البغدادية) . أقول : له شعر في : «الإبانة عن سرقات المتنبي» (دار المعارف، ١٩٦١م) ص ٣٤، ١٠٢، ١٦١.

١٥- ورد في ترجمة عمرو بن هوبر الكلبي (رقم ٢٠٥ المانع / ٢٠٤ البغدادية) قول المؤلف: (وهذان البيتان الأخيران من قصيدة إبراهيم بن المهدي التي يمدح بها المعتصم). أقول: كان من الواجب الرجوع إلى كتاب: إبراهيم بن المهدي، الخليفة المغني، تأليف بدري محمد فهد، بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٦٧م، وينظر: «شعراء وأدباء العصر العباسي»: عبد الرزاق البدري، بغداد، ١٩٨٦م، ص ٧٠-٨٢.

١٦- ورد في طبعة د. المانع، ص١١٩، في ترجمة: عمرو بن يثربي الضبي، تعليقه في الحاشية: (ولم ترد ترجمة عمرو بن يثربي في "معجم الشعراء"، وربما كانت في القسم الضائع منه).

أقول: لم يصل إلينا: «معجم الشعراء» للمرزباني كاملاً، وانتشرت منه نقولٌ في بعض المظانّ، كالإصابة. فقام د. إبراهيم السامرائي بجمعها في كتاب: «من الضائع من معجم الشعراء للمرزباني»، وصدر ببيروت، مؤسسة الرسالة ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، وترجمة الشاعر واردة في هذا الكتاب ص ١٠٥، وتصحف فيه إلى شزبي)، ولم ينتبه إلى ذالك د. السامرائي[٢]!

وتنظر أيضاً ص ١٣١ - الهامش (٢) و(٣) وص ١٣٥، .. من طبعة د. المانع، أما النشرة البغدادية فلم تُشر إلى هذا الأمر مطلقاً.

١٧- كان ابن الجراح قد نقل (١٤) نصًّا من كتاب «طبقات الشعراء» لدعبل الخزاعي، وهو أمر أشار إليه المحققان العراقيان في مقدمتهما (ص ١٩)، وذكر أن د. محمد جبار المعيبد قد نشر نصوصاً منه في مجلة «المورد» ٢ / ١٩٧٧.

أقول: لم يطلع المرحوم المعيبد على كتاب ابن الجراح هذا، فالأخبار الواردة في الصفحات ١١١، ١٣٥، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ٢٠٤ لم ترد في عمله ذاك، وتشمل الشعراء: عمرو بن العاص، عمرو الرحال، عمرو بن عامر الحارثي، عمرو بن قراد، عمرو بن يزيد بن هلال، عمرو بن دويرة البجلي، عمرو بن أبي بكر العدوي.

ولم يشر د. المانع إلى كتاب دعبل على الاطلاق في هوامشه، وإن كان الشيخ

الجاسر قد أشار إليه في مقدمته.

١٨ - لم يُنبه محققا النشرتين القاهرية والبغدادية إلى أن ابن الجراح قد نقل من كتاب لأبي هفّان، عبد الله بن أحمد المهزمي، (ت ٢٥٧هـ)، اسمه: «الأربعة في أخبار الشعراء»، وهو مفقود، وقد جمع الأستاذ هلال ناجي نصوصاً منه، ونشره في مجلة «المورد» مج٨، العدد٣، ١٩٧٩م، ص ١٩١ - ٢٥٠. والنص الوارد في ص ٢٠٢ ترجمة عمرو بن نصر القصافي (ص ٢٠٢ المانع / ١٢٦ البغدادية) ورد في «المورد» ص ٢١٩ - ٢٢٠، أما النص الوارد في ترجمة عمرو ابن هوبر الكلبي (ص ٢٣١) فقد أخلّ به عمل الأستاذ هلال ناجي.

١٩ - ورد ص ٧٠ المانع - ٦٤ البغدادية، قول معقّر بن حمار البارقي:

لها ناهضٌ في الوكر قد مَهّدتْ له ... كما مَهّدَتْ للبعل حسناءُ عاقرُ

وقد ورد خطأ في البغدادية: لنا. والبيت مع آخر قبله يُنسب إلى دريد بن الصمة الجشمي، في ديوانه ١٩٤ (تحقيق د. عمر عبد [رب] الرسول)، وص ١١٧ (تحقيق محمد خير البقاعي)، ونُسب في: «العقد الفريد» ٢ / ٣٥٨ إلى لوعلة الجرمي، والأول لسحيم عبد بني الحسحاس، في ديوانه ٣٩.

وبعد: فان للنشرتين القاهرية والبغدادية محاسن وهنات، على أن النشرة القاهرية بتحقيق د. عبد العزيز المانع تفوق النشرة البغدادية من حيث الهوامش العلمية والتخريجات، والطباعة والإخراج والفهارس العامة، والجهد المنفرد الذي قام به محققها، فهي النشرة العلمية للنص، ويبقى للمحققين العراقيين جهدهما الذي لا ينكر، وفضلهما الكبير.

والحمد لله رب العالمين،،

بابل - الحلة : عباس بن هاني الجراح

الحواشي :

(١) يُنظر: «نشر الشعر وتحقيقه في العراق»: د. علي جواد الطاهر وعباس هاني الجراح، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٢) نشر الشيخ حمد الجاسر ملاحظات على هذا الكتاب في مجلة «العرب»، ج١-٢، س٢٤، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، ص ١١٣-١١٧. وتجمعت لدينا نظرات واستدراكات مطولة.

ديوان العرب

مجامع أهل الضاد تندب شيخها

حبيب شماريخ الجبال أمينها ... على سرها يبكيك سارٍ وساربُ

وتبكيك روضات (الخُزامى) حبيبنا ... ويبكي عرار في العشيّات هاضب

وتبكي (بُرود السرّ) أهلاً وجيرة ... ويبكي نديٌّ للنهي وعصائبُ

مجامعُ أهل الضاد تندب شيخها ... وعرّاب ناديها، ويبكيك صاحب

أباهم، إلى أين الرحيل وجمعُهم ... على موعد للحب أنك آيب

وأن لهم فيك القلوب حفيّة ... وعينٌ ترى أن الهوى فيك غالب

سهرت على التاريخ أرضًا وأمة ... تمحّصُ أخبارًا ورأيك ثاقب

وفي كل شبر في الجزيرة تلتقي ... بك الذكريات البيض تُحدى النجائب

تعهدت من آياتها ورسومها ... مرابع للآثار فيها ملاعب

أبا هذه الآثار، أنت حبيبها ... نداماك : أسفار وراوٍ وكاتب

سقيت وأنهلت العقول ولم تزل ... مناهل، يستسقي نديك شارب

أقمت بنا عمرًا حفرت سنينه ... بأحداقنا، واستبطنتك الترائب

حياتُك سِفرٌ، لا يغيض مَعينه ... ولا تنقضي في محتواه العجائب

وأخراك - لا تثريب - في الله ملقيًا ... رجاءً إلى من ليس يحفيه طالب

ألم تكن المأمون علمًا وحجة ... ترد ضلالات، فيخنس كاذب

وبَرًّا، حفيًّا، ما تلبّستَ ريبة ... وما اختَلَفت في الصدق فيك المشارب

وما استَبْضعَتْك المغريات حياتَكم ... ولا لانَ عزم طاولته المصاعب

أبا كلّ من قد جمّل العلمُ سعيه، ... بسعيك تُجنى في العلوم الأطايب

وداعُك قد ألقى على القلب وحشة ... وفزّع أحبابًا على البعد نادب

عليك استجاشت في النفوس مشاعرٌ ... وفاضت بدمع للهوى فيك غالب

عليك - حبيب الناس - قام مُسلِّمًا ... ومستعتبًا قلبٌ .. بحبك دائب

إليك التحيات التي أنت أهلها ... وترعاك في أخراك حور كواعب

أحمد الصالح (مسافر)

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم :

العمامرة في العمارية من الفضول من بني لأم

اطلعت على كتاب العلامة الشيخ **حمد الجاسر رحمه الله** في كتابه الموسوم بـ **«جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد»** في القسم الثاني منه **ص (٥٧٤)** في كلام المصنف على **(أسرة العمامرة)** ورأيته رحمه الله قد نقل عن ثنيان بن فهد بن ثنيان على غير صواب، وقبل أن أخوض في التعقيب أقدم هذه التعرفة فأقول : **إن مبارك بن فهد بن سعود بن حمدان** الملقب بالعماري من أهالي العمارية إذ أنها بلدته ومنشؤه وهم من **(آل يحيى)** من **(آل أبو رماح)** من **(آل غزي)** من **(الفضول)** من **(بني لأم)** من **(طي)** ومن ذرية سعود المذكور تفرع **عبد الرحمن بن سعود بن حمدان** وهذا الفرع هو الملقب **(بآل دحيم)** فحسب دون ذرية **(مبارك بن فهد)** المذكور فإنهم يلقبون بالعماري فإذا تبين ذالك فأقول : إن المصنف قال : كان **(مبارك بن حمدان)** قد انتقل إلى ضرما وزرع هناك فلقب بالعماري نسبة للعمارية بلدته فهذا المذكور حق صحيح فهو زرع في ضرما وهو مقيم في بلدته العمارية ولكن الوهم عندما نقل المصنف رحمه الله عن ثنيان بن فهد بن ثنيان، فثنيان وَهِمَ في إدلائه حيث قال : إن أسرة **(آل حمدان)** تعرف الآن **(بآل دحيم)** وهذا عرف زيفه وأن لقب **(آل دحيم)** ينحصر في ذرية **عبد الرحمن بن سعود بن حمدان** وما نقله **ثنيان** من الوهم ينفيه ذرية من قدمنا من ذرية **فهد بن سعود بن حمدان** وذرية **عبد الرحمن بن سعود بن حمدان**.

الرياض : ناصر بن سعد بن ناصر العماري

آل عيسى في ثادق من البدارين من الدواسر

يسرني أن أكتب لكم بعض التصويبات والإضافات على ما نشر عن آل عيسى البدارين الدواسر أهل ثادق في المقال المنشور في مجلة «العرب» س ٣١ ص ٤١٨ آملاً منكم نشرها وهي كما يلي :

١-لم يرد ذكر آل حميدان من أهل الزلفي وهم من آل عيسى جدهم عثمان بن حميدان (١١٨٠هـ) الذي نزح من ثادق في أواخر القرن الثاني عشر الهجري، وهم أبناء عمومة لآل حميدان الموجودين في ثادق جدهم أحمد بن عيسى الملقب بحميدان، ومن آل حميدان أهل الزلفي الشيخ أحمد بن علي الحميدان كان قاضي ثادق والمحمل خلال الفترة (١٣٧٨ - ١٣٨٦هـ) ثم انتقل للقضاء في بلدة نفي.

٢- لم يرد ذكر آل عامر في الغاط وهم ذرية يحيى بن عامر أما أخوه محمد بن عامر فقد نزح إلى الزبير في أواسط القرن الثالث عشر الهجري ولهما عقب يعرفون بالعامر في الغاط والزبير.

٣- لم يرد ذكر آل يحيى بن فارس في الغاط وهم من آل عيسى.

٤- لم يرد ذكر أسرة الصقر وهم ذرية عبد العزيز بن ناصر بن عبد الله بن ناصر، وناصر الأخير ذريته يعرفون بآل ناصر وهم الجرباء والصقر والناصر.

٥- لم يرد ذكر أسرة القريني في ثادق حيث لا يزال بعضهم يحمل هذا اللقب وهم من العلي من العيسى.

٦- ورد في ذكر عبد العزيز بن ناصر بن عبد العزيز بن ناصر أمير بيرق المحمل في فتح الحجاز الذي قتل أثناء حصار جدة بأنه من العبد العزيز والصحيح أنه من الناصر من العلي من العيسى.

٧- تم تحديد فترة إمارة علي بن عبد الله بن علي من عام ١٣٢٢ إلى عام ١٣٢٩هـ والصحيح أنه استمر في الإمارة إلى عام ١٣٣٠هـ حسب الوثيقة المرفقة رقم (١) المؤرخة في عام ١٣٢٤هـ والوثيقة المرفقة رقم (٢) المؤرخة في عام ١٣٢٨هـ، والوثيقة رقم (٣) المرفق صورتها المتضمنة إقرار الملك

عبد العزيز- رحمه الله- للجرباء على إمارته بعد اختياره من قبل أهالي ثادق وذالك في عام ١٣٣٠هـ.

٨- تم تحديد فترة إمارة حمد بن ناصر الجرباء من عام ١٣٢٩ إلى عام ١٣٦٣هـ والصواب أنه تولى الإمارة من عام ١٣٣٠ إلى عام ١٣٥٨هـ حسب الوثيقة رقم (٣)، والوثيقة رقم (٤) المرفق صورتها والتي تنص على أن عبد الرحمن بن دباس آل سويلم كان أميراً على ثادق في عام ١٣٥٨هـ.

كما أنني أطلعت على كتاب "رجال في الذاكرة" لمؤلفه عبد الله بن زايد الطويان الجزء الثاني، الصفحة رقم ٨٣-٨٤ (الطبعة الأولى)، سنة ١٤١٩هـ ولي عليه بعض الملاحظات التالية حول أمراء ثادق في زمن الملك عبد العزيز :

١- جعل فترة إمارة حمد الجرباء أربعين عامًا والصواب أنها ثمانية وعشرون عامًا كما أوضحت في الفقرة (٨) أعلاه.

٢- جعل حمد الجرباء أميرًا على بيرق ثادق في فتح الحجاز سنة ١٣٤٤هـ والصحيح أنه عبد العزيز بن ناصر بن عيسى كما أوضحت في الفقرة (٦) أعلاه.

٣- جعل حمد الجرباء أميراً على ثادق بعد مقتل أخيه علي بن ناصر والصواب أنه علي بن عبد الله بن علي كما أوضحت في الفقرة (٧) أعلاه.

٤- جعل وفاة حمد الجرباء في عام ١٣٦٣هـ والصواب في آخر شهر رمضان من عام ١٣٦٨هـ.

كما لا يفوتني التنبيه على أن هذا الكتاب يفتقر لذكر المراجع التي اعتمد عليها المؤلف حيث لم أجد ما يشير إلى الأشخاص الذين نقل عنهم هذه الروايات الشفهية أو صور الوثائق التاريخية القديمة التي تم الاستناد عليها وهذا مما يقلل من مصداقية هذا الكتاب ويؤدي إلى الوقوع في الأخطاء التي تثير البلبلة.

الرياض : عيسى بن إبراهيم آل عيسى.

من وثائق علي بن عبدالله بن عيسى

الوثيقة رقم (١)

ـمون الوثيقـة: بسـم الله الـرحمن الرحيم حضر محمد بن زنيدان وشبيب (....)
ـ زنيدان الدعـاجين فـاقروا واعترفوا علـى يد الأمير علي بن عبد الله بن عيسى
ـهم خلصوا بثلاثين ريال دية رجالهم برضاهم واحضار (..) تبعه ولا دعوا (...)
ـلى أهل ثـادق شـهد بذلـك (...) وولـده جزا وكتب شاهده باقرارهم الفقير إلى الله
ـد بن عبد الله بن جـار الله وصلـى الله علـى محمد وآلـه وصحبه وسـلم حـرر ٣
ـادى اخر سنـة ١٣٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

وكل الامير علي بن عبدالله عبدالعزيز الخليفي على بيع نصيب بنات
حماد بن منيع في القليب المسماة ادطريفيه في اعلا الثاد
فوق من القليبا المورد خدي في نفقة على البنتين الصغار
اعمهن فباع عبدالعزيز الخليفي المذكور نصيب البنتين الصغا
زوجة ناصر المزيني والتي حدر عنها وامها على عبدالله بن موسى
بن حماد بثمن معلوم قدره زيالين بلغت في نفقة لهن و
الذهب المذكور دخل نصيب حماد سدس القليب شهد
ب الوكالة والبيع ناصر بن حمد بن جارالله وكتبه ١٣٢٨

حرر

ونقله من خط ناصر بن حمد بن جارالله حرفا بحرف سليمان بن عبيد
الله بن ... وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم حرر نقله ١٣٧٩ / ١٢ / ٢٩

من فيصل بن عبد الله آل فيصل الى من يراه من كافة اهل المحمل ومن طوارفنا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد [illegible] ناصر الجبر [illegible] النا علينا وقررناه اميره على جميع قرايا المحمل وامضينا

[illegible] بهنا وعلى من حسب انه يتقدم فيه ويتجنبه اذا ورد عليه الامر منا ويمضيه مساعده

[illegible] والسم [illegible] في ذلك يكون معاقب بالمال

١٠ ١١

الوثيقة رقم (٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

لما أمرنا الشيخ سليمان بن عبد الرحمن العمري أنا يا كاتب الأحرف محمد بن حمد بن جار الله باختيار عبد الله بن عبد العزيز وناصر بن عبد الله تنظر النخل التي جنب الجص عبد الله الجبيجي [illegible] وبين الجص بقية جدار ثم انتظرنا كما أمرنا فإذا فيه بقية جدار شمالي هل بينهما [illegible] ووجد قعار اعتمدنا على الجدار المذكور حتى اختفى كتب ذلك بحضور عبد الله الجبيجي جهارا والنخل المذكوره هي الدخينية كتبه كاتبه أفقا سنة ١٣٥٥

حرره جار الله ١٣٥٥

٢٣ ذي القعدة

وقد أقر بحضور الأمير عبد الله [illegible] وشهادته كتب ذلك محمد بن حمد بن جار الله

١٣٥٥

٢٣ ذي القعدة

الوثيقة رقم (٤)

«بلدة البرود» :

آخر كتاب أصدره علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر -رحمه الله- هو كتاب (بلدة البرود : موقعًا، وتاريخًا وسكانًا، مع تفصيل وافٍ عن منطقة السرِّ : القرى والسكان» وقد صدرت طبعته الأولى عام ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م وهو من مطبوعات مجلة «العرب»، ويقع في (٤٧١) صفحة من الحجم المتوسط، وقامت بطباعته (مطابع مرامر) في الرياض.

وبلدة البرود تقع في منطقة السّر في عالية نجد، وتبعد عن الرياض بنحو (٢٨٠) كيلاً، وهي تُنطق بضم الباء والراء وسكون الواو، على أنه وردت في كتب اللغة بفتح الباء، (انظر ص ١٥٣ من الكتاب) وقد كان الشيخ حمد الجاسر وفيًّا مع هذه البلدة مسقط رأسه، حين أنشأ فيها قبل حوالي خمس سنوات مستوصفًا طبيًّا لخدمة سكانها، ثم ختم مؤلفاته المطبوعة بهذا الكتاب الذي فصَّل فيه تاريخها، فقد دخلت التاريخ من أوسع أبوابه بميلاد الشيخ حمد فيها ونشأته الأولى في أحضانها وبوفاء الشيخ حمد لها بهذا الكتاب.

لم يصدر الشيخ حمد الكتاب بمقدمة كما عُهد ذالك عن المؤلفين بل صدره بسؤال هو (وماذا في هذه الإضمامة؟) ثم أجاب عنه في الصفحات من ١١-١٩، ومما قال : (هي لمحات خطرت في ذهني، حاّولت التعبير بها عما أكنه من حب، وما أحس من تعلق، وأحمله من ذكريات أثيرة في نفسي لجزء من الوطن الغالي بطوله وعرضه، هو أول ما مس جلدي تراب أرضه، وأحسست بوجودي حيث عشت بين ربوعه، بين إخوة ولِدَات وأقرباء وأصدقاء، وبلوت خلال ذالك فيه المر والحلو من صنوف الحياة...).

ويشـيـر الشـيـخ حـمـد إلى أنه لم يكن أنانيًّـا بهـذا الكتـاب فـهـو الذي مـلأ المكتـبـة العربـية بـمـئات الكتـب والبـحوث والمـقالات ليس عن الجـزيرة العربـية وحدها بـل عن الوطن العربي كله وفوق ذالك أشرف على نشـر كثـير ممـن كتب غيـره من سـابقين ومعاصـرين، فقـال ص١١ : (ومـا كنت -وأيم الحق- فيـمـا عبـرت به بمـا خـصـصـت هذه الصفحات لـلحديث عنه أثريًّا (أنانيًّا) أقـدمه بدافـع ذالك الحب على غيـره، ولا أميزه بصـفة ليست فيـه، مهمـا تمكن تعلقي، وقوي ارتباطي حتى غمر شغاف الفؤاد، فقد مكثت فترة أغالب رغبة الحديث عنه، في وقت أبذل الوسع المسـتطاع في القـيـام بمـا يجب عليّ لبـلادي بصـفـة عـامـة بمؤلفات تناولت في الحديث عنهـا جـميع جوانب الحياة، وقـد لا أكـون مبـالغًا إذا قلت : بأنني منـذ اتجهت للكتابة كـمـا أرتضي، صـرفت كل اتجاهي لذالك، محاولاً مـا استطعت البـحث عن الحقـيقة والبعد مـاأمكن عـمـا يكون سببًـا للتـحيز أو التـمـيـيـز بحـيث إنني كـدت أوصف بالتـقـصـيـر في حق تلك البـلاد التي هي بالنسبة إليّ كما قال الشـاعر :

بلاد بها نيطت عليّ تمائمي وأول أرض مسَّ جلدي ترابُها

وقال الآخر :

وحبّب أوطانَ الرجال إليهم مآربُ قضاها الشباب هنالكا

إذن : فـمـا تحـويه هذه الإضـمـامة من الوريقـات القليلة، مـمـا يتـضـاءل قـدره بالنسبة لمـا جـمعته في المـجلدات الكثيـرة عن شرق المـملكة وشمـالها وجنوبها وغـربها، لايعـد شيـئـًا بالنسـبـة لمـا لـهذا الجـزء من بلادنا من الوفـاء والاعـتـراف بالجميل).

وقد احـتوى الكتـاب على **ثلاثة أقسـام وخاتـمة**، حيث خـصـص **القسـم الأول**

لتمهيد عن منطقة السر ، وهي المنطقة التي تقع فيها بلدة البرود ، فتحدث عن تحديدها وكثرة مياهها ، ووفرة مراعيها وأشهر عيونها ، وأشهر قراها ، وهجرها القديمة والحديثة ، والترتيبات الإدارية فيها وقد شمل القسم الأول من الكتاب الصفحات من ٢١-١٤٢ .

والقسم الثاني : بلدة البرود وما يتعلق بها ، بدأه ببعض الأشعار القديمة في المنطقة من ص ١٤٥--١٥٠ ثم تلته المباحث الآتية من ١٥١-٣٧٢ :

المبحث الأول : تعريفات موجزة عن البلدة ، لمحة من تاريخها ، أمراؤها ، أئمة مسجدها ، كيف نشأت البرود .

المبحث الثاني : تجمع السكان وانتشار القرى الزراعية في منطقة البرود .

المبحث الثالث : موطن السكان الأول ، سبب انتقالهم ، أسرهم ، جيرانهم ، الصلات بينهم .

المبحث الرابع : أسر السكان (حمايلهم) وتفرعهم .

والقسم الثالث : عن (أصول السكان وموطنهم الأول وسبب انتقالهم) وفيه عدة مباحث من ص ٣٧٣ - ٤٤٠ :

المبحث الأول : نظرة عامة إلى الأنساب .

المبحث الثاني : أصول السكان القدماء .

المبحث الثالث : فروع قبيلة حرب .

المبحث الرابع : استقرار قبيلة حرب في ضواحي المدينة وصلتهم بالحسينيين .

المبحث الخامس : بنو علي في المدينة المنورة .

المبحث السابع : الشبول وانتقالهم إلى نجد .

المبحث الثامن : مما يتناقله المعاصرون عن صلتهم بالشبول.

واحتوت الخاتمة من ص ٤٤١-٤٤٥ على تمنيات للمؤلف منها تمنيه أن يكون قد استطاع رسم صورة لما كان عليه أهل هذه البلدة في أول القرن الماضي في جميع أحوالهم من تآلف ومحبة وارتباط قوي دون تأثر بما قد يحدث لهم من الضيق أو الشدة في بعض الأوقات بعد أن أكتسح عصر الآلة الحديث بمخترعاته مظاهر الحياة القديمة المتوارثة فأصبحت مجهولة.

أما الأمنية الأخرى فهي أنه عمل مسودة لهذا البحث مؤرخة في المحرم سنة ١٤٢٠هـ ووزع منها نسخًا على بعض الإخوة ممن توسم فيهم المعرفة والإفادة، وبعد ذالك اتضح له أن كثيراً من تلك المعلومات بحاجة إلى تغيير بتعديل أو زيادة أو حذف فقال ص ٤٤٣ : (ولهذا أوضح أنه لا ينبغي الاعتماد على ما ورد في تلك المسودة إلا على ما وقع الاتفاق عليه وأثبته في هذه النسخة التي بين يدي القارئ).

وخصص الصفحات من ٤٤٨-٤٦٩ للوثائق والمشجرات ثم ألحق بالكتاب تعريفًا بجانب من نشاطه الثقافي في الصفحتين ٤٧٠ و ٤٧١ استجابة لرغبة الأستاذ سعد بن جنيدل.

ويعد كتاب «بلدة البرود» من أهم مصادر ترجمة الشيخ حمد الجاسر وسيرة حياته وبخاصة نشأته الأولى والجانب الاجتماعي في حياته، وفي الأنساب المرتبطة به (ليكون من أسباب التواصل والتعارف والترابط الأسري مما يشد عرى الأخوة، ويقوي أواصر المحبة والتعاون على البر والتقوى) كما قال ص ١٨.

د. عائض الردادي